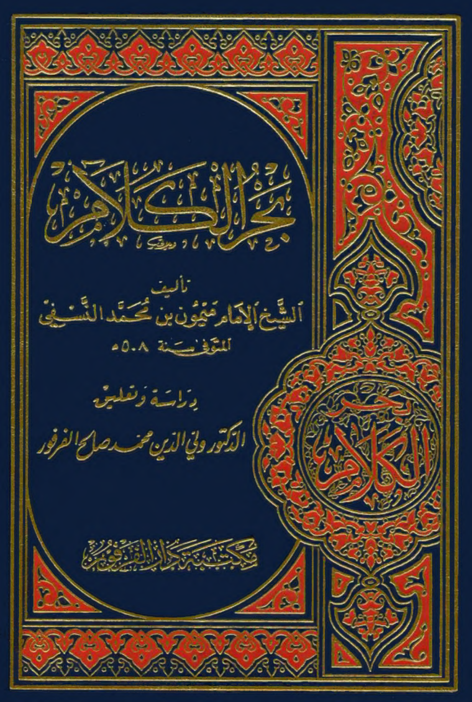


بحر الكلام
تأليف
الشيخ الإمام ميمون بن محمد النسفي
المتوفى سنة ٥٠٨ هـ
دراسة وتعليق
الدكتور ولي الدين محمد صالح الفرفور
مكتبة دار الفرفور
بحر الكلام

الطَّبعَة الثَّانِيَة
مَزِيدَة ومُنَقحَة
١٤٢١ هـ ـــ ٢٠٠٠م



لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعْ
دمشق ـ حلبوني ص.ب ٣٥٥٣٩
هاتف : ٢٢٣٣٦٩١



تأليف

الشيخ الإمام ميمون بن محمد النسفي

(الشهير بـ أبي المعين النسفي)

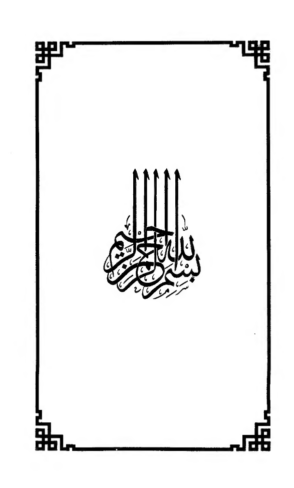
المتوفى سنة

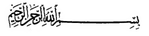
٥٠٨ هـ

دراسة وتعليق

الدكتور وليّ الدين محمد صالح الفرفور




بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، المتفرد بالعظمة والكبرياء ، المنزه عن الحدوث ، المتعالي عن الشوائب والنقصان ، الظاهر بصفاته ، الباطن في ذاته ، العالم بأحوال خلقه وعباده ، الناصر لأنبيائه ، المعين لأوليائه ، ذي العزة والجبروت ، مالك الملك والملكوت ، المبدي المعيد ، ذي العرش المجيد ، فعال لما يريد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه ، وعلى آله وصحبه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخير خلقه وخليله.

وبعد:

فإن أسمى ما يتميز به الإنسان عن سائر مخلوقات الله عز وجل المعرفة ، لأنها تنشأ عن العقل ، والعقل آلة لإدراك الأحكام والقضايا ومناط التكليف.

ومن الجدير بالذكر أن المعرفة بالإطلاق إنما هي نوع تحت جنس من الأجناس عند جمهرة كثيرة من العلماء، فإن جمهرة المتكلمين

من الحنفية وغيرِهم ينظرون إلى المعرفة مرة باعتبار الفروع ومرة باعتبار الأصول.

أما نظرهم إليها باعتبار الأصول، أي أصول الدين فإنهم يسمونها الفقه الأكبر؛ لأن مفهوم الأصول عندهم إنما هو العقائدُ ومعرفة الله تعالى.

أما نظرهم إليها باعتبار الفروع فإنهم، يقصدون بذلك الأحكام الشرعية العملية، ويسمون ذلك الفقه الأصغر، وفي الحقيقة لا غرابة في أن تسمى معرفة الله بالفقه الأكبر لأن أول ما يجب على المكلف معرفتهُ إنما هي قضايا الاعتقاد، فلذلك نجد أول ما يجب على النفس من معرفةٍ معرفةُ الحق جل جلاله.

ومن هنا تحصل هذا الشرف العظيم لعلم العقيدة، فإنه لا يمكن لإنسان قد حوى جميع مسائل الفقه مع التبصر فيها وفي أدلتها عند من تقدم أن يعتبر فقيهاً ما لم يكن مرتبطاً بالله عز وجل إيماناً ومعرفةً.

وإن مما لا شك فيه أن التزام حرفية النص، وإهمال جانب العقل في تأييد ما ورد به النص أمرٌ لا يقول به إلا جاهل، وأن الجري وراء العقل من غير أن يكون مسيّجاً بسياج من الشرع خاصة في الاعتقاديات أمر خاطىء، وإعمالُ العقل فيما وراء الشرع مما يدرك ـ بالعقل هو الخير كله، لذلك نجد أن علماءنا من أهل السنة والجماعة سلكوا مسلكاً وسطاً يزاوج بين العقل والنقل.

يقول الإمام الأشعري رحمه الله في رسالته «استحسان الخوض في علم الكلام»: إن طائفة من الناس جعلوا الجهل رأس مالهم، وثقل عليهم النظر والبحث في الدين، ومالوا إلى التخفيف والتقليد، وطعنوا على من فتش عن أصول الدين ونسبوه إلى الضلال

وزعموا أن الكلام في الحركة والسكون والجسم والعرض والألوان والأكوان والجزء وصفات الباري بدعة وضلاله[1] اهـ. ويقصد بذلك الرد على الحشوية الذين وقفوا عند النصوص وتمسكوا بظاهرها ونسوا أن المناظرات العقلية الكلامية مستندها في الحقيقة القرآن الكريم، فلقد أخبرنا الله عز وجل في القرآن الكريم عن محاججة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع النمرود اللعين.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾.. الآية إلى قوله تعالى: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾[2].

ونسوا أيضاً أن الأصل في المناقضة على الخصم وهو المعبر عنه في علم المنطق بالنقيض، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ سلب كلي، يقع في نقيضه إيجاب جزئي. قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا ﴾[3].

فالقرآن الكريم لم يهمل العقل بالكلية، ولم يحرم النظر والاستدلال، فاستعمال العقل في حدوده وتأييده للشرع أمر ضروري؛ لأن من المسائل ما يحتاج إلى دليل عقلي، ومنها ما لا يمكن إثباته إلا بدليل سمعي، ومنها ما يبرهن عليه بالعقل والنقل معاً. أما انفراد العقل وحده في الشرعيات فشيء ممتنع لأنه إن ترك وشأنه اتَّبع هواه ولكنه بالشرع يتبع هداه.

هذا هو المنهج الصحيح الذي ارتضاه جمهور الفقهاء والمحدثين من حنفية وشافعية ومالكية وبعض الحنابلة رحمهم الله.

(١) استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري ص٨٧.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٨.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٩١.

وبعد :

فإن علم الكلام على ما عرَّفه العلماء هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات ، لذلك كثُر الحوار فيه مع الفرق ، وأدى ذلك إلى المقارعة مع أهل الأهواء والبدع ، وإلى سبر أقوالهم وذكر مذاهبهم والرد على أدلتهم كما فعل عضد الملة والدين عبد الرحمن الإيجي في كتابه «المواقف» وكما فعل المصنف أبو المعين النسفي في كتابه «بحر الكلام» ولا غرابة في ذلك فهي سنة ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في كل عصر .

ويتضمن علم التوحيد أيضاً إثبات وجود الباري جل جلاله ووحدانيته وتنزيهه عن خلقه ، وإبداعه وتدبيره في خلقه ، ويدل على ذلك كله كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) .

إذاً هو علم تتجلى فيه معرفة واجب الوجود وباعث الرسل ليتميز الصحيح من السقيم والحق من الباطل ، وإن للحق قوة جاذبة لا يستطيع من يراه إلا أن ينجذب إليه طوعاً أوكرهاً .

وسر المعرفة ، التوحيد وحقيقتها ، نور يطرح في قلب المؤمن وعلامتها ، حياة القلب مع الله تعالى ، والتوحيد وإن كان فطرياً إلا أنه يحتاج إلى نظر لأن مقارعة الألداء من أهل الأهواء تحتاج إلى ذلك والنظر قانون الاستدلال الموصل إلى العلم .

قال[1] جمال الدين الخوارزمي رحمه الله : النظر قانون

---

(١) انظر دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص ٦ نقلاً عن الخوارزمي .

الاستدلال في الأمور ، وحاكم العدل ، وقاضي الصدق ، وبرهان الشريعة ، ومحك الحق والباطل. وبريد المعرفة ، وسلطان الحقيقة وترجمان الإيمان ، وحجة الأنبياء ، ومحجة الأولياء ، والسيف القاطع على الأعداء.

فالنظر رأس السعادة عند أهل الدنيا والدين ، وأساس التدبير وصحة الاعتقاد ، وخلاصة التوحيد في ناصية النظر . ا . هـ.

والنظر طريق الحقائق ، ودليل العلم ، وتحديق العقل نحو العقول.

والعقل أم العلم وينشأ عن العقل علمان: علم ضروري ، وعلم كسبي. فأما الضروري فهو ما أدرك ببداهة العقل من غير نظر واستدلال.

وأما الكسبي: فهو يفتقر إلى نظر واستدلال: وهو على قسمين.

القسم الأول: ما كان من قضايا العقول.

القسم الثاني: ما كان من أحكام السمع.

فأما قضايا العقول فضربان:

أحدهما: ما علم استدلالاً بضرورة العقل.

الثاني: ما علم استدلالاً بدليل العقل.

فأما المعلوم بضرورة العقل ، فهو ما لا يجوز أن يكون على خلاف ما هو به كالتوحيد فيوجب العلم الضروري ، وإن كان عن استدلال للوصول إليه بضرورة العقل.

وأما المعلوم بدليل العقل: فهو ما يجوز أن يكون على خلاف

ما هو به كدعوى النبوة فيوجب علم الاستدلال ، ولا يوجب علم الاضطرار ، لحدوثه عن دليل العقل لا عن ضرورته .

أما معرفة الله تعالى فللمتكلمين في ذلك مذهبان :

الأول : أنها ضرورية .

الثاني : أنها نظرية .

ولقد حاول كثير من العلماء الجمع بين المذهبين فقال أبو حيان التوحيدي رحمه الله[١] : التحقيق أنها ضرورية من ناحية العقل واستدلال من ناحية الحس . اهـ .

ولكن الذي ينبغي أن نذكره ، أن دليل الفطرة المذكور في القرآن الكريم وهو قوله تعالى :

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

والحديث وهو قول النبي ﷺ : «كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرةِ»[٣] يؤيد أنها ضرورية لا نظرية .

ولقد سلك الموحدون أهل الأصول مسلك الاستدلال على معرفة الله تعالى ضرورة منازعة الخصوم فيها ، وما كانت بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا للتذكير بتوحيد الفطرة ، والتطهير عن تسويلات

(١) انظر دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص/ ١٢ نقلاً عن أبي حيان .
(٢) سورة الروم الآية ٣٠ .
(٣) أخرجه البخاري برقم/ ١٣٨٥ في الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ومسلم برقم / ٢٦٥٨ في القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة عن أبي هريرة مرفوعاً .

الشيطان ، ويؤيد ما ذهبنا إليه الحديث المرفوع : «إن الله تعالى خلق العباد على معرفته فاجتالهم[١] الشيطان عنها» .

ولقد قال الحكماء : التعليم ليس يجلب إلى الإنسان شيئاً من خارج في الحقيقة ، وإنما يكشف الغطاء عما حصل في النفس فيبرزه بجلائه ، فمثله كمثل الحافر المستنبط الماء من تحت الأرض ، وكالصيقل الذي يبرز الجلاء في المرآة . وهذا ظاهر لمن نظر بعين عقله .

وبالجملة فإن الحق سبحانه وتعالى مركوز في عقول البشرية . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾[٢] .

فأقرُّوا بالربوبية له ، وهذا إقرار نفوسهم بما ركز في عقولهم . فأما الإقرار باللسان فلم يحصل من الكل في الدنيا .

وإن من العلوم الشريفة معرفة حقائق الموجودات التي تتضمن معرفة الباري عز وجل ، والتي دعانا إليها قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[٣] .

فاعترافهم هذا يدل على أنهم عرفوا المقصود من خلقه سبحانه وتعالى وههنا أمور أربعة :

(١) أي : حولهم .
(٢) سورة الأعراف الآية : ١٧٢ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٩٠ و١٩١ .

الأول: البحث عن وجود الشيء بـ (هل هو).

الثاني: البحث عن جنسه بـ (ما هو).

الثالث: البحث عما يباين به غيره بـ (أي شيء هو).

الرابع: البحث عن الغرض بـ (لِمَ هو).

وهذه الأبحاث يبتني بعضها على بعض. فلا تصح معرفة التالي إلا بمعرفة ما قبله. ولا شك أن هذه الأبحاث هي أساس معرفة الحقائق. فمن توصل إليها فقد عرف ربه من غير أن يبصره.

ولقد قال[١] سيدنا علي كرم الله وجهه: «الحمد لله الذي بطن[٢] خفيات الأمور، ودلت عليه اعلام الظهور، وامتنع على عين البصير، فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره، لم يُطلع العقول على تحديد صنعته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود» اهـ.

وفي الحقيقة: إن وجود الباري تعالى وتقدس ووحدانيته لا يحتاجان إلى فكر ودليل، على تقدير سلامة القوة المدركة من الآفات الرديئة والأمراض المعنوية وزوال الغشاوة البصرية.

ومن المعلوم أن ميدان الاستدلال وحصول اليقين من طريق الدليل والنظر والفكر متعذر. فكان لابد من إزالة المرض القلبي ليحصل الإيمان اليقيني ضرورياً، فإذا حصل الإيمان بهذا الطريق

(١) انظر دلائل التوحيد للقاسمي ص٢٤ نقلاً عن سيدنا علي كرم الله وجهه.
(٢) أي: علم.

كان محفوظاً من الزوال قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] .

هذا وأرجو من الله تعالى أن يتقبل عملي هذا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به طلبة العلم إنه خير مسؤول وخير مجيب ، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

كتبه
ولي الدين فرفور
دمشق ـ الشام
١٠/٣/١٤١٦ هـ
٦/٨/١٩٩٥ م

* * *

(١) سورة يونس الآية ٦٢ .

عملي في هذا الكتاب

قدمت للكتاب.
قسمت الكتاب إلى أبواب وفصول وأبحاث.
قمت بوضع ترجمة للمؤلف ودراسة عنه.
اعتمدت على نسخة مخطوطة من الكتاب كتبت بخط فارسي غير مجود.
قمت بضبط النص ووجدت بذلك صعوبة نظراً لرداءة خط الناسخ.
خرجت الآيات القرآنية.
خرجت الأحاديث النبوية من كتب السنن والصحاح.
ترجمت للأعلام الوارد ذكرها في الكتاب.
ترجمت للفرق الوارد ذكرها في الكتاب.
عنونت للأبحاث.
ضبطت الألفاظ اللغوية التي تحتاج إلى شرح وضبط.
وضعت عليه تعليقاً كاد أن يكون شرحاً موجزاً.
زدت ألفاظ الترحم والترضي.
زدت بعض الكلمات والأحرف على حسب ما يقتضيه النص وجعلته بين قوسين.
صوبت عثرات الناسخ وأخطاءه.

المخطط الإجمالي للبحث

منهج التحقيق.

ـ **مقدمة عامة**: ـ سبب انتقاء الكتاب.

ـ أهمية البحث وماذا يقدم للدارسين.

ـ**القسم الأول**: **الدراسة**.

الفصل الأول:

ـ من تاريخ علم الكلام وتطوره حتى الإمام النسفي.

ـ خصائص علم الكلام عند أبي المعين النسفي.

ـ منهج أبي المعين النسفي في كتابه (بحر الكلام).

ـ شروح الكتاب وحواشيه.

الفصل الثاني:

ـ دراسة أبي المعين النسفي.

ـ ترجمة عامة للمؤلف.

ـ مكانته العلمية.

ـ مكانته في علم الكلام خاصة.

ـ مؤلفاته وخاصة في علم الكلام.

القسم الثاني: **التعليق**.

ـ نهج التعليق.

ـ مقدمة التعليق.

ـ الخاتمة.

ـ الفهارس.

سبب انتقاء الكتاب

إن سبب انتقاء هذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي يعتبر مدرسة من مدارس الماتريدية في علم الكلام ، أنه لم يحظَ هذا الكتاب في عصرنا هذا بعناية خاصة أو اهتمام سواء كان في ميدان التحقيق أو التعليق. ولعل هذا كان هو الباعث لي على الشروع في خدمة هذا الكتاب والتعليق عليه بعد أن توجهت إرادتي إليه بتوفيق الله تعالى. علماً بأن اعتقادي في التوحيد يوافق ما اعتقده الشيخ الأجلّ مصنف هذا الكتاب أبو المعين النسفي رحمه الله. وهو اعتقاد الماتريدية. في إثبات الحكمة من أفعال الله تعالى ، وإنه يفعل لغرض يعود نفعه على العباد ، بناءً على اقتضاء الحكمة الإلهية في أفعاله سبحانه وتعالى ، كإرسال الرسل لهداية الخلق وغير ذلك مما تشتمل عليه مصالح العباد من غير وجوب على الله ، وإذا كان لا بد من القول بالباعث للشارع على مشروعية الأحكام ، فكذلك لابد من القول بأن الباعث لا على سبيل الإيجاب ، وهذا مما اعتقده الماتريدية في مذهبهم العقائدي ولا أظن أن الأشاعرة ينفون الحكمة من أفعال الله تعالى ، والذي مشى عليه الفريقان نفي الوجوب على الباري جل جلاله.

أهمية البحث وماذا يقدم للدارسين

إن لهذا الكتاب أهمية عظيمة ، فإنه يعتبر مصدراً من مصادر العقيدة الإسلامية على الطريقة الماتريدية التي أسسها وأرسى قواعدها عَلَم الهدى والدين الإمام الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله. وإن المسلمين في هذه الأزمان بحاجة ماسة إلى أن يقفوا أمام دعاة الإلحاد والإباحية يحاجونهم ويجادلونهم بمثل حججهم ليدحضوا شبههم وزيغهم ، وليعلوا كلمة الحق والدين بموازين العقل والمنطق التي دعى إليها القرآن الكريم.

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ ﴾(1) .

وهذا أسلوب جميل سلكه سيدنا ابراهيم عليه السلام بالاحتجاج مع النمرود اللعين.

وإن من المعلوم أن وجوب النظر والاستدلال مستمد من الشرع ، فإنه انعقد الإجماع على وجوب معرفة الباري جلّ جلاله ، واستبان

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٨.

بالعقل أنه لا يتأتى الوصول إلى اكتساب المعارف إلا بالنظر ، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب ، فمن هنا كانت أهمية هذا البحث .

القسم الأول
الدراسة

الفصل الأول

ويشتمل على ما يلي:

* تاريخ علم الكلام وتطوره.
* خصائص علم الكلام عند أبي المعين النسفي.
* منهج أبي المعين النسفي في كتابه بحر الكلام.
* شروح الكتاب وحواشيه.



تاريخ علم الكلام وتطوره

إذا نظرنا نظرة ثاقبة في تاريخ علم الكلام فلا بد أن نقف بادىء ذي بدء على منطق تاريخي سياسي يرجع إلى العصر العباسي ، بل هو منذ خلافة المأمون العباسي.

إن مما افترضه الخليفة المأمون على الروم دفع الجزية شيء لا بد منه ولا بديل عنه ، وهو استيراد كتبهم الفلسفية العلمية التي تحكي فلسفة اليونان والإغريق ، فكان موقف المسلمين تجاه هذه الفلسفات أنهم أقبلوا عليها قراءة وتحقيقاً وفهماً وتنقيباً. فظهر على أثر ذلك بعض اللوثات في العقول التي كانت سبباً في بعض الانحراف عن الاعتقاد السليم. فلذلك كانت هذه الفلسفات أثراً من آثار الانحراف بعض الشيء في تاريخ الإسلام ، حتى إن هؤلاء أعملوها في ذات الله تعالى. وأخضعوا الذات الإلهية لمنطق العقل المحدود فوقعوا بالجربزة[1] فكانوا المعتزلة وكان من جمهرة المسلمين أنهم قابلوهم بسلاحهم فاضطروا إلى أن يدرسوا هذه الفلسفات وإلى أن يردوا على هؤلاء المعتزلة بدعهم وآراءهم في مسائل الاعتقاد. فكان هذا الأمر منشأ علم الكلام ، لذلك نجد أن أفضل التعاريف لعلم الكلام ما

(١) أي زيادة التنطع فيما لا يمكن دركه بالعقل.

ذكره الإمام الجرجاني في المواقف[1] هو أنَّه «علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه عنها».

ومن عجائب المقدور أن الذي تولى الرد على هؤلاء المعتزلة وانخلع عنهم كما ينخلع الشخص من ثوبه هو العلامة أبو الحسن الأشعري الذي كان معتزلياً صرفاً.

هذا الرجل تتلمذ على يد القاضي عبد الجبار حيث أخذ عنه مذهب الاعتزال وظل زمناً طويلاً فيه إلى أن تبين له الحق من خلال مناقشته مع شيخه في مسألة وجوب الصلاح والأصلح على الله للعباد، فتركه وانخلع من ربقة الاعتزال، وسميت أتباعه باسم الأشاعرة وأصبح إماماً لفرقة الأشاعرة من أهل السنة والجماعة. والقصة موجودة في المصادر والمراجع الكلامية والعقائدية، ثم بعد ذلك قوي مذهب الماتريدية بعد أن كاد أن يضمحل. إلا أن الإمام أبا الحسن الأشعري كان في دار الخلافة في بغداد، وأما الماتريدي فقد كان في بلاد ما وراء النهر بسمر قند، ومن هنا نجد أن مذهب الأشاعرة أكثر ذيوعاً وشيوعاً من الماتريدي. لأن الموقع الجغرافي له أثر في انكباب الناس على الفكرة أو الرأي أو المعتقد.

فلقد أخذ أكثر الفقهاء من شافعية ومالكية وحنابلة مذهب الأشعري واعتنوا به.

وهناك أسباب أخرى جعلت من مذهب الأشاعرة مذهباً سائداً في أصقاع بلاد المسلمين أكثر من الماتريدية لا داعي لذكرها والتطويل فيها.

والذي تجدر الإشارة إليه أن الماتريدي يعتبر مؤسس علم الكلام

(١) انظر شرح المواقف ١/ ٣٤.

الشيء الذي يقوم على نصرة عقيدة أهل السنة عن طريق العقل وهو وإن كان عصرياً للأشعري الذي قام بنفس المحاولة إلا أنه لم يثبت وجود صلات بينهما أو معرفة أحدهما آراء الآخر ، وكذلك فإن منهج الماتريدي في هذه المحاولة مخالف لمنهج الأشعري كما أنه كان لمنهجه ما يميزه عن الأشعري مع أن الخلاف بينهما بسيط ويكاد إن يكون خلافاً لفظياً لا جوهرياً.

وبالجملة فقد تكوَّن من آراء هذين الإمامين مذهب أهل السنة والجماعة الاعتقادي ، وكانا في حقيقة الأمر الدرع المنيع للإسلام في سائر الاعتقاد ، فلقد كونا قواعد أهل السنة والجماعة ودافعا عنها أعظم دفاع باللسان والقلم والفعل.

هذا وإنه مما يأخذنا إلى واحة موضوع البحث أن نشير إلى تلك الموازنة بين مذاهب الفلاسفة والمذاهب الكلامية في تاريخ الإسلام ، فإنه قمين بكل باحث في علم الكلام أن يقف موقف المتجرد في حكمه على مقولات المتكلمين.

وأرى أن هذا التجرد لا يتحقق ما لم تقع الموازنة بين الفريقين لبيان الفَرْق حتى يصح إطلاق الحكم على كل منهما سلباً أو إيجاباً.

إنه لمن المسلَّم به أن أولئك الذين اعتنوا بنقل الفلسفات قد أصبحوا أسرى لها ، وتملكت عليهم لبهم حيث إن المسألة شائكة باعتبار وبسيطة باعتبار آخر ولكن بساطتها لا تتأتى إلا لمن لحقه التوفيق من ذي العزة والجلال.

فأقول بعد هذا إن كل شيئين متقابلين أحدهما متناه والآخر غير متناه ، لا بد أن يخضع الأول منهما للثاني حيث إن هذه المقابلة لا تصح بناء على هذا الوصفُ وذلك لأن النسبة الرياضية تقتضي أن

يكون غير المتناهي غير مقصور في المحدودية فلا نستطيع أن نجد له أبعاداً أو حدوداً وبالتالي فإن هذا الاعتبار يجعل من المتناهي أمامه حبة رمل في صحراء.

لا يعرف أولها ولا آخرها عندئذ تبطل المقابلة فما بالك إذا تقررت المناسبة بينهما عند البعض، فالذي أجرى المقايسة بينهما، إنما هم الفلاسفة الذين ضلوا في المسألة فكان من شأنهم أنهم أخضعوا النص المعجز من كلام الحق جل جلاله إلى تلك الطاقة المحدودة المتناهية في جنسها ووصفها الذي يطلق عليه كلمة العقل.

كما أنهم لم يقفوا في عقولهم موقف التخصيص من النصوص بل إنهم أجحفوا في حقها إجحافاً كبيراً.

فوقفوا موقف النسخ والإبطال للنصوص بشكل قريب لمصادمتها العقل فإذا بهم بعد ذلك يجعلون العقل نداً للنص ومقارناً له حيث إنهم أثبتوا بذلك المقايسة بين النص والعقل البشري من حيث لا يعلمون.

ولعلي بعد هذا أكشف عن أصول هذه الضلالات في فلسفة اليونان وغيرها من الفلسفات التي أثرت الضلالة في عقولهم، فإنه من المقرر لدى فلسفات اليونان والإغريق أن العقل يجب أن يكون الحاكم على الأشياء لا أن يكون القانون أو الدستور هو الحاكم.

إذ أنه لما تحصل شيء من التقصير في التفكير العقلي والسلوك الإنساني كان لا بد للقانون أن يكون عندهم هو المرجع في المسألة والمجال.

لكننا إذا سألنا أنفسنا من هو الواضع للقانون والدستور؟ فإن الجواب يتحتم أمامنا أن واضع القانون هو العقل وحده.

لذلك كان عصر الفلاسفة مجرداً عن الروح والمعنىٰ وكانت المادة لا تقابل إلا بالمادة حيث لا وحي ولا شرائع.

لكنّ الفلاسفة قد نسوا أنفسهم عندما وقفوا علىٰ هذاالكلام في تلك الفلسفات وأخذوا يقيسون ذلك العصر المجرد عن الوحي على عصر وجد فيه القرآن إلى أبد الآبدين، فكان هذا المنطلق أصلاً في فساد مقايستهم.

ولا يفوتني أن أقول بعد ذلك إن هذا الأمر كان سبب جدلية لا زالت مستمرة إلى وقتنا هذا وهي تكمن في التساؤل التالي: العقل والنقل أيهما يجب أن يكون المرجع للآخر؟

حيث إن كثيراً من المذاهب الفكرية العقائدية الوضعية قد ضلت الجواب عن هذا السؤال الذي كان نتيجة لما قلنا.

ثم إنه لما كان العقل عند الفلاسفة هو العقل في خصائصه وفعالياته عند اليونان كان له من السلطان حسب قواعدهم أن يقف موقف المحاكم للحق سبحانه وتعالى.

فكان منه أن يطالب الله بما يعتبره عدلاً إن صح ما في هذه الكلمة من معنى كما أنه تجرأ زيادة في الشأن ونسب افتراض الجور لله إن لم يكن الأمر على ما يريد في بعض جزئيات أفعاله.

ونسوا أن تلك المطالبة تتنافى مع الحكمة من أفعال الله عز وجل المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وتبطل اختيار الباري جل جلاله وتحجر على إرادته في أفعاله

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

الثابتة بقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[١].

وهكذا فإننا نجد أن هؤلاء الفلاسفة الذين كانوا قبالة المذاهب الكلامية الصحيحة عند المسلمين واقفين موقف المتعنت الذي يريد أن يثبت ما ذهب إليه بأي طريق، إلا أن هذا الأمر قد شكل ردة فعل عند الماتريدية والأشاعرة على وجه التقريب.

فكان منهم ـ رغم إطلاعهم الواسع على الفلسفات الوضعية وغير ذلك ـ أنهم لم يقعوا في الخطأ من تلك المقايسة والندية بين العقل والنقل كما وقع بها الفلاسفة والمعتزلة، فإن المسلمين خاصة أهل السنة والجماعة أعطوا للعقل حدوده ونزهوا النص عن المحدودية، فما كان منهم إلا أن جعلوا النص هو المرجع والأصل.

وما كان من العقل إلا أن سلَّم عندهم للنص ما لم يستطع فهمه ووقف موقف المتأدب، فلذلك نجدهم قد وقفوا عند حدودهم من المتشابه في الآيات ولم يعملوا عقولهم فيه، كما أنهم أوقفوا العقل عند حدوده من الذات الإلهية التي لا تدرك بعقل بشري قط، وكذلك الصفات.

* * *

---

(١) سورة القصص الآية: ٦٨.

خصائص علم الكلام عند أبي المعين النسفي

إن لعلم الكلام خصائص لا توجد في غيره من العلوم ، لأن هذا العلم هو أشرف العلوم وأعلاها رتبة ومقاماً ، ذلك لأنه يبحث عن إثبات الصانع عز وجل وتوحيده وتنزيهه ، والرد على المجسمة والمشبهة والحشوية ، ويبحث أيضاً عن اتصاف الحق جلَّ وعلا بصفات الكمال والجلال والجمال .

ويبحث عن إثبات النبوة التي بُنيت عليها الشرائع والأحكام .

ومن خصائصه أيضاً ، الترقي في اليوم الآخر بالإيمان من درجة التقليد إلى درجة الإيقان ، فهو سبب للفوز والفلاح .

منهج أبي المعين النسفي في كتابه بحر الكلام

لقد استقى أبو المعين النسفي كتابه بحر الكلام من المصادر والمراجع التالية :

* كتاب التوحيد للإمام أبي منصور الماتريدي .
* كتاب اللمع للإمام أبي الحسن الأشعري .
* كتاب مقالات الإسلاميين للإمام أبي الحسن الأشعري .
* كتاب الإرشاد للإمام أبي المعالي عبد الملك الجويني إمام الحرمين .

ولقد سلك المؤلف في كتابه هذا مسلك الجدل أعني «النظر»

الذي يؤدي إلى الحقيقة ، فليس كل جدل نظراً ، وله وجهتان فمن حيث القطع يسمى البرهان ، ومن حيث النسبية يسمى الرجحان ، وأدلة القطع فيه نصوص الكتاب الكريم والسنة المتواترة والإجماع القطعي أي إجماع (العزيمة) أما الرجحان فهو نسبية موضوعية تعتمد على الزمان والمكان والمحل والحال وغير ذلك ، فالجدل أسلوب نظر يكشف عن الحقيقة؛ لأن اليقين هو ما يجب أن تنتهي إليه المناظرة ، ويحتاج الجدل إلى أدوات منها معرفة الاصطلاحات اللغوية والشرعية ، ومعرفة معاني الكلمات والآيات القرآنية ، ومعرفة مواضعها وترتيبها وعمومها وخصوصها ومطلقها ومقيدها وناسخها ومنسوخها ، ومعرفة مدلولات الألفاظ ومتعلقاتها إلى غير ذلك .

لذلك نرى المؤلف صدَّر كتابه بالكلام عن المناظرة وحد العلم والخبر لما يتصل هذا العلم بشيئين أساسيين وهما الخبر والنظر ، وأعني بالخبر الكتاب والسنة والإجماع ، وبالنظر إعمال الفكر وتركيب القياسات العقلية وطريق الإلزام والالتزام.

علماً بأن المؤلف قد أكثر من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة في الاستشهاد على معتقده مما جعله يتميز على غيره من العلماء المصنفين ، ويدل على قوة استحضاره للنصوص الشرعية في طريق الاستدلال.

* * *

نسخ الكتاب

بعد الاطلاع على نُسَخ الكتاب تبيّن أنه يوجد منه نسخة خطية في مركز جمعه الماجد للثقافة والتراث بدبي قسم المخطوطات برقم/ ٧٦٦/ مؤرخه سنة ١١٦٧ هجري .

ويوجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق / ٤٩٧٠/ .

ويوجد منه نسخة أخرىٰ في مكتبة الأوقاف ببغداد برقم/ ١ ـ ٤٣٦٥/ مجاميع مسلسل ٢٧٣٥ ، ويوجد منه نسخة أيضاً في مكتبة دار الكتب المصرية برقم/ ١١٣/ ، ويوجد منه نسخة أيضاً في مكتبة البلدية بالإسكندرية مخطوطة بقلم عادي سنة ٩٥٠ هجري برقم/ ن ـ ٢١٠٩ ـ د/ .

طبع الكتاب في بغداد طباعة حجرية سنة ١٨٨٦ ميلادي من غير تحقيق .

وطبع الكتاب في القاهرة سنة ١٣٢٩ هجري من غير تحقيق .

شروح الكتاب وحواشيه

بعد البحث عن شروح الكتاب وحواشيه تبين أنه تقدم بشرح هذا الكتاب العلامة بدر الدين حسن بن أبي بكر أحمد المقدسي المتوفي سنة ٨٣٦ هجري سماه غاية المرام في شرح بحر الكلام . يوجد منه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية برقم/ ١٢٣/ ويوجد منه

نسخة أخرىٰ في المكتبة الخديوية بمصر كتبت سنة ١١١٨ هجري برقم/ ن خ ١٢٣. ن ع ٢٣٦٨/ . علماً بأن صاحب كشف الظنون حاجي خليفة قد ذكره مجرداً عن أي شرح له أو حاشية وهذا ما توصلت إليه من خلال البحث ولا أدعي في ذلك الاستقراء التام ، ولكن هذا جهد المقلّ.

ولقد اعتمدت في تعليقي على هذا الكتاب على نسخة خطية مما اشتملت عليها مكتبتي كتبت بخط فارسي وإليك صورتها.

* * *

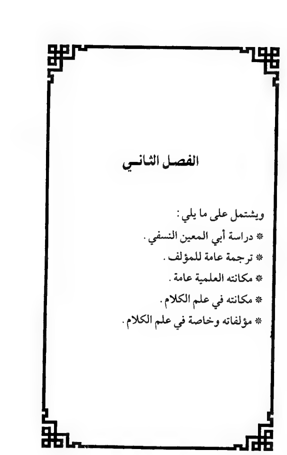
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله ذي الجلال والإكرام والصلاة على رسوله محمد خير
الأنام وعلى آله وأصحابه الكرام قال الشيخ الإمام الأجل رئيس أهل السنة
والجماعة سيف الحق أبو المعين النسفي رحمة الله عليه أعلم أن التي اعتقدت
معرفة الله تعالى والتوحيد أن تقر بأن الله واحد فرد قديم أزلي وأنه حي
لا شريك له ولا مثل له ولا شبه له ولا شكل له ولا ضد له ولا ند له لم يزل
أحداً صمداً فرداً وتراً ولا يزال كذلك أبداً وهو الكامل في ذاته الأزلي بصفاته
المنزه عن النقصان العالم بالأشياء لم يزل كان قبل أن يخلق المكان
وقبل أن يخلق الوقت والزمان ثم أنه خلق العرش والوقت واستوى
على العرش وهو مستغن عن العرش وليس العرش له بمستقر ولا بمكان بل
هو ممسك العرش والمكان وهو أعظم من أن يسع المكان وهو فوق كل مكان
علم ما يكون قبل أن يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون قد سبق علمه

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

لا تصير الحجة شيئاً اما بالمعاينة او بإخبار المخبر الصادق والنبي عم
صلى الله عليه [illegible] لم يخبر عنها والناس في المعاينة مختلفون سواء الأقاويل بعض
الناس وكلوا برأيهم وقد لوا بقولهم فضلوا ضلالاً بعيداً او خسروا
خسراناً مبيناً وقيل من اعتصم بالرفق ومن اعتصم بعقله ذلّ ومن
اعتصم برأيه ضلّ ومن اعتصم بالله جلّ [illegible] قال اهل
النجوم الشمس والقمر والنجوم في سماء الرابعة وقال اهل التنزيل
واهل التفسير في الدنيا [illegible] دليله قوله تعالى انا زيّنا السماء الدنيا
بزينة الكواكب وكذا قوله تعالى انا زيّنا السماء الدنيا بمصابيح
وكذلك قوله تعالى في قصة ذي القرنين حتى اذا بلغ مطلع
الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً
[illegible] حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة وهو لم يبلغ الى الرابعة والله هادي الى سبيل
الرشاد تم الكلام في معتقد الشيخ الامام
العالم المتقي [illegible] السالك [illegible]
[illegible]
[illegible] النسفي صاحب التبصرة
والتمهيد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والحمد لله [illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة



الفصل الثانـي

ويشتمل على ما يلي :

* دراسة أبي المعين النسفي .
* ترجمة عامة للمؤلف .
* مكانته العلمية عامة .
* مكانته في علم الكلام .
* مؤلفاته وخاصة في علم الكلام .



دراسة أبي المعين النسفي

يعتبر أبو المعين النسفي عَلَماً من الأعلام الذين تخرجوا من مدرسة أبي منصور الماتريدي، ونهجوا منهجه في الاحتجاج، وسلكوا مسلكه في سبيل إعلاء كلمة الحق، ومن خلال دراستنا لهذا الكتاب «بحر الكلام» نرى أنه يثبت معتقده ويبرهن فيه بصراحة ووضوح تام عقيدة أهل الحق، ويدحض شبه المخالفين وانحرافاتهم بالدليل العقلي والنقلي، فكثيراً ما نراه يستشهد لمعتقده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأخبار السنية وأقوال الصحابة والأئمة المجتهدين.

ونرى أيضاً أنه كثيراً ما يتصدى للمعتزلة وبقية الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة بآرائه.

ولقد عقد إمامنا أبو المعين رحمه الله فصلاً في كتابه هذا للرد على الإباحية الذين تحللوا من ربقة الدين، وخالفوا جماعة المسلمين، وانصرفوا بأهوائهم عن العمل الصالح والخلق الفاضل الكريم فاستحوذ عليهم الشيطان وصرفهم عن الهدي الإلهي.

هذا ولقد سلك إمامنا أبو المعين في كتابه هذا مسلك الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في رده على الفلاسفة، فأول ما ابتدأ به سبر أقوالهم وأدلتهم ومقاصدهم وبعدها رد على تهافتهم وآرائهم،

وهـذه طريقـة جميلـة في علـم الردود التـزم بهـا إمامنـا مصنف هـذا الكتاب.

ففي أول كل مبحث يأتي بأقوال المخالفين لأهل السنة والجماعة مقرونة بأدلتهم الواهية وشبههم السخيفة ثم بعد ذلك يقول: وقال أهل السنة والجماعة كذا وكذا ويستوفي القول فيها مع الدليل والتعليل.

ولا يفوتنا أن نذكر عصر أبي المعين النسفي، كان عصره من أزهى العصور الإسلامية علماً في الشرق، لقد كثر فيه النبغة في كل علم وفن والسبب في ذلك أن الدولة العباسية قد شجعت على العلم بمختلف أنواعه لا سيما حرية الفكر والنظر، فكثرت المذاهب واختلفت الآراء وظهرت الفرق، ولعل هذا كان هو السبب في شحذ همة أبي المعين لتأليف هذا الكتاب في علم الكلام للرد على أهل الأهواء وأصحاب الضلالات.

* * *

ترجمة عامة للمؤلف

اسمه ونسبه

هو ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن مكحول النسفي نسبة إلى نَسَف المولود بسمرقند سنة ٤١٨ هـ المتوفي سنة ٥٠٨ هـ فهو من علماء القرن الخامس الهجري وأوائل السادس سكن بخارى ، وهو حنفي المذهب روى عنه شيخ الإسلام محمود بن أحمد الساغرجي ، وعبد الرشيد الولوالجي. وتفقه عليه علاء الدين أبو بكر محمد السمرقندي.

وكان علماء الشرق والغرب يغترفون من بحاره ويستضيئون بأنواره.

مكانته العلمية عامة

لقد كان أبو المعين النسفي من العلماء الأعلام المشهود لهم بغزارة العلم وكان أصولياً فقيهاً متبحراً في العلوم والمعارف ، ويعد بحق من علماء الكلام.

ترجم له صاحب الفوائد البهية فقال[1] كان إماماً فاضلاً جامعاً للأصول.

---

(١) انظر الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي ص/ ٢١٦.

وترجم له صاحب معجم المؤلفين فقال[١]: كان فقيهاً أصولياً متكلماً.

وترجم له صاحب الأعلام فقال[٢] كذلك.

مكانته في علم الكلام

لقد حظي أبو المعين النسفي بمكانة عالية في علم الكلام والمناظرة ومؤلفاته تشهد بذلك كالتبصرة والتمهيد وغيرها.

واعترف له معاصروه بفضله، وكان في الحقيقة همزة وصل بين السلف والخلف نقل عن السلف كالماتريدي والأشعري وأخذ عنه الخلف كالإيجي والتفتازاني وغيرهما.

مؤلفاته وخاصة في علم الكلام[٣]

لقد اشتهر إمامنا أبو المعين بالمعقول فكتب وصنف في علوم كثيرة منها كتاب:

١ ـ العمدة في أصول الفقه.

٢ ـ بحر الكلام في علم الكلام. وهو هذا ا لكتاب الذي بين أيدينا.

٣ ـ تبصرة الأدلة في علم الكلام.

٤ ـ التمهيد لقواعد التوحيد في علم الكلام.

٥ ـ العالم والمتعلم.

٦ ـ إيضاح المحجة لكون العقل حجة.

---

(١) انظر معجم المؤلفين لرضا كحالة ٣/ ٩٤٩.

(٢) انظر أعلام الزركلي ٧/ ٣٤١.

(٣) انظر مؤلفات أبي المعين النسفي في أعلام الزركلي ٧/ ٣٤١، ومعجم المؤلفين لكحالة ٣/ ٩٤٩.

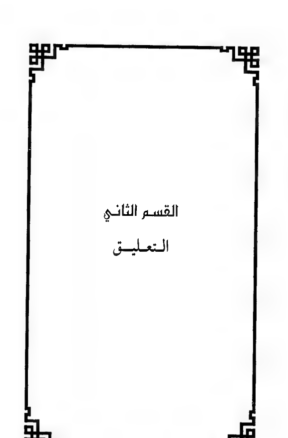
٧ ـ شرح الجامع الكبير للشيباني في فروع الحنفية.
٨ ـ مناهج الأئمة في الفروع أيضاً.

ولقد كان مجموع هذه المؤلفات تنبىء عن سعة المدارك العقلية عند الإمام أبي المعين وعلومه الغزيرة وشخصيته الفذّة التي كان يتمتع بها بالإضافة إلى ورعه وتقواه وزهده.

ولقد كان في عصره رئيساً لطائفة الماتريدية وشيخاً لها بلا نزاع.

* * *





القسم الثاني

التعليق



نهج التعليق

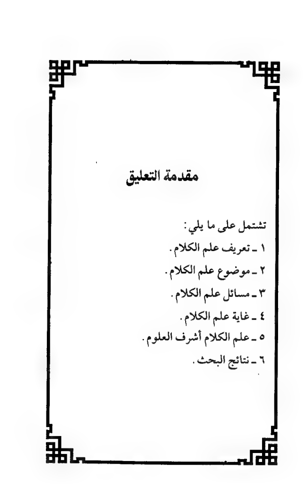
لقد قمت بوضع نص المتن في أعلى الصحيفة ، وفصلت بينه وبين التعليق بجدول ، وكان التعليق مشحوناً بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة من المصادر المعتمدة ، مع ذكر تراجم وافية للفرق والأعلام الوارد ذكرها في الكتاب .

وقمت أيضاً بشرح بعض الكلمات على حسب ما يقتضيه المقام وأشرت إلى مصادرها ، مستمداً العون من الباري جل جلاله ، معترفاً بالعجز والتقصير ، طالباً العفو والمغفرة ، عسى أن أكون من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم .

فما كان صواباً فمن الله وما كان خطأ فمني ومن الشيطان وأستغفرُ الله العظيم وأتوب إليه . ولا أدعي في عملي هذا الكمال ، فإن الكمال لله وحده لا شريك له ، ولكن هذا جهد المقلّ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* * *





مقدمة التعليق

تشتمل على ما يلي:

١ ـ تعريف علم الكلام.

٢ ـ موضوع علم الكلام.

٣ ـ مسائل علم الكلام.

٤ ـ غاية علم الكلام.

٥ ـ علم الكلام أشرف العلوم.

٦ ـ نتائج البحث.



تعريف علم الكلام

هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية[١].

يحترز بهذا التعريف بشكل عام عن العلم بغير الشرعيات.

ويحترز به أيضاً عن العلم بالشرعيات الفرعية العملية؛ لأنها ليست من الاعتقاديات ويدخل بهذا التعريف علم علماء الصحابة رضي الله عنهم في العقائد الدينية فإنها من الكلام وإن لم تكن مسماة في زمنهم بهذا الاسم.

أما بالنسبة لأدلة علم العقيدة فيشترط أن تكون أدلته يقينية لأنه لا مدخل للظن في الاعتقاديات.

موضوع علم الكلام

هو إدراك المعلوم في الجملة لإثبات العقائد الدينية.

وأقصد بالمعلوم الموجود، أما المعدوم والحال فهو من لواحق مسألة الوجود. وما ذكر من أن بعض المتكلمين تعرض لهما فإنما ذلك من باب التتميم للموجود والتوضيح للمقصود بطريق المقابلة، فشأن عامة المتكلمين النظر في الموجود وقسمته دون المعدوم والحال.

(١) انظر شرح المقاصد للسعد التفتازاني ـ ج١ ـ ص ١٦٣.

ولقد قال الإمام الغزالي رضي الله عنه[١]: «إن المتكلم ينظر في أعم الأشياء وهو الموجود فيقسمه إلى: قديم ومحدث، والمحدث إلى جوهر وعرض، والعرض إلى ما يشترط فيه الحياة كالعلم والقدرة وإلى مالا يشترط كاللون والطعم، ويقسم الجوهر إلى الحيوان والنبات والجماد، ويبين أن اختلافهما بالأنواع أو بالأعراض، وينظر في القديم فيبين أنه لا يتكثر ولا يتركب وأنه يتميز عن المحدث بصفات تجب له، وأمور تمتنع عليه، وأحكام تجور في حقه من غير وجوب أو امتناع.

ويبين أن أصل الفعل جائز عليه وأن العالم فعله الجائز، فيفتقر بجوازه إلى محدث، وأنه قادر على بعث الرسل، وعلى تعريف صدقهم بالمعجزات، وأن هذا واقع، وحينئذ ينتهي تصرف العقل ويأخذ في التلقي من النبي ﷺ الثابت عنده صدقه وبقول ما يقوله في الله تعالى وفي أمر المبدأ والمعاد» اهـ.

مسائل علم الكلام

هي القضايا الكلامية النظرية الشرعية الاعتقادية.

وأعني بذلك القضايا التي تشتمل على المعاني الكلامية من إثبات أو سلب كالبحث عن ذات الله تعالى وصفاته، وكقولنا: الواجب ليس بجوهر ولا عرض، إلى غير ذلك.

(١) انظر شرح المقاصد للتفتازاني ١/ ١٧٦ نقلاً عن الغزالي.

غـايـة علـم الكـلام:

الإيقان بعد الإيمان، والفوز بالسعادتين، والنجاة في المبدأ والمعاد.

هذه هي مسائل علم الكلام وغايته في الجملة.

علم الكلام أشرف العلـوم

لما كان موضوع علم الكلام أعلى الموضوعات، ومعلومه أجل المعلومات، وغايته أسمى الغايات، وبراهينه يقينيات تبين أنه أشرف العلوم.

وما نقل عن السلف من الطعن فيه فمحمول على إفساد عقائد المبتدئين والتعصب في الدين، كما ذكره السعد التفتازاني رحمه الله في شرح المقاصد[1].

وفي الحقيقة: إن مباحث علم الكلام جارية على قانون الإسلام وقواعد الكتاب والسنة والإجماع والمعقول فهو موافق لهذه المصادر الشرعية، وفيه موافقة أيضاً لما علم من الدين بالضرورة كالبحث عن الكون أي «العالم» وأن مصيره إلى الفناء والزوال لا الدوام والبقاء إلى غير ذلك مما جزمت به الملة الإسلامية دون الملل الأخرى أعني «الفلاسفة».

---

(١) انظر شرح المقاصد للتفتازاني ١/ ١٧٥ ـ ١٧٦ بتصرف يسير.

نتائج البحث

لقد أسفر هذا الكتاب بوضوح عن معتقد الشيخ الإمام أبي المعين النسفي رحمه الله بشكل خاص، وعن عقيدة أهل السنة والجماعة بشكل عام.

* تعرض المصنف لبعض مباحث السياسة الشرعية، وبسط القول في الإمامة لعلاقتها الوثيقة بالعقائد الكلامية فإنها من المتممات.
* التصريح بالحق وبيان فساد عقيدة الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة.
* الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة بشكل صحيح وواضح.
* يعدُّ هذا الكتاب من كتب الأدلة، لأن المصنف سلك فيه مسلك الدليل والتعليل والترجيح.
* عُدّ هذا الكتاب في كتب الردود على شبه المخالفين لكثرة احتوائه على الردود.
* أبرز المصنف مئنة التشريع في كثير من مباحث الكتاب فضلاً عن مظنته.
* وأخيراً لقد احتوى على براعة الأسلوب، وسهولة التركيب، وحسن عرض الفكرة والاستدلال عليها.

وكثيراً ما نراه في مناقشاته مع المخالفين يحرر موضع النزاع، ويحصر موضع الخلاف، ويكشف عن المصادرة عن المطلوب بالنسبة للمخالف، ويتكلم بالفَرْق أحياناً، ولا يغصب منصب التعليل غصباً، بل يرتقي إليه أصولاً، ويسلك مسلك الممانع

والمعارض والمناقض لوهن علة الخصم وضعف دليله ، ويؤيد قوله بكثرة الأصول والأدلة ، ويجيب على إيرادات مقدرة ، كقوله فإن قيل: قلنا ، ويصرح باسم المخالف وصاحب الشبهة ، ويرد عليه رداً مصاحباً للحجة والبرهان. خاصة حينما نراه يردُّ على الإباحية تلك الفرقة الضالة المضلة التي لا تعتقد تحريماً لشيء من الأشياء ، فالأشياء كلها بنظرهم وضعت على الإباحة من غير أي اعتبار آخر وأن كل ما خلقه الله تعالى في هذا الكون وأوجده هو ملك للجميع مشترك حتى النساء إلى غير ذلك من الترهات والأقوال التي لا تخضع تحت قانون أو نظام ، أو قواعد شرعية ومبادىء إسلامية ، فاعتقاد أهل الإباحة اعتقاد فاسد لا يقبله عقل بشري ، والسبب في ذلك أنهم تحللوا من ربقة الإسلام واتبعوا أهواءهم وشهواتهم ، فاستحوذ عليهم الشيطان وسوّل لهم أن التدين بدين الإسلام عار ، وأن الخمر والميسر والاسترسال في الشهوات ، والانغماس في الإباحية نوع من الحرية ، ولقد قيض الله تعالى للرد على هذه الفرقة ودفع أباطيلهم علماء عاملين ، وكان منهم إمامنا أبو المعين النسفي رحمه الله في كتابه هذا بحر الكلام ، كما أنه تصدى للرد على المنجمين والمشعوذين في ضلالاتهم وأهوائهم كما هو مشاهد في آخر أبحاث هذا الكتاب.

وإنما كان سلاح أبي المعين النسفي رحمه الله في دحض شبه الملحدين والمارقين عن الدين سلاح الحجة والبرهان «المنطق والعقل» فجزاه الله عنّا خير الجزاء ، وأثابه أكبر الثواب لما قدمه للأمة الإسلامية من علوم ومعارف ، ووقوف أمام الإلحاد والكفر والضلال ، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

* * *



بحر الكلام

تأليف

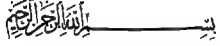
الشيخ الإمام ميمون بن محمد النسفي
الشهير بأبي المعين النسفي
المتوفى سنة
٥٠٨

دراسة وتعليق

الدكتور ولي الدين محمد صالح الفرفور



مقدمة المؤلف



الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، والصلاة على رسوله محمد خير الأنام وعلى آله وأصحابه الكرام

قال الشيخ الإمام الأجل رئيس أهل السنة والجماعة ، سيف الحق أبو المعين النسفي رحمة الله عليه: اعلموا أني اعتقدت[١] معرفة الله تعالى والتوحيد .

أقول: بأن الله [تعالى] واحد فرد قديم أزلي[٢] ، وأنه صمد[٣] لا شريك له ، ولا مِثْلَ[٤] ، ولا شبيه له ، ولا شكل له ، ولا ضدَّ له ، ولا نِدَّ له[٥] ، لم يزل فرداً وتراً ولا يزال كذلك أبداً وهو الكامل في ذاته ، الأزليُّ بصفاته ، المنزَّه عن النقصان ، العالم بلا نسيان ، لم يزل كان قبل أن يخلق المكان ، وقبل أن يخلق الوقت والزمان .

(١) الاعتقاد ربط القلب بالشيء بأنه كذا فلا يكون إلا كذا وقيل: الإدراك الجازم المطابق للواقع .

(٢) أزلي: هو الذي لا ابتداء لوجوده ، أو هو الذي لا يسبق العدم وجوده .

(٣) صمد: بمعنى نحتاج إليه .

(٤) ولا مثل له: أي لا شريك له في النوع ، لأنه لا نوع له كما لا جنس له .

(٥) الند: هو الشريك في الصفات .

ثم إنه تعالى خلق العرش والوقت، واستوى على العرش[(١)]، وهو مستغنٍ عن العرش، وليس العرش له بمستقرٍّ ولا بمكان، بل هو ممسكُ العرش والمكان، وهو أعظم من أن يسع المكان، وهو فوق كل مكان، علِم ما يكون قبل أن يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون، قد سبق علمه الأشياء قبل كونها، ولا يكون في ملكه شيء إلا هو بعلمه، ومشيئته[(٢)]، وتقديره، وقضائه، وهو كما وصف نفسه في كتابه، من غير صورة، وكما عرَّف نفسه، من غير رؤية وإحاطة[(٣)]، فقال جل جلاله لرسول الله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ...﴾ إلى تمام سورة الإخلاص - آية ١.

وهو إشارة إلى الموجود، ونقضٌ على المعطِّلة[(٤)] والباطنية[(٥)] و«أحد» إثبات وحدته، نقضٌ على المشركين والثنوية[(٦)]. و«الصمد» نقض على المشبهة[(٧)]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾لم يلد ولم يولد،

(١) أي غلب.

(٢) المشيئة: هي عبارة عن صفة في الحي توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الأوقات بالوقوع مع استواء نسبة القدرة إلى الكل.

(٣) أي من غير رؤية في الدنيا ومن غير إحاطة في الآخرة.

(٤) المعطلة: هي فرقة يقولون: الله اثنان أحدهما معطل والثاني متصرف.

(٥) الباطنية: يسموا بالباطنية لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره.

(٦) الثنوية: هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان وبأنهما متساويان في القدم مختلفان في الجوهر والطبع والخير والمكان والأجناس والأبدان والأرواح، انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١ - ص ٢٤٤.

(٧) تنقسم المشبهة إلى قسمين: مشبهة الشيعة الغالية ومشبهة الحشوية وهم جماعة من أصحاب الحديث، أما مشبهة الحشوية فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن نصر وكهمس وأحمد الهجيمي أنهم أجازوا على ربهم =

نقض على اليهود والنصارى ، «ولم يكن له كفواً أحد» نقض على المجوس بقولهم «يزدان وأهرمن»[(١)] .

= الملامسة والمصافحة وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوز الرؤية في الدنيا وأن يزوره ويزورهم ، وأما ما ورد في التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والاتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها أي ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام وكذلك ما ورد في الأخبار من الصورة وغيرها .
وأما مشبهة الشيعة الغالية فهم أصحاب المغيرة بن سعد العجلي يزعمون أنه كان يقول إنه نبي وإنه يعلم اسم الله الأكبر وأن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج وله من الأعضاء والخلق مثل ما للرجال وله جوف وقلب تنبع منه الحكمة وغير ذلك والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول أي أن الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر في كل شخص من أشخاص البصر ، والحلول قد يكون بجزء وقد يكون بكل ، أما الحلول بجزء فهو كإشراق الشمس في كوة أو كإشراقها على البللور ، أما الحلول بكل فهو كظهور ملك بشخص أو شيطان بحيوان.
انظر الملل والنحل للشهرستاني ـ ج١ ـ ص ١٠٤ ـ ١٧٥ . ومقالات الإسلاميين للأشعري ـ ج١ ـ ص٦ .

(١) يزدان خالق الخير، وأهرمن: خالق الشر ، والمجوسية دين فارسي قديم طرأ عليه كثير من التطور وقد عرفه العرب في الجاهلية ورد عليه القرآن ، والمجوس ثنائيون يؤمنون بوجود مبدأين متناقضين في الكون وهم بذلك ينتمون إلى الزرداشتية وكان العرب يعرفون عنهم عبادة النار، انظر الملل والنحل ٢/ ٧٣ـ ٨٣.
وأخيراً إن سورة الإخلاص نفت أصول الكفر الثمانية الكثرة بمعنى التركيب والعدد والنقص بمعنى الاحتياج والقلة بمعنى البساطة والعلة والمعلول والشبيه والنظير، أما الكثرة والعدد فانتفاؤهما بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والنقص والقلة بقوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ والعلة والمعلول بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ والشبيه والنظير بقوله : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. انظر الصاوي على جوهرة التوحيد ص ١٦٢ .

كما قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١].

فلما تبين وظهر اعتقاده سئل عن معتقده وقيل: ما المعرفة وما التوحيد وما الإيمان وما الإسلام وما الدين.

أما المعرفة: فأن تعرفه بالوحدانية.

وأما التوحيد: فأن تنفي عنه الشريك والأمثال والأضداد[٢].

وأما الإيمان: فالإقرار باللسان، والتصديق بالقلب بوحدانية الله تعالى.

وأما الإسلام: فأن تعبد الله بالوحدانية.

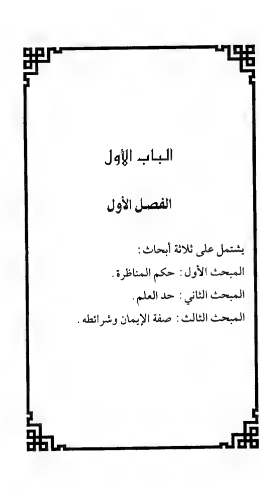
وأما الدين: [فهو] الثبات على هذه الخصال الأربع إلى الموت، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٣].

* * *

(١) سورة الشورى: آية ١١.

(٢) الأضداد جمع ضد وهو النظير والكفء. اهـ. مصباح.

(٣) من سورة آل عمران: آية ٨٥.



الباب الأول

الفصل الأول

يشتمل على ثلاثة أبحاث:

المبحث الأول: حكم المناظرة.

المبحث الثاني: حد العلم.

المبحث الثالث: صفة الإيمان وشرائطه.



المبحث الأول
حكم المناظرة[1]

ثم اعلم أن المناظرة في الدين جائزة بخلاف ما قالت المبتدعة: إنها لا تجوز.

وإنما تكره إذا كانت للرياء وطلب الجاه والثناء والدنيا.

المبحث الثاني
حد العلم[2]

فإن قيل: ما حد العلم؟

قال أهل السنة والجماعة: معرفة المعلوم على ما هو به وهو علم المخلوقين.

وعلم الله تعالى الإحاطة والخُبْر على ما هو به؛ لأنه لا يوصف

---

(١) المناظرة مع النظر بالبصر إلى الجانبين لإظهار الصواب فهي جائزة كما ذكرها المصنف رحمه الله، وكل مناظرة نظر وليس كل نظر مناظرة.

(٢) اعلم أن الاعتقاد إن كان جازماً مطابقاً ثابتاً فهو العلم وإن لم يكن ثابتاً فهو التقليد، وإن لم يكن مطابقاً فهو الجهل المركب، وإن لم يكن جازماً ويساوي الطرفين فهو الشك، وإلا فالراجح الظن والمرجوح الوهم.

بالمعرفة ، لأنه لم يزل عالماً لما بيّنا[١] .

قال تعالى : ﴿ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾[٢] .

وقالت المعتزلة[٣] : حد العلم معرفة الشيء على ما هو به ، وهذا

---

(١) أي بقوله قديم أزلي.

(٢) من سورة الكهف آية: ١٩.

(٣) المعتزلة: ويسمون أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد ، ويُلقبون بالقدرية والعدلية ، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازاً من وصمة اللقب إذ كان الذم به متفقاً عليه لقوله عليه الصلاة والسلام: «القدرية مجوس هذه الأمة» ، ومن شيوخ هذه الطائفة ورئيسها واصل بن عطاء الغزال تلميذ الحسن البصري رضي الله عنه يقرأ عليه الأخبار والعلوم وكان في أيام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك ، واعتزالهم يدور على أربع قواعد:

القاعدة الأولى: القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة.

القاعدة الثانية: القول بالقدر ، وإنما سلكوا في ذلك مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي.

القاعدة الثالثة: القول بالمنزلة بين المنزلتين.

القاعدة الرابعة: **قولهم في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين. إن** أحدهما مخطىء لا بعينه وكذلك قولهم في عثمان وقاتليه وخاذليه إن أحد الفريقين فاسق لامحالة كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا محالة لكن لا بعينه وقد عرفت قولهم في ألفاسق وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادة المتلاعنين فلا يجوز قبول شهادة علي وطلحة والزبير وجوزوا أن يكون عثمان وعلي على الخطأ. انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١ ـ ص ٤٣ .

وقد انقسمت المعتزلة إلى مدرستين كبيرتين هما مدرسة البصرة وبغداد ، وفي مدرسة البصرة واصل بن عطاء ، ويدعى أتباعه بالواصلية وعمرو بن عبيد، ويدعى أتباعه بالعمرية ، وأبو الهذيل العلاف ، ويدعى أتباعه بالهذيلية ، وابراهيم النظام ويدعى أتباعه بالناظمية ، ومعمر بن عبادي السلمي ويدعى =

باطل، لأن المعدوم ليس بشيء، ولا يقع عليه اسم الشيء، لأن الله تعالى خلق الأشياء لا من شيء.

قالت المعتزلة: خلق الله الأشياء بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1] وعندنا: بالصنع لا بالقول، فلو قلنا إنه معرفة الشيء على ما هو به يؤدي إلى قِدم الأعيان مع الله تعالى، وذلك مذهب الدهرية[2] الكفرة الفجرة؛ لأن عندهم العالم قديم، والله تعالى عالِم بعلمه، والعلم من صفاته الأزلية بخلاف ما قالت المعتزلة: إن ذاته علمه،

= أتباعه بالمعمرية، وهشام الفوطي ويدعى أتباعه بالهاشمية، وعباد بن سليمان ويدعى أتباعه بالعبادية، وعمرو بن بحر الجاحظ ويدعى أتباعه بالجاحظية، وأبو يعقوب الشحام ويدعى أتباعه بالشحامية، وأبو علي الجبائي ويدعى أتباعه بالجبائية، وأبو هاشم الجبائي ويدعى أتباعه بالهاشمية.

وفي مدرسة بغداد: بشر بن المعتمر ويدعى أتباعه بالبشرية، وأبو موسى المردار ويدعى أتباعه بالمردارية، وجعفر بن حرب ويدعى أتباعه بالجعفرية، وجعفر بن المبشر ويدعى أتباعه بالمبشرية، وثمامة بن أشرس ويدعى أتباعه بالثمامية، وأبو الحسن الخياط ويدعى أتباعه بالخياطية، وأبو القاسم الكعبي ويدعى أتباعه بالكعبية، ومحمد بن عبد الله الاسكافي ويدعى أتباعه بالاسكافية، وأبو بكر الإخشيدي ويدعى أتباعه بالإخشيدية.

انظر كتاب نشأة الأشعرية وتطورها للدكتور جلال موسى ص ١٢٢.

(١) سورة يس: الآية ٨٢.

(٢) الدهرية: هم اللذين قالوا: بقدم العالم الحقيقي لا النسبي والقول بقدم العالم كفر. قال الامام الغزالي رضي الله عنه:

بثلاثةٍ كفرَ الفلاسفةُ العِدَا إذا أنكروها وهيَ حقاً مثبتة
علمٌ بجزئيٍّ حدوثُ عوالمٍ حشرٌ لأجسادٍ وكانتْ مَيْتَة

انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم البيجوري ص/٦٨، ومن عقائدهم أيضاً إسناد الحوادث إلى الدهر. وقال الكستلي في شرحه على العقائد هي فرقة لا تؤمن إلا بالمحسوس ولا تعتقد بوجود عالم وراء هذا العالم المادي ولا تؤمن بالبعث والثواب والعقاب.

فالله تعالى عالم بذاته على ما ذكرنا.

وعندنا هو عالم بعلمه، والعلم من صفاته الأزلية، عَلِمَ ما يكون قبل أن يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون، قد سبق علمه الأشياء قبل كونها قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[1].

وقالت الرافضة[2] والقدرية[3]: إنه لا يعلم الشيء مالم يخلقه ويوجده، والعلم أفضل من العقل، وعقل الأنبياء لا يكون كعقل الأولياء، وعقل الأنبياء لا يكون كعقل نبينا محمد ﷺ بخلاف ما قالت المعتزلة: إن الناس كلهم في العقول سواء.

وكل عاقل بالغ يجب عليه أن يستدل بأن للعالم صانعاً كما استدل سيدنا ابراهيم عليه السلام.

---

(١) من سورة النمل، آية ٦٥.

(٢) الرافضة: صنف من الشيعة، وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويقال: إنما سموا الروافض لكونهم رفضوا الدين، لأن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطفى عسكره في أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا فارس. فقال لهم زيد رفضتموني قالوا: نعم. فبقي عليهم هذا الاسم.
والرافضة مجمعون على أن النبي ﷺ وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول: إنه ليس بإمام. وأبطلوا جميعاً الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الامام لا يكون إلا أفضل الناس. وزعموا أن علياً رضوان الله عليه كان مصيباً في جميع أحواله، وأنه لم يخطىء في شيء من أمور الدين. انظر مقالات الاسلاميين للأشعري - ج١ - ص ٨٨.

(٣) سُموا قدرية، لردهم قضاء الله عز وجل وقدره في معاصي العباد وإثباتهم لها بأنفسهم، ومذهب المعتزلة والجهمية والقدرية في نفي الصفات واحد.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾[١] وأصحاب الكهف أيضاً قالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾[٢].

غير أن من لم يبلغه الوحي لا يكون معذوراً، بخلاف ما قالت المتقشفة[٣] والأشعرية[٤]؛ لأن المذهب عندنا، الإيمان فعل العبد بهداية الرب جل جلاله، ولا نقول بأن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، فنقول: من العبد الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، ومن الله تعالى الهداية والتوفيق وعند الشافعي[٥]

(١) من سورة الأنعام: آية ٧٦.

(٢) من سورة الكهف آية / ١٤/ قال علي رضي الله عنه كانوا سبعة وأسماؤهم مكسلمينا - يملنيخا - مسليتنا - مرنوس - دبرنوس - ساونوس والسابع الراعي كذا في تفسير الرزاي واسم كلبهم: حمران.

(٣) لم أعثر على ترجمة لهم وأظن أنهم من الزهاد قد حرموا على أنفسهم أكل اللحم.

(٤) هم اصحاب أبي الحسن الأشعري علي بن اسماعيل المتوفي سنة ٣٢٤ هـ المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، ومن عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كان يقرر عين ما يقرره أبو الحسن الأشعري في مذهبه. وقد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه، فقال عمرو: أين أجد أحداً أحاكم إليه ربي. فقال أبو موسى أنا ذلك المتحاكم إليه فقال عمرو أو يقدر عليّ شيئاً ثم يعذبني عليه. قال: نعم، قال عمرو: ولم. قال: لأنه لا يظلمك. فسكت عمرو ولم يحر جواباً.

(٥) الشافعي: هو محمد بن إدريس الشافعي القرشي يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف ولد سنة ١٥٠ هـ بمدينة غزة ثم انتقلت أمه إلى مكة وتوفي بمصر سنة ١٠٤ هـ وبعد ولادته بسنتين رجعت به أمه إلى مكة. ولقد حفظ القرآن في صباه واستفاد العربية والفصاحة ثم رحل إلى دار الهجرة بعد أن حفظ الموطأ وقرأه على مالك ثم سافر إلى العراق ثلاث مرات والتقى فيها بأصحاب الإمام أبي حنيفة كمحمد بن الحسن الشيباني وغيره ثم أم مصر ونزل القسطاط ونشر =

رحمه الله: العمل بالأركان من الإيمان.

وقالت المتقشفة: الإيمان مجرد القول دون التصديق.

فإن قيل: ما تقول في الإيمان أهو من الله تعالى إلى العبد أو من العبد إلى الله تعالى، أو بعضه من الله تعالى وبعضه من العبد؟

فإن قال: من الله تعالى إلى العبد فهذا قوة مذهب الجبرية[1]، لأنهم قالوا: العبد مجبور على الإيمان والكفر.

وإن قال: من العبد إلى الله تعالى فهذا قوة مذهب القدرية[2] لأنهم قالوا: العبد مستطيع لكسب نفسه لنفسه قبل الفعل ولا يحتاج إلى قوة وعون من الله تعالى.

الجواب عنه أن نقول: الإيمان فعل العبد بهداية الرب جل جلاله والتعريف من الله تعالى، والمعرفة والتعرّف من العبد، والهداية من الله تعالى والاهتداء والاستهداء من العبد، والتوفيق من الله تعالى، والجد والعزم والقصد من العبد، والإكرام والإعطاء من الله تعالى،

= هناك مذهبه الجديد بنفسه ثم نشر أصحابه مذهبه من بعده كالربيع بن سليمان المرادي والمزني وغيرهما ومن إملائه على تلاميذه كتاب الأم والرسالة الأصولية وغيرها.

(١) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الله تعالى. والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرةً على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة هي التي لا تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل وسمي ذلك كسباً فليس بجبري والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة اثراً في الإبداع والإحداث استقلالاً جبرياً، والمصنفون عدوا النجارية والفرارية من الجبرية.
انظر الملل والنحل للشهرستاني ـ ج١ ـ ص ٨٥.

(٢) مرت ترجمتهم.

والقبول من العبد ، فما كان من الله تعالى فهو غير مخلوق ، وما كان من العبد فهو مخلوق؛ لأن الله تعالى بجميع صفاته غير مخلوق والعبد بجميع صفاته مخلوق ، وكل من لم يُميز صفة الله تعالى من صفة العبد فهو ضال مبتدع .

وقالت المفروغية[1] : الإيمان من الله تعالى إلى العبد ، وهو غير مخلوق لقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[2] ولأنه غير مخلوق كالقرآن ، والجواب عنه ما ذكرنا .

فإن قيل : الإيمان لو كان بعضه من الله وبعضه من العبد يكون مشتركاً بين الرب والعبد وذلك لا يجوز .

الجواب عنه أن نقول : التعريف من الله تعالى سبب لنجاة العبد ، والعبد مسبب ، والله مسبِّب والمسبَّب غير السبب كما أن الرزق سبب لبقاء العبد ، وكذلك الوضوء سبب لجواز الصلاة ، ولا يقال بأنه من الصلاة فكذا التعريف من الله تعالى سبب لنجاة العبد ، وهو نور في قلب المؤمن فلا يكون مشتركاً ، ونور المعرفة في قلب المؤمن مخلوق ، لأن ما سوى الله تعالى فهو مخلوق ، وهذا يرجع إلى أصل ، وهو أن الجَعْل غير المجْعُول ، والترزيق غير المرزوق ، والتخليق غير المخلوق ، والتعريف غير المعرفة ، والتكوين غير المكون .

وقالت المعتزلة والمتقشفة : كلاهما مخلوقان .

(١) فرقة من الجبرية قالوا : كل الأشياء خلقت وفرغ منها والآن لا يخلق شيء لهذا سموا المفروغية . انظر تلبيس إبليس ص ٢٣ ، ٢٤ . والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ـ ص ١٣٨ .

(٢) من سورة آل عمران : آية ١٨ .

وقالت المفروغية[١]: كلاهما غير مخلوقين وهو التعريف والمعرفة.

وعند أهل السنة والجماعة: التعريف من الله تعالىٰ غير مخلوق، والمعرفة والتعريف من العبد مخلوق.

* * *

(١) تقدمت ترجمتها.

المبحث الثالث
في
صفة الإيمان وشرطه

فإن قيل: ما صفة الإيمان ، وما شرائط الإيمان؟

قلت: الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى عند أهل السنة والجماعة.

وقالت المعتزلة: كله من العبد؛ لأن الله تعالى لا يقدِّر الشر ، ولا يقضي بالشر ، ولا يشاء الشر؛ لأنه لو قضى بالشر ثم يعذبهم على ذلك لكان ذلك منه ظلماً وجوراً والله تعالى منزه عن الظلم والجور ، وسمّوا أنفسهم أهل العدل والتوحيد لهذا.

لكنا نقول: العبد مخيّر مستطيع ، والقضاء بالشر لا يجبرهم على المعصية كالعلم. ولأن القضاء صفة القاضي ، والصفة لا تجبر أحداً على الفعل ، كالعلم بالخياطة والنجارة ، لا يجبر الخياط والنجار على تحصيل الفعل ، بل العبد مخيّر مستطيع ، ولهذا المعنى[1] استحق العقوبة كما لو قال لعبده إن دخلت الدار فأنت حر فدخل

(١) أي لأجل عدم الإجبار وكون العبد مخيراً مستطيعاً.

الدار يعتق ، وكذلك في الطلاق يقع الطلاق والعتق بدخول الدار ، ولا يقال: بأن تلك اليمين تدل على الدخول إذ أجبرته ، كذلك ههنا الفعل وإن كان بقضاء الله تعالى ، ولكن لا يقال بأن القضاء أجبره على الفعل.

وجواب آخر: إن القضاء سرّ الله تعالى أخفاه عن الخلق ، والأمر والنهي حجة الله تعالى على خلقه ، فإذا ترك أمر الظاهر وهو مستطيع فلذلك المعنى يستحق العقوبة.

فإن قيل: لو قلنا بأن الله تعالى يقضي بالشر ، فالعبد لا يقدر أن يفرّ من قضاء الله تعالى ، فيؤدي إلى أن يُنسب الشر إلى الله تعالى.

قلنا: فعل العبد مميّز من قضاء الله تعالى ، ألا ترى أن الله خلق آلة الزنا ولا ينسب الزنا إلى الله تعالى.

يدل عليه أن الله تعالى: خلق الحركة والقوة في نفس العبد والعبد مستطيع باستطاعة نفسه ولا تُنسب الحركة والقوة إلى الله تعالى ، وإن كان بقضائه ومشيئته.

يدل على صحة ما قلنا: أن الله تعالى لو لم يشأ الشرّ والكفر والمعصية ولا يقضي به ، والعبد يشاؤه ويفعله لغلبت مشيئة العبد مشيئة الله تعالى ، فيؤدي إلى أن يُنسب العجز إلى الله تعالى ، وهذا كفر ، وكل المشيئات تحت مشيئة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1].

ويدل عليه أنه لو قال: مشيئتي وإرادتي بغير مشيئة الله تعالى وإرادته يكون في ذلك دعوى الربوبية مع الله تعالى وهذا كفر ، كما

---

(١) من سورة الإنسان: آية ٣٠.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١]، فيثبت أن كل مشيئة تحت مشيئة الله تعالى[٢]، ولأن الله تعالى علم من فرعون وإبليس لعنهما الله الكفر، فلو قلنا: بأنه لم يُرد منهما الكفر ولم يشأ تكون إرادته بخلاف علمه وهذا لا يجوز، لأنه إذا بطل العلم بقي السفه[٣] والله تعالى منزه عن السفه والجهل، وهذا بخلاف الأمر؛ لأنه جاء النص من الله تعالى أن لا يأمر بالشرّ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[٤] يعني الزنا.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[٥] فصار معدولاً عن القياس.

ولأنه يجوز أن يأمر الله تعالى منه بشيء ولا يريده كإبليس عليه

---

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم ولد قبل البعثة بعشر سنين، تربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولما آخى النبي ﷺ بين أصحابه، قال له: أنت أخي، ومناقبه كثيرة، وروى عنه من الصحابة ولده الحسن والحسين وابن مسعود وابن عباس وأبو موسى الأشعري وغيرهم، وكان قد اشتهر بالفروسية والشجاعة، وكان أحد الشورى الذين نص عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قُتل في رمضان سنة أربعين للهجرة، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر. انظر الإصابة ـ ج٢ ـ ص ٥٠٧ وما بعدها بتصرف.

(٢) قال القائل:
فما شئتَ كانَ وإنْ لمْ أشأْ وما شئتُ إنْ لمْ تشأْ لمْ يكُنْ

(٣) هو خفة واضطراب في العقل، وعدم المبالاة والمقصود به ههنا «الجهل» والله منزه عنه.

(٤) من سورة الأعراف: آية ٢٨.

(٥) من سورة البقرة: آية ٢٠٥.

اللعنة أمره بالسجود لآدم عليه السلام ولم يُرد منه السجدة ونهى آدم عليه السلام عن أكل الشجرة ولم يرد منه الامتناع بل أراد منه أكل الشجرة[1].

* * *

(١) خلافاً للمعتزلة فإنهم اعتقدوا أن الأمر يستلزم الارادة والنهي عدم الارادة فجعلوا إيمان الكافر مراداً وكفره غير مراد ويؤمر به كما مثل المصنف بسجود إبليس لآدم. وقد يكون مراداً وينهى عنه لحكم ومصالح يحيط بها علم الله كأكل آدم عليه السلام من الشجرة ألا يرى أن السيد إذا أراد أن يظهر على الحاضرين عصيان عبده يأمره بالشيء ولا يريده منه فكذا هذا.

الفصل الثاني

يشتمل على خمسة أبحاث:

المبحث الأول: اختيار الإيمان والكفر.

المبحث الثاني: القدرة والاستطاعة.

المبحث الثالث: السعادة والشقاء.

المبحث الرابع: حكم من لم تبلغه الدعوة.

المبحث الخامس: حكم من لم يعرف شرائط الإيمان.



المبحث الأول
في
اختيار الإيمان والكفر

اعلم أن الله تعالى لما خلق الخلق حين أخرجهم من صُلب آدم عليه السلام يوم الميثاق، لم يكونوا مؤمنين ولا كافرين وكانوا خلقاً، ثم عرض عليهم الإيمان والكفر. فكل من اختار الإيمان وقبله اعتقاداً فهو مؤمن، وكل من لم يختر الإيمان فهو كافر، وكل من أجاب بالقول دون الاعتقاد فهو منافق، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[1].

ثم الدليل على أن الله تعالى خلق الأجساد مع الأرواح كما هو الآن. قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾.

١) من سورة الأعراف: آية ١٧٢.
اتفق عامة المفسرين وجمهور الصحابة والتابعين على إخراج ذرية آدم عليه السلام من ظهره، وأخذ الميثاق عليهم في عنصره، ومنهم من يقول عرض ذلك على الأرواح دون الأبدان وجدد الله تعالى هذا العهد المنسي وذكرنا به بإرسال الرسل وإنزال الكتب فلا عذر بعد ذلك.

الخطاب والسؤال إلى الأجساد مع الأرواح ، ثم ردهم إلى أصلاب آبائهم ، ثم أخرج أولاد آدم عليه السلام منه ثم أخرج أولاد أولاده من أولاده هكذا إلى يوم القيامة ، لأن الله تعالى قال: ﴿ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ .

وقالت الجبرية: إن الله تعالى خلق المؤمنين مؤمنين ، والكافرين كافرين ، وإبليس عليه اللعنة لم يزل كافراً وأبو بكر[1] وعمر[2] رضي

(١) أبو بكر الصديق: عبد الله بن أبي قحافة بن عامر بن كعب التيمي القرشي ، أول الخلفاء الراشدين ، وأول من أسلم من الرجال ، وأحد أعاظم العرب. ولد بمكة سنة ٥١ ق هـ ونشأ سيداً من سادات قريش ، وغنياً من كبار موسريهم ، وعالماً بأخبار القبائل وأنسابها وسياستها ، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش ، وحرم على نفسه الخمر في الجاهلية فلم يشربها.
شهد الحروب ، واحتمل الشدائد ، وبذل الأموال كان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة ، خطيباً لسناً وشجاعاً بطلاً. وكانت مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف. توفي في المدينة سنة ١٣ هـ.
انظر الأعلام للزركلي ٤/ ١٠٢ ـ وتهذيب التهذيب ٥/ ٣١٥.
عمر بن الخطاب: بن نفيل القرشي العدوي أبو حفص ، ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بأمير المؤمنين ، الصحابي الجليل الشجاع الحازم صاحب الفتوحات يضرب بعدله المثل. كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم ولد سنة ٤٠ ق هـ . أسلم قبل الهجرة بخمس سنين وشهد الوقائع.
قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب. وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة ١٣ هـ بعهد منه وفي أيامه تم فتح الشام والعراق وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة حتى قيل انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الاسلام. وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري ، وأول من دوّنَ الدواوين في الاسلام ولقبه النبي ﷺ بالفاروق. وكان يقضي على عهد رسول الله ﷺ. قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة غيلة سنة ٢٣ هـ.
انظر أعلام الزركلي ٥/ ٤٥ ـ ٤ ـ ابن الأثير ٣/ ١٩ ـ صفة الصفوة ١/ ١٠١ ـ=

الله عنهما كانا مؤمنين قبل الإسلام ، والأنبياء كانوا أنبياء قبل الوحي وكذلك إخوة يوسف كانوا أنبياء وقت المعصية علىٰ سبيل الندرة.

وقال أهل السنة والجماعة: صاروا أنبياء بعد ذلك ، وإبليس صار كافراً بترك السجدة ، لأن عند الجبرية الكفار مجبورون على الكفر والمعصية وهم معذبون ، والمؤمنون مجبورون على الطاعة والإيمان.

وإنا نقول: العبد مخيّر مستطيع على الطاعة والمعصية وليس بمجبور والتوفيق والخذلان من الله تعالى ، وتقدير الخير والشرّ من الله تعالىٰ ، والمسألة بتمامها مسطورة في آخر الكتاب.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1]. فلو كانوا مؤمنين لم يأمرهم ولا يخاطبهم بالإيمان.

ويدل عليه قوله ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أقاتِلَ الناسَ حتى يقولُوا: لا إلهَ إلا الله ، فإذا قالوهَا فقدْ عَصَمُوا مني دِمَاءَهُمْ وأموالَهُمْ إلا بالحقّ وحسابُهُمْ على الله تعالى»[2] والمؤمن لم يقاتَل.

* * *

= الإصابة ٥٧٣٨ ـ حلية الأولياء ١/ ٣٨.

(١) من سورة النساء ـ آية ١٣٦.

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عمر في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة رقم/ ٢٥ ، وأخرجه مسلم عن ابن عمر في: الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ١/ ٣٩ ، وعند مسلم إلا بحقها .

المبحث الثاني
في
القدرة والاستطاعة

فإن قيل: إذا كانت الاستطاعة[1] من الله تعالى إلى العبد وقت

(١) الاستطاعة: هي حقيقة القدرة التي يكون بها الفعل، وقال المصنف أبو المعين رحمه الله في التبصرة: هي عرض يخلقه الله تعالى في الحيوان ليفعل به الأفعال الاختيارية، وهي علة للفعل. والجمهور على أنها شرط لأداء الفعل لا علة وبالجملة هي صفة يخلقها الله تعالى عند قصد اكتساب الفعل بعد سلامة الأسباب والآلات، وإذا كانت الاستطاعة عرضاً وجب أن تكون مقارنة للفعل بالزمان لا سابقة عليه، وإلا لزم وقوع الفعل بلا استطاعة وقدرة عليه، لامتناع بقاء الأعراض زمانين.
كذا ذكره التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية ص ١٤٦ والاستطاعة استفعال من الطوع. وهي عند المحققين اسم للمعاني التي بها يتمكن الانسان مما يريده من إحداث الفعل وهي أربعة أشياء: نية مخصوصة للفاعل، وتصور للفعل، ومادة قابلة للتأثير، وآلة إن كان الفعل آلياً كالكتابة. يضاده العجز وهو ألا يجد أحد هذه الأربعة. ثم إن الاستطاعة التي حصل بها الإيمان صلحت له ولا تصلح للكفر إذا اقترنت بالإيمان، ولكنها لو اقترنت بالكفر بدلاً من اقترانها بالإيمان لصلحت له بدلاً من صلاحها للإيمان، وهذا معنى قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه: إن القدرة تصلح للضدين على البدل. والدليل عليه هو أن القدرة لو لم تكن صالحة للضدين لكان فيه تكلف مالا يطاق فإن الكافر مأمور بالإيمان ولو لم تكن معه القدرة الصالحة للإيمان لزم ذلك فالقول: بأنه لا تصلح للضدين قول بالإضطرار لا بالإختيار وهو قول الأشعرية، والظاهر =

الفعل مقارنة للفعل لا مقدمة [عليه] ولا مؤخرة ، والخير والشر والإيمان والكفر والطاعة والمعصية بتقدير الله تعالى وقضائه ومشيئته وإرادته وتوفيقه وخذلانه وعصمته ، فبأي سبب يستحق العبد العقوبة والمثوبة .

فإنا نقول : اعلم أن الأمر بالطاعة من الله تعالى ، والإتيان بالطاعة من العبد ، والنهي من الله تعالى ، والانتهاء من العبد . والاستطاعة والقوة من الله تعالى ، والاكتساب والجهد والعزم من العبد ، فمتى وجد منه الجهد والقصد والاكتساب تحصل له القوة والاستطاعة من الله تعالى مقارنة للفعل ، فيستحق الثواب والعقاب بفعل نفسه ، وكذلك عطاء الإيمان من الله تعالى والقبول من العبد . والهداية والتعريف من الله تعالى ، والقصد والتضرع والدعاء من العبد ، والخذلان في المعصية من الله تعالى ، والتوبة والاستغفار من العبد ، والنعمة من الله تعالى والشكر من العبد ، فإذا وجد منه القصد والنية في المعصية ، يجري خذلان الله تعالى مع نيته وقصده وعزمه ، فإذا

= من قول الشيخ الإمام أبي منصور الماتريدي على ما ذكره الكفوي في «الكليات» من أن أكثر كلامه يدل على أنه يميل إلى أنها لا تصلح للضدين وأخيراً يمكن أن نقول : إن صحة التكليف تعتمد على هذه الاستطاعة التي هي عرض يخلقه الله في الحيوان يتمكن به من الفعل والترك مع سلامة الأسباب والآلات والجوارح والأعضاء ، فالمكلف إذا قصد اكتساب الفعل عند سلامة هذه الأسباب والآلات يخلق الله القدرة الحقيقية وقت مباشرته ، ولا يحصل له ذلك عند عدم سلامة الأسباب والآلات . هكذا جرت السنة الإلهية فإذا قصد العبد فعل الخير يخلق الله وقت مباشرته ذلك الفعل قدرة اكتساب الشر مقارناً له ، فلما قصد العبد فعل الشر وحصل له قدرة اكتساب فعل الشر كان مضيعاً حصول قدرة فعل الخير بفعله الشر ، فيعذب في الآخرة بسبب تضييع فعل الخير وتحصيله مكانه فعل الشر .

وجد عزمه ونيته في الطاعة يجري توفيق الله تعالى مع نيته وقصده وعزمه . فإنما يستحق الثواب والعقاب بالجهد والقصد والاكتساب، وذلك من فعل العبد وصفاته ، ومن قال غير هذا فهو ضال ومبتدع.

جواب آخر : وهو إنما يستحق العقاب بترك الأمر والنهي ، وهما ظاهران كما ذكرنا .







المبحث الثالث
في
السعادة و الشقاء

فإن قيل: السعيد هل يصير شقياً والشقي هل يصير سعيداً أم لا.

قلنا: من كان سابقاً في علم الله تعالى أنه شقي أو سعيد فإنه لا يتغير ولا يتبدل علمه، ولكن يجوز أن يكون اسمه مكتوباً في اللوح المحفوظ من الأشقياء أو من السعداء ثم يحول ذلك فيكتب من الأشقياء أو من السعداء، لأنّا لو قلنا بأن الشقي لا يصير سعيداً والسعيد لا يصير شقياً يؤدي إلى إبطال الكتب والرسل وهذا لا يجوز[1].

* * *

(١) أي أن التغيير يكون علىٰ السعادة والشقاوة، دون الإسعاد والإشقاء وهما من صفات الله تعالىٰ. لما أن الاسعاد تكوين السعادة، والإشقاء تكوين الشقاوة ولا تغير علىٰ الله تعالىٰ ولا علىٰ صفاته، كذا ذكره التفتازاني في شرحه علىٰ العقائد ـ ص ٢٠٥.

المبحث الرابع
في
حكم من لم تبلغه الدعوة

من لم يبلغه الوحي وهو عاقل ولم يعرف ربه هل يكون معذوراً أم لا؟

عندنا: لا يكون معذوراً[١] ويجب عليه أن يستدل بأن للعالم صانعاً كما استدل أهل الكهف حيث قالوا: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢] وكإبراهيم عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾[٣] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾.

---

(١) ذكر الحاكم الشهيد في المنتقىٰ عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال: لا عذر لأحد في الجهل بخالقه لما يرىٰ في خلق السموات والأرض، وفي خلق نفسه وسائر خلق ربه، وقال أيضاً: ولو لم يبعث الله تعالىٰ رسولاً لوجب علىٰ الخلق معرفته بعقولهم. انظر البداية من الكفاية ص ١٤٩. نقلاً عن الحاكم الشهيد. ودلالة كون العقل حجة قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٦، والسمع يختص بالمسموعات والبصر بالمبصرات والفؤاد بالمعقولات.

(٢) سورة الكهف: الآية ١٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٧٨.

وقالت المعتزلة: لا يجب عليه أن يستدل بالعقل، ولكن العقل يوجب عليه أن يعرف الله تعالى.

وقالت الأشعرية وجماعة من الحنابلة: يكون معذوراً[١] ولا يجب عليه أن يستدل، وحجتهم ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[٢].

* * *

(١) اعلم أنَّ وجوب الأداء مبني علىٰ العقل الكامل عند بعض وعلىٰ الخطاب عند عامة المشايخ، فالصبي إذا بلغ في شاهق الجبل ولم تبلغه الدعوة فمات ولم يسلم كان معذوراً عند عامة المشايخ؛ إذ وجوب الأداء بالخطاب ولم يبلغه، وعند الآخرين لا يكون معذوراً؛ لأن وجوب الأداء إنما يشترط فيه الخطاب إذا كان في حكم يحتمل النسخ والرفع والإيمان ليس كذلك، بل تنبني صحة الأداء علىٰ كونه مشروعاً في حق المؤدي.

(٢) من سورة الإسراء: الآية ١٥.

المبحث الخامس
في
حكم من لم يعرف شرائط الإيمان

من لم يعرف شرائط الإيمان هل يكون مؤمناً أم لا؟

قالت المعتزلة: لا يكون مؤمناً ما لم يعرف جميع شرائط الإيمان ويصف بلسانه ويصدق بقلبه، وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، ودين الإسلام خيراً من سائر الأديان فهو مؤمن مسلم.

وقالت المعتزلة: ما ذكرناه هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله[1] فإنه

---

(١) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بضم الزاي وفتح الطاء التيمي تيم الله بن ثعلبه الوفي، وأصله من فارس، رأىٰ من الصحابة أنساً وعبد الله بن أبي أوفىٰ وغيرهما.
وقيل: روىٰ عنهم وكان فقيهاً، ورعاً، متقناً، لا يقبل جوائز السلطان، ويتجر ويتكسب، شهد له العلماء بالفقه وجودة الرأي. قال ابن المبارك: أفقه الناس أبو حنيفة ما رأيت في الفقه مثله ولولا أن الله تعالىٰ أغاثني بأبي حنيفة لكنت كسائر الناس، كان ورعاً، سخياً، صاحب غوص في المسائل، روىٰ الحديث وأخذه عنه أصحابه وله سند. أكره علىٰ القضاء وضرب أيام أبي جعفر وحبس فأبىٰ، وتوفي في السجن وأخذ أبو حنيفة الفقه والحديث عن حماد بن أبي سليمان، وعطاء ونافع وابن هرمز وقتادة وعمرو بن دينار وغيرهم. وروىٰ=

ذُكر في الجامع الكبير[1] : أن من تزوج امرأة صغيرة فأدركت واستوصفت شرائط الإيمان فإن وصفت فهي امرأته. وإن لم تعلم أو قالت: لا أدري بانت منه. إلاَّ أنَّا نقول: يوصف لها شرائط الإيمان فإن علمت فهي امرأته وإن لم تعلم أو قالت: لا أدري بانت منه.

* * *

= عنه أصحابه: أبو يوسف وزفر والحسن بن زياد وغيرهم.
وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال علىٰ أبي حنيفة. وكان يقول: آخذ بكتاب الله ، فإن لم أجد فبقول الصحابة آخذ بقول من شئت منهم ولا أخرج عن أقوالهم إلىٰ قول غيرهم. فإذا انتهىٰ القول إلىٰ إبراهيم والشعبي وابن سيرين فهم قد اجتهدوا فاجتهد كما اجتهدوا.
ولد رضي الله عنه سنة ٨٠ ثمانين وتوفي سنة ١٥٠ خمسين ومائة ببغداد وهو من المجتهدين المطلقين انظر المختصر في علم رجال الأثر ـ ص١٢٤ بتصرف.

(١) للإمام الرباني أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني المتوفي سنة ١٨٩ هـ وهو أحد كتب ظاهر الرواية له.



الباب الثاني

الفصل الأول

يشتمل على أربعة أبحاث:

المبحث الأول: حدوث العالم.

المبحث الثاني: صفات الله تعالى قديمات.

المبحث الثالث: القديم والمحدث.

المبحث الرابع: الوحدانية.



المبحث الأول
في حدوث العالم

ولئن قيل: ما الدليل [على] أن للعالم صانعاً؟

قلنا: وجود الصنع دليل على وجود الصانع.

وقالت الدهرية والزنادقة وأهل الطبائع لعنهم الله تعالى: العالم قديم، وكذلك النطفة قديمة، والحب قديم، وهو أصل النبت وهي من الطبائع الأربعة: برودة الهواء، وحرارة الماء، ورطوبة الماء، ويبوسة الأرض.

قيل لهم: إنّا رأينا أشياء تتفاسد، وتتناثر في الشتاء مثل الأشجار، والحشيش، والكلأ، وبعضها لا يتفاسد، كالآس والصنوبر والعرعر والبقول والزرع، فلو كان ذلك من طبع وجب أن لا يختلف حكم النبات والزرع، فلما اختلف ذلك دلّ أنه من تقدير صانع قدير، وكذلك رأينا الأشجار في مكان واحد ثمارها وألوانها وطعمها مختلف، والماء والهواء والأرض وحرارة النار واحدة، فلو كان ذلك من طبع يجب أن لا يختلف حكم الثمار والألوان، فلما اختلف دلّ أنه من تقدير صانع قدير، وهذه العلة مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

---

(١) سورة الرعد: الآية ٤. وتتمة الآية: ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤.

المبحث الثاني
صفات الله تعالى قديمات

فنقول: أسماء الصفات على وجهين: صفات الذات وصفات الفعل.

أما صفات الذات: [فهي] الحياة والقدرة والسمع والبصر والعلم والكلام والمشيئة والإرادة(١).

وأما صفات الفعل: [فهي] التخليق والترزيق والإفضال والإنعام والإحسان والرحمة و المغفرة.

فنقول: الله تعالى بجميع صفاته وأسمائه قديم أزلي. صفات الله تعالى وأسماؤه لا هو ولا غيره كالواحد من العشرة، ولأنّا لو قلنا:

(١) قال الغنيمي رحمه الله تعالى في شرحه على الطحاوي: الارادة والمشيئة واحدة عندنا في حق الله تعالى.
أما في جانب العباد فيفترقان حتى لو قال لامرأته: أردت طلاقك لا تطلق. ولو قال: شئت طلاقك يقع؛ لأن الارادة مشتقة من التردد، وهو الطلب والمشيئة عبارة الإيجاد فكأنه قال: أوجدت طلاقك وبه يقع الطلاق كذا ذكروه.
قال القونوي: وفيه نظر إذ لو كان كذلك لما احتيج إلى النية، والحاصل أن المشيئة عبارة عن الارادة التامة التي لا يتخلف عنها الفعل، والإرادة تطلق على التامة وغير التامة، فالأولى هي المرادة في جانب الله تعالى. والثانية في جانب العباد. اهـ. انظر شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي ص/ ٥٣ ـ ٥٤.

بأن هذه الصفات هي عين الله تعالى يؤدي إلى أن يكون إلهين اثنين والله تعالى واحد لا شريك له . ولأنا لو قلنا بأن هذه الصفات هي غير الله تعالى لكانت هذه الصفات محدثة وهذا لا يجوز .

فإن قيل : ما الدليل على أن صفات الله تعالى قديمات أزليات؟

قلنا لهم : لأن الله تعالى لو لم يكن قادراً في الأزل كيف قدر حين خلق القدرة ، وكيف قدر حين خلق الحياة والسمع والبصر ، وكيف علم حين خلق العلم ، فيؤدي إلى أن يوصف الله تعالى بالعجز قبل ذلك ، وبالجهل قبل ذلك ، وهذا ممتنع والله الهادي هو الله تعالى .

وأما صفات الفعل : كالتخليق ، والترزيق ، والإفضال ، والإنعام ، والإحسان ، والرحمة ، والمغفرة ، والهداية ، فكلها قديمات أزليات لا هو ولا غيره على ما مرّ . . .

وقالت الأشعرية : إن هذه الصفات[1] كلها محدثة[2] .

وقالوا : إنه لم يكن خالقاً ما لم يخلق الخلق ، ولم يكن رازقاً ما لم يرزق الخلق .

إلا أنّا نقول : يجوز أن يسمى خالقاً وإن لم يخلق الخلق ويسمى رازقاً وإن لم يرزق الخلق .

ألا ترى أن واحداً منّا إذا كان قادراً على الخياطة يسمى خياطاً وإن لم توجد منه الخياطة ، كذلك ههنا ، الله تعالى لما كان قادراً على

(١) أي صفات الأفعال .

(٢) الذي مر معنا من مذهب الأشاعرة أن صفات الأفعال هي تعلق القدرة التنجيزي الحادث ، وعند الماتريدية صفات الأفعال يعبر عنها بالتكوين ، وهو أي التكوين قديم ، والمكون حادث ، وقد قال صاحب بدء الأمالي .

صفات الذات والأفعال طراً قديمات مصونات الزوالي

التخليق والترزيق يسمى خالقاً ورازقاً، ألا ترى أن الله تعالى يسمي نفسه مالك يوم الدين وإن لم يخلق يوم الدين، لكنه لما كان قادراً على تخليقه وإيجاده سمَّى نفسه بذلك الاسم. فكذا ههنا، إلا أن هذا الجواب ليس بمتين[١].

والجواب الصحيح أن نقول: هذه الصفات قائمة[٢] بذات الله تعالى في الأزل؛ لأنها لو لم تكن قائمة بذات الله تعالىٰ في الأزل لكانت ذات الباري محلاً للحوادث، وهذا ممتنع.

* * *

(١) لأنه يوهم أن يكون الله تعالى عزّ وجلّ خالقاً بالقوة. وكونه خالقاً بالقوة مجاز والله سبحانه وتعالىٰ خالق قبل أن يخلق الخلق حقيقة بمعنى أن هذا النعت فيه محقق لا مجاز فإن القول: بأنه خالق بالقوة يوهم أنه تحت الإمكان واحتمال الوقوع واللاوقوع في الأزمان. وليس الأمر كذلك فإنه كان خالقاً متحقق الوقوع في وقت أراد فيه الشروع فتأخر متعلق الكلام. والحاصل أنه سبحانه وتعالىٰ كما قال الطحاوي رحمه الله: ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري فله معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالقية ولا مخلوق. اهـ انظر شرح العقيدة الصحاوية للغنيمي ص/ ٥٦.

(٢) وتحقيقه: إن الخالق اسم مشتق من الخلق كالعالم من العلم والرازق من الرزق، وإنما يتحقق الاسم المشتق من المعنى على من قام به ذلك المعنى كالمتحرك يطلق على من قامت به الحركة. ا.هـ.

المبحث الثالث
في
القديم والمحدث

اعلم أن الموجودات على ضربين: قديم ومحدَث، فالمحدَث ما سوى الله تعالى، والقديم هو الله تعالى، والقديم في اللغة: هو المتقدم على غيره في الوجود، وهذا في صفات المخلوقين.

وأما في صفات الله تعالى، فالقديم: بمعنى أنه لم يزل[1]، والله تعالى: قديم بلا ابتداء[2]، ولا انتهاء[3] ولم يزل ولا يزال، لا بمعنى أنه يقدم على غيره في الوجود، ويدل عليه أنه لو لم نقل بأن الله تعالى قديم يلزمنا القول: بالحدوث والتعطيل؛ لأن ضد القديم هو المحدَث والمحدَث لا يكون رباً صانعاً فمن ضرورة نفي الحدوث إثبات القدم، وبه ورد النص بهذين الاسمين وهو الأول

(١) القدم: صفة سلبية أخص من الأزل؛ لأن القديم موجود لا أول له، والأزلي ما لا أول له أعم من أن يكون وجودياً كذات الله عز وجل أو عدمياً كعدمنا الأزلي، والقديم: ما لا ابتداء لوجوده، والحادث: ما لم يكن فكان.

(٢) أي ليس مسبوقاً بعدم، وإلا لزم الدور أو التسلسل وكلاهما باطلان. لأن الدور: توقف وجود كل من الشيئين على وجود الآخر. والتسلسل: توقف وجود شيء على ما لا نهاية له.

(٣) أي ليس ملحوقاً بعدم لأن من ثبت قدمه استحال عدمه.



المبحث الرابع

الوحدانية[1]

ويجوز أن يقال : بأن الله تعالى واحد ، وبه ورد النص .

(١) ذكر العلامة الغنيمي في شرحه على العقيدة الطحاوية أن الوحدانية صفة سلبية تقال على ثلاثة أنواع :
الأول : الوحدة في الذات ، والمراد بها ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام .
الثاني : الوحدة في الصفات ، والمراد بها انتفاء النظير له تعالى في كل صفة من صفاته .
والوحدة في الأفعال ، والمراد بها : انفراده تعالى باختراع جميع الكائنات عموماً وامتناع اسناد التأثير لغيره تعالى في شيء من الممكنات أصلاً اهـ .
انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧ ـ ٤٨ .
والوحدانية الشاملة لوحدة الذات ووحدة الصفات ووحدة الأفعال تنفي كموماً خمسة :
الكم المتصل في الذات وهو تركيبها من أجزاء .
والكم المتصل في الصفات : هو المتعدد في صفاته تعالى من جنس واحد كقدرتين فأكثر .
والكم المنفصل في الصفات : وهو أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى .
والكم المنفصل في الأفعال : وهو أن يكون لغير الله تعالى فعل من الأفعال على وجه الايجاد وكل ذلك منفي . أما الكم المتصل بالأفعال : فهو ثابت لا يصح نفيه لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء وإماتة إلى غير ذلك . وهذا على مختار الإمام الأشعري رضي الله عنه من أن صفات الأفعال حادثة وأما على كلام الماتريدية من أن صفات الأفعال قديمة ترجع لصفة واحدة وهي التكوين فكلاهما معاً منفيان .

وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾(١)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾(٢)

ومعنى الواحد الموجود الذي لا بعض ولا انقسام لذاته ، فإن الله تعالى واحد لا من جهة العدد(٣).

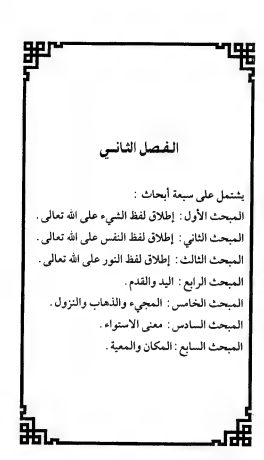
يدل عليه أنه لو لم يكن واحداً إلا من جهة العدد لكان أبعاضاً ، فامتنع من أن يكون إلهاً واحداً من جهة العدد؛ لأنه يحصل [التعطيل] والإحداث والتخليق والاختراع لكل جزء منه ، فيؤدي إلى أن يكون كل جزء خالقاً قادراً وهذا محال .

* * *

(١) من سورة البقرة آية ١٦٣ .

(٢) من سورة الإخلاص آية ١ .

(٣) بل من جهة أنه لا شريك له ولا نظير .



الفصل الثاني

يشتمل على سبعة أبحاث :

المبحث الأول : إطلاق لفظ الشيء على الله تعالى .

المبحث الثاني : إطلاق لفظ النفس على الله تعالى .

المبحث الثالث : إطلاق لفظ النور على الله تعالى .

المبحث الرابع : اليد والقدم .

المبحث الخامس : المجيء والذهاب والنزول .

المبحث السادس : معنى الاستواء .

المبحث السابع : المكان والمعية .



المبحث الأول
إطلاق لفظ الشيء على الله تعالى

ويجوز أن يقال: بأن الله تعالى شيء، لأنّا لو لم نثبت أنه شيء يلزمنا التعطيل، لأن ضد الشيء لا شيء، ومن ضرورة نفي التعطيل إثبات الشيء.

وقالت المعطلة[(١)]: لا يجوز أن يقال بأن الله تعالى شيء فراراً عن التشبيه.

فإن قيل: وفي الخبر: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً أو مائة إلا واحدة فمن أحصاها دخل الجنة»[(٢)] ونحن قد أحصيناها فلم نجد منها [الشيء] اسماً لله تعالى.

والجواب عنه: أن نقول: إن الله سمى نفسه شيئاً.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾[(٣)].

فثبت أنه يجوز اسم الشيء على الله تعالى.

---

(١) نسبة إلى تعطيل الصفات وهم من المعتزلة زعماً منهم تنزيه الله عز وجل.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم/ ٢٦٧٧/ وأحمد في المسند ٢/ ٧٤٢ و٤٩٩ والترمذي في الدعوات / ٣٥٠٦/ وابن ماجة في السنن / ٣٨٩٠/ والحاكم في المستدرك ١/ ١٧ والبغوي في شرح السنة / ٦١٢٥/ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٧.

(٣) من سورة الأنعام آية ١٩.

المبحث الثاني
إطلاق لفظ النفس على الله تعالى

ويجوز أن يقال: بأن الله تعالى نفس عند أهل السنة والجماعة؛ لأن النفس يذكر ويراد به الذات والموجود[١]. قال الله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[٢] أي لذاتي.

وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[٣] أي ذاته.

وقال الله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[٤].

فإن قلت: قالت المعتزلة والمجسمة[٥] إذا قلتم: بالنفس فقد

---

(١) إذ لو لم نقل ذلك للزم نفي النفس عن الله تعالى، وهذا لا يجوز؛ لأنه قد ثبت بالكتاب والسنة إطلاق النفس على الله تعالى، أما دليل ذلك من الكتاب فكما استشهد به المصنف رحمه الله من الآيات القرآنية وأما دليل ذلك من السنة فكقوله عليه الصلاة والسلام: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» أخرجه مسلم برقم /٤٨٦/ عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً وأخرجه مالك في الموطأ ١/ ٢١٤.

(٢) من سورة طه آية ٤١.

(٣) من سورة آل عمران آية ٢٨.

(٤) من سورة المائدة آية ١١٦.

(٥) اختلفت المجسمة فيما بينهم في التجسم، وهل للباري تعالى قدر من الأقدار وفي مقداره على مقالات منها: ما قاله هشام بن الحكم: إن الله جسم محدود عريض عميق طويل. طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، نور ساطع، له=

قلتم بالجسم، والجسم هو ما يقبل الإنقسام طولاً وعرضاً وعمقاً.

قلنا: الجسم عبارة عن ذات مركب، قابلٍ لصفة العرض، والنَّفْسُ، عبارة عن الذات، ولا يلزم من ضرورة إطلاق اسم النفس عليه إطلاق اسم الجسم عليه.

= قدر من الأقدار طولاً وعرضاً وعمقاً، لا يتجاوزه في مكان دون مكان كالسبيكة الصافية، يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها، ذو لون وطعم ورائحة ومجسة، لونه هو طعمه، وهو رائحته، وهو مجسته، وهو نفسه، وإنه يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد، وقد ذكر عن بعض المجسمة أنه كان يثبت الباري ملوناً ويأبى أن يكون ذا طعم ورائحة ومجسة وأن يكون طويلاً وعريضاً. وزعم أنه في مكان دون مكان متحرك من وقت خلق الخلق. وزعم بعضهم أنه على العرش مماس له دون ما سواه، ثم اختلفوا في مقداره بعد أن جعلوه جسماً، فقال قائلون: هو جسم وهو في كل مكان وفاضل عن جميع الأماكن. وهو مع ذلك متناه غير أن مساحته أكثر من مساحة العالم لأنه أكبر من كل شيء، وقال بعضهم: له مقدار في المساحة ولا ندري كم ذلك المقدار، وقال بعضهم: هو في أحسن الأقدار ليس بالعظيم الجافي ولا القليل القميء، وحكي عن هشام بن الحكم: أن أحسن الأقدار أن يكون سبعة أشبار بشبر نفسه، وقال بعضهم: ليس لمساحة الباري نهاية ولا غاية، وإنه ذاهب في الجهات الست: اليمين والشمال والأمام والخلف والفوق والتحت.
وقال هشام بن سالم الجواليقي: إن الله على صورة الانسان وأنكر أن يكون لحماً ودماً وأنه نور ساطع يتلألأ بياضاً، وأنه ذو حواس خمس كحواس الانسان، وأن له وفرة سوداء، وقال داود الجواربي ومقاتل بن سليمان البلخي: إن الله جسم وأنه جثة على صورة الانسان لحم ودم وشعر وعظم، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه وممن قال: بالصورة من ينكر أن يكون الباري جسماً. وممن قال بالتجسيم من ينكر أن يكون الباري صورة. انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ج١ ص ٢٨١.

فإن قيل: نحن نقول بأنه جسم لا كالأجسام، كما أنكم تقولون بأنه شيء لا كالأشياء.

قلنا: إذا قلتم بالجسم فقد قلتم بالكيف لما ذكرنا من حدّ الجسم، ولا يمكن إثباته في ذات الباري جل جلاله، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

المبحث الثالث
إطلاق لفظ النور على الله تعالى

قالت المشبهة: يجوز أن يقال بأن الله نور يتلألأ.

وقال أهل السنة والجماعة: لا بل هو خالق النور ومنور النور، لأن النور له لون.

فلو قلنا: بأنه نور يلزمنا التشبيه والله تعالى منزه عن التشبيه.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

هم احتجوا بقوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

سمى نفسه نوراً.

والجواب عنه أن نقول: قال ابن عباس رضي الله عنهما[3]:

(١) من سورة الشورى آية ١١.

(٢) من سورة النور آية ٣٥.

(٣) هو عبد الله بن عباس ابن عم النبي ﷺ وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، مفسر التنزيل ومبين التأويل، وبدر الأحبار، وفخر الفخار، وقطب الأفلاك، وعنصر الأملاك، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات وكان الرسول يحبه ويحب والده ويحب إخوته، ودعا له النبي ﷺ فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، اللهم آته الحكمة، االلهم بارك فيه وانشر منه وشهد عليه الصلاة والسلام بأنه ترجمان القرآن. وكان ابن عباس فصيحاً ذكياً مجتهداً في حفظ الروايات عن النبي ﷺ ومعرفة القرآن والمغازي، وشهد له عمر بن =

يعني منوّر السموات والأرض[١].

وقال بعضهم[٢]: يعني هادي أهل السموات والأرض.

* * *

= الخطاب رضي الله عنه بأنه أصبح الفتيان وجهاً، وأحسنهم خلقاً، وأفقههم في كتاب الله، وكان يفتي في عهد سيدنا عمر وعثمان رضي الله عنهما، بقي بعد ابن مسعود نحو خمس وثلاثين سنة تشد إليه الرحال، شهد الفتح وحنيناً والطائف وحجة الوداع وشهد فتح إفريقية والجمل وصفين مع علي كرم الله وجهه، واستنابه علي على البصرة. روى عنه ابن عمر وأنس بن مالك وغيرهما ١٦٦٠ ستون وستمائة وألف حديث. انظر المختصر في علم رجال الأثر ص ٦١ بتصرف.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ سورة النور: الآية ٤٠. يعني منور السموات والأرض. أخرجه ابن جرير في تفسيره (ج٩/ ص٣٢٠/ برقم ٢٦٠٨٥)) عن ابن عباس في تأويل هذه الآية.

(٢) فيما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: الله نور السموات والأرض هادي أهل السموات والأرض، وهو وجه حسن، وجاء في رواية أخرى أخرجها ابن جرير عنه أنه فسر النور بالمدبر.

فقال: الله نور السماوات والأرض يدبر الأمر فيهما، وروي ذلك عن مجاهد أيضاً وجعل ذلك بعضهم من التشبيه البليغ. انظر روح المعاني للألوسي ٩/ ٣٥٧.

المبحث الرابع
اليد والقدم

ويجوز أن يقال: بأن لله تعالى يداً بالعربية، ولا يجوز بالفارسية، واليد من صفاته الأزلية بلا كيف ولا تشبيه كالسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والكلام. فإن الله تعالى سميع بلا جارحة، بصير بلا عين، عالم بلا آلة، مريد بلا قلب، متكلم بلا لسان وشفتين، وكذلك اليد من صفاته الأزلية بلا كيف وتشبيه وجارحة. فنُقِرُّ باليد والمراد به ما أراد الله تعالى[1].

---

(١) هذا هو مذهب السلف، وموقفهم أمام الآيات المتشابهات الواردة في كتاب الله عز وجل التفويض، فإنهم يفوضون علمها إلى الله تعالى، وهو أسلم للعقيدة. ولقد كانوا يزجرون من يسأل عن المتشابه فلقد روي أن رجلاً سأل الإمام مالكاً رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ سورة طه: الآية ٥.
فأجاب: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وما أراكَ إلاَّ ضالاً فأمر به فأخرج عن مجلسه.
ولقد ذكر الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه في كتابه «الفتوحات المكية» عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أن الاستواء يطلق علىٰ الاستقرار والقصد والاستيلاء والاستقرار من صفات الأجسام فلا يجوز علىٰ الله تعالىٰ إلا إذا كان علىٰ وجه الثبوت. والقصد هو الإرادة وهي من صفات الكمال، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ سورة البقرة: الآية ٢٩. أي: قصد. واستوىٰ علىٰ العرش. =

وقالت المعتزلة: المراد من اليد إنما القدرة والقوة والنعمة وقال الله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[(١)] يعني نعمتاه.

فنقول: لا يجوز أن يقال بأن المراد من اليد القوة والقدرة، لأن الله تعالى قال: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[(٢)].

ولو أريد منه ذلك لكان ذلك قوتين وقدرتين وهذا لا يجوز، لأن قوة الله تعالى وقدرته واحدة لا تفنى ولا تنقطع بخلاف قوة المخلوقين، لأن صفاتنا أعراض، والأعراضُ لا تبقى زمانين، وقوة الله تعالى وقدرته ليست بعرض ولاتنقطع ولا تنقص، وكذلك الكلام فإن الله تعالى متكلم بكلام واحد وكلامه لا ينقطع.

ثم اليد في القرآن على أربعة أوجه: منها المُلك كقوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾[(٣)] أي له الملك.

ويقال: هذه القرية في يد فلان أي في ملكه وتصرفه.

= قد استوىٰ بشر علىٰ العراق من غير سيف ودم مهراق

والأخبار كثيرة منها الصحيح ومنها السقيم، وما منها خبر إلا وله وجهة من وجوه التنزية، وإن أردت أن يقرب ذلك عليك فاعمد إلى اللفظة التي توهم التشبيه، وخذ فائدتها وروحها، أو ما يكون عنها فاجعله في حق الحق تفز بدرجة التنزيه حين حاز غيرك درك التشبيه فهكذا فافعل وطهر ثوبك.

(١) من سورة المائدة آية ٦٤.

قيل: معناه الوصف بالمبالغة في الجود والانعام، وقيل نعمة مبسوطة وذات التثنية على الكثرة كقولهم لبيك وسعديك، وقيل نعمتاه أي نعمة الدنيا ونعمة الآخرة مبسوطتان.

(٢) من سورة ص الآية: ٧٥.

(٣) من سورة الملك الآية: ١.

ومنها المنَّـة كقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[(١)] أي منَّـة الله فوق مننهم يعني التوحيد، وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾[(٢)] أي منة الله وأياديه.

وفي الخبر: «اللهم لا تجعل لفاجر عندي يداً»[(٣)] أي منةً.

ومنها المعصية كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[(٤)].

ومنها الجارحة: وهي اليمين والشمال، والله تعالى منزه عن الآخرين، وهذان[(٥)] منة الله تعالى و ملكه بلا كيف وتشبيه وصورة وجارحة، وهي[(٦)] من صفاته الأزلية.

وقالت المشبهة: إن لله صورة ويدين، وقالوا: كلتا يدي الرحمن يمين؛ لأن الشمال عيب.

وقالوا: إن له ساقاً وأصابع.

وهم احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَـتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[(٧)].

الجواب عنه: قوله قبضته يوم القيامة يعني في ملكه وقدرته، كما يقال هذه الأرض في يدي وقبضتي، أي في ملكي.

(١) من سورة الفتح الآية: ١٠.
(٢) من سورة يٰس الآية: ١٧.
(٣) أخرجه الديلمي وتفرد به عن معاذ بن جبل رضي الله عنه كذا في كنز العمال (ج٢/ ص ٢١١) ولفظه: «اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة أكافيه بها في الدنيا والآخرة».
(٤) من سورة الشورى الآية: ٣٠.
(٥) أي «اليدين».
(٦) أي «اليدين».
(٧) من سورة الزمر الآية: ٦٧.

وهم احتجوا في إثبات الساق لله تعالى بقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[(١)].

وفي الخبر : «إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء»[(٢)].

وفي الخبر : «إن جهنم تقول في فيّ أي : في فم . هل من مزيد ، فيضع الرب قدمه فيها فتقول قط قط ، يعني حسبي حسبي»[(٣)].

قلنا : أراد بالساق أمراً عظيماً صعباً .

وقال بعضهم : أراد به ساق جهنم لما روي في الخبر : «الجهنم ثلاثون ألف رأس وفي كل رأس ثلاثون ألف فم»[(٤)]. فكذلك يجوز أن يكون [لها] ساق .

---

(١) من سورة القلم الآية ٤٢ .

(٢) هذا الخبر أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٥٤) وأحمد في مسنده ١٦٨/٢ ، والمراد من القلب أنه مضغة جوفانية ، فيها درة ربانية تحتها ساحة نورانية فوقها الهامات رحمانية وضعها في جسد شهوانية . وعرفه الجرجاني فقال : القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلّق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، ويسميها الحكيم : النفس الناطقة ، والروح باطنه ، والنفس الحيوانية مركبة ، وهي المدرك والعالم من الإنسان ، والمخاطب ، والمطالب ، والمعاتب كذا في تعريفات الجرجاني ص / ٢٢٩ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٤٥٦/٨ كذا في الفتح ومسلم برقم ٢٨٤٨ ولفظه : لا تزال جهنم يلقى فيها ، وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط .

(٤) لا أصل له في كتب السنة .

ومعنى الخبر: «إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»: أراد به الأثر.

ذكره الأصمعي[1] وهو إمام في اللغة، وقوله حجة.

معناه: بين أثرين من آثار الرحمن وهو التوفيق والخذلان، فمن وفقه الله يشتغل بالطاعة، ومن خذله يشتغل بالمعصية.

ومعنى الخبر: «يضع الجبار قِدمه» بكسر القاف، وهو الصحيح من الروايات، معناه: من كان في قِدم علمه من الكفار.

* * *

(١) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان نسبته إلى جده أصمع، مولده ووفاته بالبصرة، كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها، ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جداً.
وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر. وقال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم باللغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظاً. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة وتصانيفه كثيرة... انظر أعلام الزركلي ٤/ ١٦٢. جمهرة الأنساب ص ٢٣٤.

المبحث الخامس
المجيء والذهاب والنزول

ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالمجيء والذهاب؛ لأن المجيء والذهاب من صفات المخلوقين وأمارات المحدثين، وهما صفتان منفيتان عن الله تعالى، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام كيف استدل بالمنتقل من مكان إلى مكان أنه ليس برب حيث قال: ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾(١) ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾(٢). أي أمر ربك.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾(٣) أي جاء بهم عذاب الله من حيث لم يحتسبوا، يعني قيل: كعب بن الأشرف(٤).

---

(١) من سورة الأنعام آية ٧٦.

(٢) من سورة الفجر آية ٢٢.

(٣) من سورة الحشر آية ٢.

(٤) هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان شاعر جاهلي، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية، وكان سيداً في أخواله يقيم في حصن له قرب المدينة ما زالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام، أدرك الاسلام ولم يسلم وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم والتشبيب بنسائهم وخرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة وأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصنه. وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. انظر أعلام الزركلي ٥/ ٢٢٥.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾[1] يعني استهلكهم، واستأصلهم فلم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن ديار، نزلت في غزو نمرود بن كنعان[2] لعنه الله.

ومعنى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ

---

(١) من سورة النمل آية ٢٦.

(٢) النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح قاله: مجاهد. وقال غيره نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشد بن سام بن نوح. وقال مجاهد وغيره: كان أحد ملوك الدنيا. وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغا وبغا وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه الخليل ابراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على انكار الصانع، فحاج الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليل ربي الذي يحي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت. قال قتادة والسدي ومحمد بن اسحاق: يعني أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما وغفل عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر. وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا معارضة بل هو تشغيب محض.

فإن الخليل عليه السلام استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وموتها ضرورة عدم قيامها بنفسها.

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلاً آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ سورة البقرة الآية: ٢٥٨. أي: فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت فانقطع النمرود وسكت ولهذا قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

انظر البداية والنهاية ١/ ١٧٠ وما بعدها.

ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[١] يعني بعدما أثبتنا من الدلائل أنه لا شبيه له ولا شريك له ولا مجيء له ينظرون إتيانه في ظلل من الغمام ويعتقدون هذا ليؤمنوا به، وهذا في صفات الله تعالى محال.

ومعنى الخبر: «ينزل الله تعالى كل يوم وليلةَ النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فيتاب عليه»[٢].

قلنا: النزول من الله تعالى الاطلاع والإقبال على عباده، يعني ينظر إلى عباده بالرحمة. هكذا نقل عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[٣].

كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٤] ولم يرد به حقيقة النزول معناه علّمناه وفهمناه كذلك ههنا.

فإن قيل: لو قلنا بأن لله تعالى جسم مركب ليس يضرنا.

قلنا: يضركم؛ لأن الجسم عبارة عن مركب ومؤلف، فإذا أثبتم الأبعاض فقد قلتم بأنه لا يكون إلهاً واحداً.

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٥].

---

(١) من سورة البقرة آية ٢١٠.
(٢) أحاديث النزول في كل ليلة قد ثبت تواترها. أما حديث ليلة النصف من شعبان فأخرج معناه ابن ماجة في السنن عن علي رضي الله عنه برقم ١٣٨٨.
(٣) مرت ترجمته.
(٤) من سورة الحجر آية ٩.
(٥) سورة البقرة آية ١٦٣.
إن هذه الآية ـ على ما أعتقد ـ غير مناسبة للاستشهاد على نفي الأبعاض؛ لأن=

فإذا أنكرتم النص فقد كفرتم؛ لأنه يؤدي إلى أن يحصل التخليق والترزيق والإحداث والاختراع لكل جزء منه ولكل عضو منه، فيؤدي إلى أن لا يكون إلهاً واحداً، ومن قال بهذا يكفر.

وإذا قلتم: بأنَّ بعض أجزائه إله وبعض أجزائه ليس بإله يكون هذا جمعاً بين الخالق والمخلوق والرازق والمرزوق، ومن قال هذا يكفر.

فإن قيل: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلىٰ فقلت: لا أدري»[١].

قلنا: معنىٰ الخبر رأيت ربي يعني سيدي جبرائيل [عليه السلام]، في أحسن صورة وقال بعضهم: معنى رأيت ربي يعني سيدي جبريل [عليه السلام] وكنت في أحسن صورة يدل علىٰ صحة ما قلنا قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[٢].

وإن قرأ المصوَّر بالنصب عمداً يكفر، وإن أخطأ تفسد صلاته.

ومعنىٰ الخبر المروي: «إن الله تعالىٰ يتجلىٰ لأهل الموقف علىٰ صورة لا يعرفونه ثم يتجلى على صورة يعرفونه»[٣].

= الأبعاض هي الكثرة في الواحد، ونفي الكثرة يناسبه لفظ أحد لا لفظ واحد؛ لأن لفظ واحد ينفي الشريك والنظير، وكان من الأنسب أن يستشهد المصنف على نفي الأبعاض بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاص الآية: ١، ولكنه مشى على أصل الموحدين من أن الواحد عندهم هو الشيء الذي لا ينقسم، وعلى كل فإن الاستشهاد في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ سورة البقرة الآية: ١٦٣. يشمل نفي الأبعاض ضمناً لا قصداً والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذي برقم ٣٢٣٣.

(٢) من سورة الحشر آية: ٢٤.

(٣) أخرجه البخاري: ٨٠٦.

أي على صفة لا يعرفونه في الدنيا؛ لأنهم عرفوه في الدنيا بالتجاوز والكرم، فإذا أظهر السياسة والعدل وانشقاق القمر وسقوط النجوم، فيقول العباد: يا ربنا ما عرفناك في الدنيا بهذه الصفة، ثم يظهر التجاوز والعفو فيقولون: عرفناك بهذه الصفة.

* * *

المبحث السادس
معنى الاستواء

قالت الكرامية[(١)]: إن الله تعالى استقر على العرش حتى امتلأ منه.

حجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [(٢)].

قلنا لهم: قال أهل التفسير استوى يعني غلب[(٣)]، قيل:

---

(١) هم أتباع محمد بن كرّام المتوفي سنة ٢٥٦ هـ وكان له أتباع كثيرون من جهة نيسابور، وهو من المشبهة، وكان يقول: إن الله تعالى جسم له حد ونهاية في الجهة التي يلاقي بها عرشه ووصفه بأنه جوهر، وأن الله تعالى مماس لعرشه الذي هو مكان له إلى غير ذلك من الأباطيل التي لا يقبلها عقل سليم. وقد تكفلت الأدلة العقلية والنقلية في مباحث التوحيد بنفي التحيز والحدوث عن الله تعالى فلا نطيل في الرد على هذه الضلالات. اهـ.

(٢) من سورة طه آية: ٥.

(٣) إن من المقرر عند علماء اللغة أن الاستواء يكون بمعنى الاعتدال والاستقامة إذا لم يتعد بـ إلى وإذا عدي بها صار بمعنى قصد الاستواء فيه وهو مختص بالأجسام، ويكون بمعنى استقر، وهو يشعر بالتجسيم، ويكون بمعنى استولى، ولا يخفى أن ذلك بعد قهر وغلبة، ويكون بمعنى صعد، والله منزه عن ذلك أيضاً. وقال الفراء والأشعري وجماعة من أهل المعاني في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ سورة طه الآية: ٥. أي: أقبل على خلق =

بالفارسية (برعرش بادشاه است)، يدل عليه قول القائل:

قد استوى بِشْر على العراق من غير سيف ودم مِهْراق

يعني استولى.

وعن مالك بن أنس[١] إمام أهل المدينة أنه قال: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وقال للسائل: ما أراك إلا ضالاً». وأمره بالصفع فإذا هو جهم بن صفوان[٢].

= العرش وعمد إلى خلقه. وقال ابن اللبان: بمعنى اعتدل أي قام بالعدل. وقيل استوى بمعنى علا. قال أبو عبيدة: (وتقول استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت) كذا ذكره القرطبي (٧/ ٢١٩ ـ ٢٢٠). ولقد قال الإمام الحافظ البيهقي في كتابه الاعتقاد: يجب أن يعلم أن استواء الله تعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستوى على عرشه كما أخبر بلا كيف وبلا أين، بائن من جميع خلقه، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها ونفينا عنها التكييف. اهـ.

(١) هو مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة أصله من اليمن وقد كان أحد أجداده أبو عامر من أصحاب النبي ﷺ. ولد مالك سنة ٩٣ هـ بالمدينة المنورة وتوفي بها سنة ١٧٩ هـ ولم يرحل إلى غيرها وكان إماماً في الحديث والفقه من المجمع على فضله وعلمه. وكان اعتماده في فتواه على كتاب الله وسنة رسوله والقياس وعمل أهل المدينة والمصالح المرسلة. وكان يقال: لا يفتى ومالك في المدينة، وقد تلقى عنه الامام الشافعي الحديث والفقه وحضر دروسه أهل مصر والأندلس والمغرب ونقلوا مذهبه وانتشر في البلاد وقد طبعت المدونة التي هي أساس فقه مالك كما طبع الموطأ مشروحاً وبدون شرح وهو كتاب عظيم. أ. هـ.

(٢) هو جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي. قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ: الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئاً ولكنه زرع شراً عظيماً، وهو تلميذ الجعد بن درهم الزنديق. انظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي الاسفراييني ص ٢١١.

ولأن الله تعالى كان قبل أن يخلق العرش فلا يجوز أن يقال: بأنه انتقل وجهه إلى العرش؛ لأن الانتقال من صفات المخلوقين وأمارات المحدثين والله تعالى منزه عن ذلك، ولأن من قال بالاستقرار على العرش فلا يخلو إما أن يقول: بأنه مثل العرش أو العرش أكبر منه، أو هو أكبر من العرش، وأياً ما كان فقائله كافر، لأنه جعله محدوداً.

وعن علي رضي الله عنه[1]: أنه سئل أين كان ربنا قبل أن خلق العرش؟

فقال رضي الله عنه: «أين سؤالٌ عن المكان، وكان الله تعالى ولا مكان ولا زمان، وهو الآن كما كان».

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه[2] أنه قال: التوحيد ثلاثة

---

(١) مرت ترجمته.

(٢) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي أبو عبد الله الملقب بالصادق، سادس الأئمة الأثنى عشر عند الامامية. كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم أخذ عنه جماعة منهم الامامان أبو حنيفة ومالك، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط، له أخبار مع الخلفاء من بني العباس، وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق له رسائل مجموعة في كتاب ورد ذكرها في كشف الظنون. يقال: إن جابر بن حيان قام بجمعها. ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـ وتوفي فيها سنة ١٤٨ هـ.
انظر أعلام الزركلي ج٢ ص١٢٦.
واعلم أن الله تعالى أخبر بأنه على العرش استوى وأخبر رسوله بالنزول وغير ذلك، فكل ما ورد من هذا القبيل دلائل التوحيد فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل، فلولا إخبار الله تعالى وإخبار رسوله لما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى، وتلاشى دون ذلك عقل العقلاء ولبّ الألباب. فالله سبحانه وتعالىٰ وفّى من عباده بما أخبر، ودل على نفسه بما أظهر، ورفع حجاباً من الحجب عن وجه الكبرياء، وكشف شيئاً من سبحات العظمة والعلاء، فكل أخبار =

أحرف: أن تعرف أنه ليس من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء، لأن من وصفه أنه «من شيء» فقد وصفه بأنه مخلوق فيكفر، ومن وصفه «أنه في شيء» فقد وصفه أنه محدود فيكفر، ومن وصفه أنَّه«على شيء» فقد وصفه أنه محتاج مجهول محمول فيكفر.

فالحاصل أن المشبهة يتمسكون بظاهر الآيات نحو قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[٢]. وبالأخبار المتشابهات نحو قوله ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وخلق الجنة بيده، والعرش والروح بيده، وغرس شجرة طوبى بيده»[٣] وفي رواية «أنه خلق الإبل بيده».

وعن محمد بن الحسن[٤] أنه كان يقول: نؤمن بما جاء من عند

= الصفات تجليات إلٰهية، وكشوف جلية عقل من عقل وجهل من جهل. فلا تبعد عن الله بالتشبيه وقد قرب منك، ولا تفر منه بالتعطيل وقد دنا إليك، أطلق لسان الاستواء وأعرض عن الكيفية. وهكذا سائر الصفات، فهو سبحانه بما تجلى لعباده بهذا الاخبار ظاهر، وبما قصدت العقول عن إدراك كنهها وكيفيتها باطن فلا ينكشف من عظم شأنه ما بطن، ولا يستشف من علو سلطانه ما انكمن. كذا ذكره الكفوي في الكليات مادة «استوى».

(١) من سورة القصص الآية: ٨٨.

(٢) من سورة الرحمن آية: ١٢٧.

(٣) الحديث: خلق الله أربعة أشياء بيده . . . أخرجه الحاكم في المستدرك ٣١٦/٢ وصححه.

(٤) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني من موالي بني شيبان، أبو عبد الله، إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة رحمه الله أصله من قرية حرستا في غوطة دمشق، وولد بواسط، ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به، وانتقل إلى بغداد فولاه الرشيد القضاء بالرقة. =

الله تعالى ولا نشتغل بكيفية مراد الله تعالى وبما جاء من عند رسول الله ﷺ على ما أراده رسول الله ﷺ، وهو اختيار كثير من كبار الأئمة وعلماء أهل الملة.

* * *

= وكان فصيحاً بليغاً.
قال الشافعي رضي الله عنه: لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقلت؛ لفصاحته، ونعتَه الخطيب البغدادي بإمام أهل الرأي، له كتب كثيرة منها المبسوط ولد سنة ١٣١ هـ وتوفي سنة ١٨٩ هـ.
انظر أعلام الزركلي ج٦ ص ٨٠.

المبحث السابع
المكان والمعية

قالت الجهمية: بأن الله تعالى بكل مكان.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(٥).

والجواب عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي: تقديره وتدبيره.

---

(١) من سورة الزخرف الآية: ٨٤.
(٢) من سورة الأنعام الآية: ٣.
(٣) من سورة النحل الآية: ١٢٨.
(٤) من سورة المجادلة الآية: ٧.
(٥) من سورة الحديد الآية: ٤.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾[1] أي: أأمنتم من ظهرت آثار قدرته في السماء.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني علمه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2] أي بالعلم: ولأنا لو قلنا بأنه في المكان يؤدي إلى أمر قبيح، لأنه لا يخلو إما أن يكون كله بكل مكان، أو بكل مكان من طريق الأجزاء، أو بمكان دون مكان.

وباطل أن يكون كله بكل مكان، لأنه يؤدي إلى أن يكون إلهين اثنين، لا أن يكون إلهاً واحداً، والإله واحد.

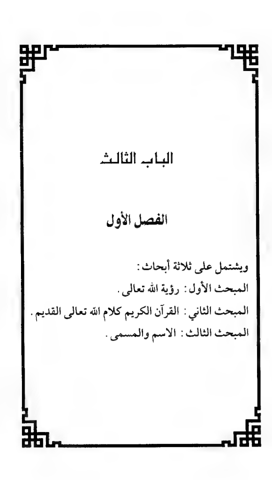
وباطل أن يكون بكل مكان بطريق الأجزاء، لأن من وصف الله تعالى بالأجزاء فإنه يكفر.

وباطل أن يكون بمكان دون مكان، لأنه يحتاج إلى الانتقال وهو من صفات المخلوقين، وأمارات المحدثين والله تعالى منزه عن ذلك.

* * *

(١) من سورة الملك الآية ١٦.
(٢) فالمعية تطلق ويراد بها ما يناسب المقام. فهو مع المؤمنين بالعلم، ومع الأولياء بالحفظ، ومع الأنبياء بالتأييد والنصرة.





الباب الثالث

الفصل الأول

ويشتمل على ثلاثة أبحاث:

المبحث الأول: رؤية الله تعالى.

المبحث الثاني: القرآن الكريم كلام الله تعالى القديم.

المبحث الثالث: الاسم والمسمى.



المبحث الأول
رؤية الله تعالى

قالت المعتزلة: لا تجوز الرؤية على الباري تعالى بالابصار.

وقال أهل السنة والجماعة: تجوز.

وحجتهم: قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾[1]. قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ وكلمة «لن» للتأبيد، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾[2].

وكذلك روي عن عائشة رضي الله عنها[3] أنها قالت: سألت

(١) من سورة الأعراف الآية: ١٤٣.

(٢) من سورة الأنعام الآية: ١٠٣.

(٣) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب كانت تكنى بأم عبد الله، تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه، ولها خُطب ومواقف وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعراً وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم. وروي عنها ٢٢١٠ أحاديث. ولبدر الدين الزركشي كتاب الاجابة لما استدركته عائشة على الصحابة مطبوع.
ولدت سنة ٩ قبل الهجرة وتوفيت بالمدينة سنة ٥٨ هـ. انظر الأعلام للزركلي ج٣ ص٢٤٠.

رسول الله ﷺ: «هل رأيت ربك ليلة المعراج فقال: لا»[(١)].

وحجتهم العقلية: هو أنَّا لو قلنا: بأنه يُرى يؤدي إلى إثبات الجهة، والجهة منفية عن الله تعالى.

وحجتنا في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[(٢)] فلولا أن موسى عليه السلام علم جواز رؤية الباري لما سأل، لأن الأنبياء معصومون من أن يسألوا سؤالاً مستحيلاً، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[(٣)].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾[(٤)].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ ﴾[(٥)].

فلو اشتهى أهل الجنة إلى الرؤية ولم يروه يؤدي إلى الخلف في كلام الله تعالى.

وكذلك عن النبي ﷺ أنه قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامُّون في رؤيته»[(٦)].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ج١ ـ ص١١٠).

(٢) فمن زعم استحالة رؤية الله تعالى فقد ادعى معرفة ما جهله موسى عليه الصلاة والسلام من صفات الله تعالى وهذا فاسد، ولأن الله تعالى علق رؤيته باستقرار الجبل بقوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ سورة الأعراف الآية: ١٤٣ . واستقرار الجبل ممكن عقلاً والتعليق بالممكن يدل على إمكانه. ولأن الله تعالى أخبر أنه تجلى للجبل وهو عبارة عن خلق الحياة والعلم والرؤية للجبل نص على ذلك الإمام علم الهدى والدين أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى فدل على جواز الرؤية.

(٣) من سورة القيامة: الآية ٢٢.

(٤) من سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٥) من سورة فصلت: الآية ٣١.

(٦) أخرجه البخاري ٤٨٥١ ومسلم ٩٣٣ ونقل حديث الرؤية أحد وعشرون رجلاً =

وكذلك قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[(١)]. والمراد من الزيادة «رؤية الله تعالى».

وكذلك روي عن ابن مسعود[(٢)] رضي الله عنه أنه قال: «سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك ليلة المعراج فقال: نعم»[(٣)].

والجواب عن إشكالاتهم.

أما قوله تعالى: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾[(٤)].

= من كبراء الصحابة وعلمائهم رضي الله عنهم أجمعين. ويكفي هذا العدد لأن يكون مشهوراً لا يسع إنكاره.

(١) من سورة يونس: الآية ٢٦.
ذكر عامة أهل التفسير مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أن المراد من الزيادة رؤية الله تعالى.

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذيل، أبو عبد الرحمن، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه وحدث عن النبي ﷺ بالكثير وروى عنه ابناه عبد الرحمن وأبو عبيده وغيرهما ومن الصحابة العبادلة وأبو موسى وغيرهم، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة وقال النبي ﷺ: من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد. وشهد بعد وفاة النبي ﷺ فتوح الشام، وسيره عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم ثم أمره عثمان على الكوفة ثم عزله فأمره بالرجوع إلى المدينة. مات بالمدينة سنة اثنين وثلاثين ٣٢ هـ. انظر الإصابة ج٢ ص٣٦٨ وما بعدها بتصرف.

(٣) اختلاف الصحابة في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج وسؤالهم إياه يدل على جواز الرؤية. لأن العقلاء إنما يختلفون في وجود الجائز لا في وجود المحال.

(٤) من سورة الأعراف: الآية ١٤٣.
ولا دلالة للمعتزلة في هذه الآية على نفي جواز الرؤية، فإن الآية تدل على نفي الوجوب لا على نفي الجواز. ولو سلم التأبيد لكان المراد منه النفي في دار الدنيا لا في دار الآخرة.

قلنا: لا نسلم بأن كلمة لن للتأبيد بل هي للتأكيد وللتأقيت وهذا لأن الله تعالى أخبر أن الكفار لا يتمنون الموت بقوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[1] ثم أخبر أنهم يتمنون الموت بقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[2] فعلم أن لن ليس للتأبيد.

وكذلك قوله تعالى حكاية عن مريم [عليها السلام]: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[3] ومع هذا لا يقتضي التأبيد.

وأما قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[4].

---

(١) من سورة الجمعة: الآية ٧.

(٢) من سورة الزخرف: الآية ٧٧.

(٣) من سورة مريم الآية ٢٦٠.

(٤) من سورة الأنعام الآية: ١٠٣، لا دلالة لهم في هذه الآية على نفي رؤية الله تعالى، فإن الادراك هو تصور حقيقة المدرَك عند المدرِك يشاهده بما به يدرك والتصور أمر عقلي. فمعنى الآية إذاً لا تحيط به العقول. لأن العقول والفهوم حارت في معرفة وإدراك حقيقة الذات العلية. هذا ولقد شنع الامام الزمخشري في حق أهل السنة والجماعة حينما أثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار فقال:

لجماعة سمَّوا هواهم سنّة ... وجماعةٌ حُمُرٌ لعمري موكفه
قد شبّهوه بخلقهِ فتخوفوا ... شنعَ الورى فتستروا بالبلكفه

ولقد قيض الله تعالى بعض علماء أهل السنة والجماعة للرد على الزمخشري منهم الإمام البليدي فقال:

هل نحنُ من أهل الهوى أم أنتُمُ ... ومَن الذي منا حميرٌ موكفة
اعكس تُصب فالوصفُ فيكم ظاهرُ ... كالشمس فارجعْ عن مَقامِ الزخرفةِ
يكفيكَ في ردّي عليكَ بأننا ... نحتجّ بالآيات لا بالسفسفة
وبنفي رؤيتِهِ فأنت حُرمتها ... إن لم تَقُل بكلامِ أهلِ المعرفةِ
ستراهُ في الأخرىٰ بلا كيفيةٍ ... وكذاكَ من غيرِ ارتسامِ للصفةِ=

قلنا: النص يقتضي انتفاء الإدراك، ولكن لا يقتضي انتفاء الرؤية.

أما حديث عائشة رضي الله عنها قلنا: إن النبي ﷺ أخبر أنه لا يُرى في الدنيا ولكن لم قلتم بأنه لا يُرى في الآخرة.

وأما قوله لو قلنا يُرى يؤدي إلى إثبات الجهة، فالأول: مسلم، والثاني: ممنوع، ولكن المرئي ههنا ليس في الجهة[1] ولا يلزم من ضرورة انتفاء الجهة انتفاء الرؤية وصار هذا كما قلنا في العلم.

* * *

= ورد عليه أبو حيان أيضاً بقوله:

شبهتَ جهلاً صدرَ أمةِ أحمدًا	وذوي البصائرِ بالحميرِ الموكَفَه
وجبَ الخسارُ عليكَ فانظر منصفاً	في آيةِ الأعرافِ فهي المُنصفة
أترى الكليمَ أتى بجهلٍ ما أتى	وأتى شيوخكَ ما أتَوا عن معرفة
إنّ الوجوهَ إليه ناظرةٌ بذا	جاء الكتابُ فقلتُمُ هذا سَفَه
نطقَ الكتابُ وأنتَ تنطقُ عن هوى	فهوىٰ الهوىٰ بك في المهاوي المُتلفة

انظر هذه الأبيات للبليدي وابن حيان في كتاب تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم الباجوري ص ١١٥ ـ ١١٦.

(١) يمكننا أن نقول: إن الرؤية هي عبارة عن إثبات الشيء كما هو بحاسة البصر، فإن كان المرئي بجهة يرى في تلك الجهة. وإن كان منزهاً عن الجهة يرى كما هو كذلك.
والدليل على أن الله تعالى يرانا ولسنا بجهة منه. كذلك نراه ولا يكون بجهة منا.
والدليل العقلي أيضاً على جواز رؤية الله عز وجل أن الله قديم والقديم يُرى، لأنه موجود والموجود تجوز رؤيته بخلاف المعدوم فإن رؤيته غير جائزة كذا ذكره علماء أهل السنة والجماعة. انظر التبصير في الدين للاسفراييني ص ١٣٨.

المبحث الثاني
القرآن الكريم كلام الله تعالى القديم

القرآن الكريم كلام الله تعالى وصفته ، والله تعالى بجميع صفاته قديم غير محدث ولا مخلوق بلا حرف ولا صوت ولا مقاطع ولا مبادىء له ، لا هو ولا غيره[١] فأسمعه جبرائيل [عليه السلام] بالصوت والحروف ، فخلق صوتاً فسمعه بذلك الصوت والحروف فحفظه جبرائيل عليه السلام ووعاه ونقله إلى النبي ﷺ بإنزال الوحي والرسالة لا إنزال الحروف والصوت ، وتلاه على النبي ﷺ فحفظه النبي ﷺ ووعاه ، وتلاه على أصحابه فحفظوه ، وتلوه على

(١) هذا صفة كلام الله تعالى النفسي القديم ، فمن يعتقد بحدوثه يكفر روي ذلك عن أبي حنيفة رضي الله عنه. فلقد ذكر عبد العزيز البخاري في شرحه على المنتخب الحسامي قول أبي يوسف رضي الله عنه : لقد ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق القرآن ستة أشهر فاتفق رأيي مع رأيه أن من قال: كلام الله تعالى النفسي مخلوق فقد كفر ، اهـ والمعتزلة ينكرون الكلام النفسي لله عز وجل والقرآن الكريم كلام الله تعالى بالحقيقة كما قال الطحاوي رحمه الله تعالى لا بالمجاز كما قال غيره. لأن ما كان مجازاً يصح نفيه وهنا لا يصح. لأنه حقيقة كما ذكرنا.

التابعين، والتابعون على الصالحين هكذا حتى وصل إلينا.

وهو مقروء بالألسن محفوظ بالقلوب، مكتوب في المصاحف، وليس بموضوع في المصاحف، لا يحتمل الزيادة والنقصان، حتى إن من أحرق المصاحف لا يحترق القرآن كما أن الله تعالى مذكور بالألسن معروف في القلوب، معبود في الأماكن، وليس بموجود في الأماكن ولا في القلوب. كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[1] وإنما وجدوا نعته وصفته لا شخصه.

وكذلك الجنة والنار مذكورتان عندنا وليستا بذاتهما عندنا. هذا كله مذهب أهل السنة والجماعة.

ثم نقول: الله تعالى كلم جبرائيل عليه السلام من وراء الحجاب، كما كلم الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج من وراء الحجاب، وكلم آدم وموسى من وراء الحجاب.

وكلما جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي ﷺ كان ذلك بأمر الله تعالى، والله تعالى علّم القرآن لجبرائيل، ثم بعد ذلك أمره أن يُنزل على محمد ﷺ آية وسورة كذا.

وكلما أُمر جبرائيل عليه السلام بأن يُنزل على محمد ﷺ آيةً من القرآن أو كلمةً كان ذلك عبارة عن الكلام القديم ولم يكن محدثها؛ لأن كلام الله غير محدث.

---

(١) من سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

وقال النجارية[١] ، والمتقشفة[٢] ، والمعتزلة[٣] ، والجهمية[٤] : القرآن محدَث ومخلوق.

وقالوا : القرآن تكلم به ليلة القدر ، ولم يتكلم قبل ذلك.

وقالوا : القرآن أوامر ونواهي ، وليس من الحكمة أن يأمر

---

(١) هم أصحاب الحسن بن محمد النجار وقد مات النجار سنة ٣٢٠ هـ. قال الأشعري في مقالات الاسلاميين : زعم الحسن بن محمد النجار وأصحابه وهم الحسينية أن أعمال العباد مخلوقة لله وهم فاعلون لها ، وأنه لا يكون في ملك الله سبحانه إلا ما يريده ، وأن الله سبحانه وتعالىٰ لم يزل مريداً أن يكون في وقته ما علم أن يكون في وقته ، مريداً أن لا يكون ما علم أن لا يكون. وكان يخالف المعتزلة في القدر ويقول بالارجاء ، وأن الاستطاعة لا يجوز أن تتقدم الفعل ، وأكثر معتزلة الرأي وما حولها على مذهبه.
قال النجار : الباري تعالى مريد لنفسه كما هو عالم لنفسه فالزم عموم التعلق. ومعنى كونه مريداً غير مستكره ولا مغلوب. ووافق المعتزلة في إنكار الرؤية بالأبصار. غير أنه قال : يجوز أن يحول الله تعالى القوة التي في القلب من المعرفة إلى العين ، فيعرف الله تعالى بها فيكون ذلك رؤية. وقال : بحدوث الكلام. وحكى الكعبي عن النجار : أنه قال : الباري تعالى بكل مكان ذاتاً ووجوداً لا معنى العلم والقدرة. انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ٨٨.

(٢) تقدمت ترجمتها.

(٣) مرت ترجمتها.

(٤) أصحاب جهم بن صفوان ، تلميذ الجعد بن درهم. وكان جهم ينكر رحمة الله وحكمته ووافق المعتزلة في نفي الصفات وزاد عليهم بقوله : لا يجوز أن يوصف الباري بصفة وصف بها خلقه فنفى كونه حياً عالماً وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً ، وهو أيضاً موافق للمعتزلة بنفي الرؤية وإثبات خلق الكلام وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع. وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه. وكان جهم مع ضلالاته يحمل السلاح ويقاتل السلطان وخرج مع سريج بن الحارث على نصر بن سيار وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية. انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٦.

المعدوم وينهى.

وحجة أهل السنة والجماعة في أن كلام الله تعالى غير مخلوق أنه لو كان مخلوقاً لا يخلو إما أن يكون خلقه في ذاته أو في غير ذاته، فإن كان مخلوقاً في غير ذاته لكان المتكلم به ذلك الذات[1]، لأن المتكلم اسم من قام به صفة الكلام، كالأسود والأحمر اسم لشخص قام به صفة السواد والحمرة. ولا وجه إلى خلقه في ذاته؛ لأنه حينئذ تكون ذاته محلاً للحوادث، فتكون ذاته شبيهاً لذوات المخلوقين ومثلهم، وإنه منفي بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2].

وأما قوله لو قلنا: بأن كلام الله تعالى غير مخلوق لكان آمراً وناهياً للمعدوم.

قلنا: المعدومات يجوز أن تؤمر عندنا على معنى أنه قال للأشياء كوني في وقت كذا، ويجوز أن يقول الله تعالى للأشياء قبل أن تكون: كوني في وقت كذا وكذا.

ولا يلزم على ما قلتم السمع والعلم والبصر، فإنه عالم في الأزل بجميع المعلومات، سميع بجميع المسموعات، بصير بجميع المبصرات، وإن لم تكن المسموعات والمبصرات والمعلومات موجودة في الأزل.

ومعنى قوله: إنه سميع بصير في الأزل بجميع المسموعات

---

(١) أي لو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة كما زعموا لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ سورة طه: آية ١٤. وقد قاله غير الله وهذا لا يجوز.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

والمبصرات ، أنه سميع عند وجود المسموعات بسمعه القديم القائم بالذات الأزلي في الأزل . وكذلك البصير .

فإن قيل : ههنا دلائل أخر تدل على أن كلام الله تعالى مخلوق .

منها قوله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾(١) وكل محدث مخلوق .

وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾(٢) وكل مجعول مخلوق .

وكذلك قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾(٣) وما في الصدور يكون مخلوقاً .

وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٤) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾(٥) وما يحتاج إلى الحفظ يكون مخلوقاً وما يذهب به يكون مخلوقاً .

وكذلك قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾(٦) وسمى القرآن حديثاً فثبت أن كلام الله تعالى مخلوق .

الجواب عنه أن نقول : قوله تعالى : ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾(٧) .

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢ .
(٢) سورة الزخرف : الآية ٣ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية ٤٩ .
(٤) سورة الحجر : الآية ٩ .
(٥) سورة المؤمنون : الآية ١٨ .
(٦) سورة الزمر الآية ٢٣ .
(٧) سورة الشعراء الآية : ٥ .

قلنا : المراد بالإتيان جبريل عليه السلام ، فلا يقع كلام الله محدثاً فانصرف المحدث إلىٰ الإتيان .

أو نقول: ذكر الذكر وأراد به الذاكر وهو النبي ﷺ وبه نقول أن النبي ﷺ كان محدَثاً .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[1] .

قلنا : الجَعل يذكر ويراد به الخلق كما في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2] ويذكر [أيضاً] ويراد به الوصف كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾[3] أي وصفوا له كذلك ههنا .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، أي : وصفناه وبيناه بلسان العرب ولغتهم؛ لأن القرآن ليس بعجمي ولا بعربي؛ لأنهما مخلوقتان وحادثتان ، ولكن نزل علىٰ لسان العرب كما نزل سائر الكتب السماوية علىٰ لسان كل قوم ونبي ، لأن القرآن قديم وغير مخلوق ، لا يجوز أن يوصف القديم بالحادث ، والعوام غافلون عن هذا .

وأما قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ .

قلنا : المراد به أنه محفوظ في القلوب غير موضوع فيها .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ .

قلنا : المراد به الحفظ من الزيادة والنقصان ، أي نحفظه من الشيطان كيلا يزيد ولا ينقص .

(١) سورة الزخرف : الآية ٣ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٣٠ .
(٣) سورة الزخرف : الآية ١٥ .

وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴾ يعني ذهاب حفظه من القلوب.

وأما قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾.

قلنا: المراد به الحروف المنظومة المنطوقة وهو أحسن من كلام المخلوقين.

ثم اختلف أهل القبلة في أن كلام الله تعالى: هل هو مسموع أو لا.

قال أبو الحسن الأشعري [رحمه الله][(1)]: إنه مسموع وبه أخذ

---

(١) هو الإمام أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل بن اسحاق، وجده الأعلى عبد الله أبو موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وبين أبي الحسن وجده أبي موسى أربعة آباء. ولد سنة ٢٦٠ ستين ومائتين على الأشهر بالبصرة وتوفي سنة ٣٢٤ أربع وعشرين وثلاثمائة على الأشهر وكان شافعي المذهب.
أخذ الحديث عن الساجي، أحد أئمة الحديث ببغداد، وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي، شيخ المعتزلة ثم خالفه في مسألة القول بوجوب الصلاح والأصلح على الله وفارقه ورجع عن الاعتزال فصعد المنبر يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني. أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن. وأن الله لا يرى في الآخرة بالأبصار وأن العباد يخلقون أفعالهم بصنعهم وها أنا تائب من الاعتزال. ثم صنف بعد رجوعه عن الاعتزال كتاب الموجز ردّ به على الجهمية والمعتزلة، وكتب مقالات الاسلاميين. وكتاب الابانة، ووقف للدفاع عن العقيدة الاسلامية، وقد بلغت مؤلفاته ثلاثمائة كتاب. كذا في الرسالة النافعة في علم التوحيد ص ٤.
انظر الترجمة في طبقات الشافعية ج٢ ص ٢٤٥ بتصرف.
وانظر الأعلام ج٤ ص ٢٦٣.

بعض مشايخ[١] المتأخرين من أصحابنا ، نحو الشيخ الإمام الأجل الزاهد أبي القاسم الصفَّار[٢].

وحجتهم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[٣] وهذا يدل على أن كلام الله تعالى مسموع.

وحجتنا: أن كلام الله تعالى صفة قائمة بالذات تدخل تحت الرؤية ، ولا تدخل تحت السمع ، وإنما الداخل تحت السمع إنَّما هو الحروف والصوت.

* * *

(١) يقصد المصنف بكلمة المتأخرين علماء ما بعد القرن الخامس الهجري.

(٢) هو أحمد بن عصمة ، أبو القاسم الصفَّار ، اختار ما اختاره الأشعري من أن كل موجود كما يجوز أن يرى يجوز أن يسمع.

(٣) سورة التوبة: الآية ٦.

المبحث الثالث
الاسم والمسمى

اعلم بأن الاسم والمسمى واحد عند أهل السنة والجماعة ، والله تعالى بجميع أسمائه واحد.

وقالت المعتزلة والمتقشفة: إن اسم الله تعالى غير الله تعالى ، وهو مخلوق.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾(٢). [أي أنَّ] الله تعالى أمرنا أن نوحده ، فلو كان اسم الله تعالى غير الله تعالى ، لكان حصول التوحيد للاسم لا لله تعالى ، وليس المقصود منه الألف واللام والهاء وإنما المقصود هو الله تعالىٰ..

كقوله تعالىٰ: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾(٣) لم يرد به الاسم وكذلك لو قال: عبده حر ، وامرأته طالق ، يقع الطلاق والعتاق ، فلو كان الاسم غير المسمىٰ لا يقع الطلاق والعتاق ، وكذلك لو

---

(١) سورة غافر: الآية ١٤.
(٢) سورة البينة: الآية ٥.
(٣) سورة مريم: الآية ١٢.

تزوج امرأة يصح النكاح على المسمىٰ فلو كان الاسم غير المسمىٰ لكان وقوع النكاح على الاسم دون المسمىٰ.

فإن قيل روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً فمن أحصاها دخل الجنة»[١].

فلو كان الاسم والمسمىٰ واحداً لكان تسعة وتسعين إلهاً وهذا محال، وكذلك لو قال الرجل: النار فلو كان الاسم والمسمىٰ واحداً لاحترق فوه وكذلك لو كتب اسم الله تعالىٰ على الكاغد، فلو كان كما قلتم لكان يوجد ذات الله تعالىٰ على الكاغد وهذا محال.

قلنا: اسم الشيء يدل على عين ذلك الشيء، ومعنىٰ الخبر أنه أراد به التسميات، وفرق بين الاسم والتسمية[٢]؛ لأن أهل كل لغة يسمونها بلغتهم، نحو الهند، والسند، والترك، والعجم، والتسميات والعبارات مختلفة والله تعالىٰ واحد، كما أن الشخص الواحد يقال هل زيد عالم فاضل صالح فقيه، كذلك ههنا، وكل اسم إذا سميته فهو الله تعالىٰ.

وأما ما ذكرتم من النار.

قلنا: إنما لم يحترق فوه لأنه وجد منه تسمية النار لا حقيقة النار.

وأما إذا كتب اسم الله تعالىٰ على النجاسة.

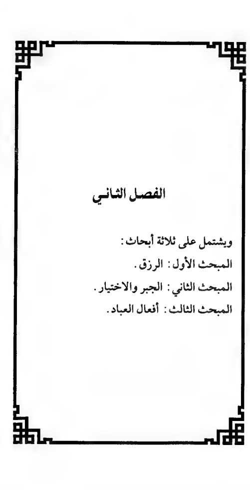
قلنا: ذلك كتابة وتسمية ولم توجد ذات الله تعالىٰ على الكاغد.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٧). وأحمد في المسند (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٩٩). والترمذي في الدعوات (٣٥٠٦). وابن ماجة في السنن (٣٨٩٠). والحاكم في المستدرك (١/ ١٧). والبغوي في شرح السنة (١٢٥٦). والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٧).

(٢) فإذا استعمل الاسم بمعنى التسمية يكون غير المسمىٰ كما يقال: ما اسمك فيقول الرجل محمد يريد به السؤال عن التسمية.





الفصل الثاني

ويشتمل على ثلاثة أبحاث:

المبحث الأول: الرزق.

المبحث الثاني: الجبر والاختيار.

المبحث الثالث: أفعال العباد.



المبحث الأول

الرزق

قال أهل السنة والجماعة: الأرزاق مقسومة معلومة لا تزيد بتقوى المتقين ولا تنقص بفجور الفاجرين، والرزق الذي تكفله الله تعالى هو الغذاء.

وقالت المعتزلة: يزيد وينقص والرزق عندهم: هو ملك الدراهم والدنانير الحاصل بما يكتسب.

وقالوا: الحرام ليس برزق وإنه من فعل العبد.

قلنا: الحرام رزق الله تعالى، ولكن العبد يستحق العقوبة على فعل نفسه[١].

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾[٢].

وكذلك الشدائد والمحن بتقدير الله تعالى وقضائه.

---

(١) أي بناء على مباشرة سببه وقصده واختياره.

(٢) سورة الزخرف الآية ٣٢.

قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣].

وقالت المعتزلة: الشدائد والمحن ليست بقضاء الله تعالى، ولكن بترك جهد العبد، لأن الله تعالى لا يقضي بالشر والمحن ولا يريد[٤].

وعندنا: الدواء سبب والشفاء من الله تعالى، ورؤية الشفاء من الدواء ومن الطبيب كفرٌ، بل الشفاء من الله تعالى، لأنه اتخذه شريكاً مع الله تعالى في الشفاء.

والكسب سبب والرزق من الله تعالى، ورؤية الرزق من الكسب كفر، ولبس الثياب سبب دفع الحر والبرد، ودافع الحر والبرد هو الله تعالى، ورؤية دفع الحر والبرد من الثياب كفر.

* * *

(١) سورة الحديد الآية ٢٢.
(٢) سورة فاطر الآية ٢.
(٣) سورة الأنعام الآية ١٧.
(٤) فإنهم قالوا: ما ليس بمرضي الله تعالى فليس بمراد له.

المبحث الثاني
الجبر والاختيار

قالت الجبرية: ليس للعبد استطاعة[1]، والعبد مجبور على الكفر والمعصية كالريح تهب على الحشيش فيقلبها يميناً وشمالاً.

وقال أهل الحق[2] نصرهم الله تعالى: العبد مستطيع بفعل نفسه وقت الفعل باستطاعة الله تعالى إياه، وتقويته وتوفيقه، والعبد مخير مستطيع[3]، فإذا وجد منه الجهد والقصد والنية والاكتساب في المعصية يجري خذلان الله تعالى مع نيته وقصده، فيستحق العقوبة على فعل نفسه وإذا وجد منه جميع ذلك في الطاعة يجري عون الله تعالى وتوفيقه تعالى مع فعله.

---

(١) الاستطاعة والقوة والقدرة والطاقة والوسع أسماء متقاربة عند أهل اللغة مترادفة عند المتكلمين.

(٢) يقصد بهم أهل السنة والجماعة وهم الأشاعرة والماتريدية.

(٣) فإن الاستطاعة هي: «جملة ما يتمكن به العبد من الفعل إذا انضم إليها اختياره الصالح للضدين على البدل».
وقيل الاستطاعة هي: «التهيؤ لتنفيذ الفعل بإرادة المختار من غير عائق».
والوسع من الاستطاعة ما يسع له فعله بلا مشقة. والطاقة منها بلوغ غاية المشقة.
واستطاعة الأموال والأفعال كلاهما يسمى بالتوفيقية.
واستطاعة الأحوال: وهي القدرة على الأفعال تسمى بالتكليفية.
انظر الكفوي في الكليات ١/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

لأنا لو قلنا: بأن الله تعالى يجبرهم على المعصية ثم يعذبهم على ذلك، لكان ذلك منه ظلماً وجوراً والله تعالى عادل منزه عن الظلم والجور.

* * *

المبحث الثالث
أفعال العباد

قالت المعتزلة هداهم الله تعالى: أفعال العباد كلها مخلوقات العباد والعبد هو الذي يخلق فعل نفسه خيراً كان أو شراً؛ لأن عندهم العبدَ مستطيع باستطاعة نفسه قبل الفعل، ولا يحتاج إلى الاستطاعة والقوة من الله تعالى، وإذا كان العبد مستطيعاً باستطاعة نفسه قبل الفعل فأفعاله تكون مخلوقة من جهته.

وقال أهل السنة والجماعة: أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى.

والله تعالى يخلق أفعال العباد كلها خيراً كان أو شراً؛ لأن الاستطاعة من الله تعالى تحدث للعبد مقارنةً للفعل لا متقدمةً على الفعل ولا متأخرةً عنه، والعبد بجميع أفعاله مخلوق الله تعالى، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] أي عملكم.

أخبر أنه خلق أعمالنا وأنفسنا وآجالنا، ولا جائز أن يقال أراد به المعمولات من الحجر والخشب، لأنه لا شك بأنه مخلوق الله ولهذا

---

(١) سورة الصافات؛ آية ٩٦.
فكلمة ما مع الفعل يراد بها المصدر عند أكثر النحويين.

قلنا: أراد من قوله وما تعملون العمل لا المعمولات يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١).

فظاهر الآية يقتضي أن العمل والمعمول مخلوق الله تعالى، فمن جاوز عن الحقيقة فعليه الدليل.

ويدل على صحة ما قلنا أنّا لو قلنا: بأن العبد يخلق فعل نفسه أدى ذلك إلى أن يكون الخالق اثنين، ومن ادعى ذلك فقد يُكفر؛ لأنَّه ادعى الشرك مع الله تعالى في الخالقية، ومن ادعى الشرك مع الله تعالى في الخالقية يكفر، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾(٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٣) وفعل العبد شيء.

* * *

(١) سورة يس: الآية ٥٤.
(٢) سورة الفرقان الآية ٢.
(٣) سورة الزمر الآية ٦٢.

الفصل الثالث

ويشتمل على ستة أبحاث:

المبحث الأول: الإيمان.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: حكم مرتكب الكبيرة.

المبحث الرابع: التوبة من الذنوب.

المبحث الخامس: المؤاخذة على قصد القلب.

المبحث السادس: المعرفة والإيمان.



المبحث الأول
الإيمان

الإيمان: هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب عند أكثر أهل السنة والجماعة.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان.

وقالت الكَّرامية وهم أصحاب أبي عبد الله محمد الكَّرام: الإيمان مجرد الإقرار دون التصديق.

وقال أبو منصور الماتريدي[١]: الإيمان مجرد التصديق.

(١) هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي من أئمة علماء الكلام نسبته إلى ما تريد محلة بسمر قند وهو حنفي المذهب، ولم يكن الماتريدي من أتباع أبي الحسن الأشعري لأن الماتريدي مفصل مذهب الحنفية قبل أبي الحسن الأشعري ومن قبل الأشعري أيضاً أبو محمد عبد الله بن سعيد القطان فإنه أظهر مذهب أهل السنة، وكان أبو منصور الماتريدي إماماً جليلاً وعالماً ورعاً. وله مصنفات منها كتاب التوحيد وأوهام المعتزلة. ومآخذ الشرائع وتأويلات القرآن وغيرها. مات بسمرقند ٣٣٣ هـ رضي الله عنه.
وقد ترجم له صاحب الفوائد البهية والجواهر المضية ومفتاح السعادة.
انظر الأعلام للزركلي ج٧ ص١٩.

حجة الكرامية ظاهر قول النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنـة»[(١)].

واحتج الشافعي بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[(٢)] الآية.

وقال علم الهدى أبو منصور الماتريدي: الإيمان عبارة عن مجرد التصديق.

يدل عليه قوله تعالى خبراً عن أولاد يعقوب عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[(٣)] أي بمصدق لنا.

وقال أكثر أهل السنة والجماعة: الإيمان له شرائط خمس: أن تشهد بالله ورسله وتؤمن باليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين.

وحجتنا في أن العمل ليس من الإيمان قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[(٤)] سماهم مؤمنين قبل إقامة الصلاة، وفصل بين الإيمان والصلاة وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[(٥)] سماهم مؤمنين قبل إقامة الصلاة.

يدل عليه أنه لو وجد منه الإيمان قبل الضحوة ثم مات قبل الزوال

(١) أخرجه البخاري/ ٣٢٢٢/ عن أبي ذر رضي الله عنه ومسلم ٩٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٣) سورة يوسف: الآية ١٧.
(٤) سورة ابراهيم: الآية ٣١.
(٥) سورة المائدة: الآية ٦.

يكون من أهل الجنة ، فلو كان العمل من الإيمان لا يكون من أهل الجنة؛ لأنه لم يوجد منه العمل.

وكذلك أصحاب الكهف وسحرة فرعون أجمعنا على أنهم من أهل الجنة وإن لم يوجد منهم العمل فثبت أن العمل ليس من الإيمان[١].

وحجتنا على الكرامية: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

فثبت أن التصديق شرط صحة الإيمان .

ويدل عليه قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً دخل الجنة» فقد شرط التصديق.

وقال أهل السنة والجماعة: إذا أتى بالإيمان يقول: أنا مؤمن حقاً من غير شك.

وقال أصحاب الحديث: يقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى[٣].

وحجتهم لو قلنا بأنه يقول: أنا مؤمن حقاً عند الله يكون حكماً

---

(١) والذي يؤيد ذلك ما قاله المحققون من أصحابنا: إن الإيمان هو التصديق بالقلب. والإقرار شرط إجراء الأحكام نص عليه الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في كتاب «العالم والمتعلم» وهو اختيار الشيخ أبي منصور رحمه الله تعالى وأصح الروايتين عن الأشعري إلا أن التصديق لما كان أمراً باطناً لا يمكن بناء الأحكام عليه فأوجب الشرع الإقرار أمارة على التصديق شرطاً لإجراء الأحكام وكان دليلاً عليه.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨.

(٣) قال السعد التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية في مبحث الإيمان: لا خلاف في المعنى بين الفريقين وأظنه أريد بالإيمان مجرد حصول المعنى فهو حاصل في الحال.

على علم الله تعالى في الغيب ، لأن الله تعالى يعرف ضمائر الناس وعواقب أمورهم ، وكل من علم الله تعالى أنه يموت كافراً لا يموت مسلماً؛ لأن علم الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل ، فلعل هذا الرجل يقول: أنا مؤمن حقاً وفي علم الله تعالى أنه يموت كافراً ، يكون مخبراً خلاف ما عند الله تعالى ، وهذا لا يجوز.

وحجتنا: وهو أن الاستثناء يرفع جميع العقود نحو الطلاق ، والعتاق ، والبيع ، فكذلك يرفع عقد الإيمان[١].

ولأنا أجمعنا علىٰ أنه إذا قال: لا إله إلا الله إن شاء الله تعالى ، أو قال أشهد أنَّ محمداً رسول الله إن شاء الله أو قال: آمنت بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر إن شاء الله تعالى يكون كافراً.

فكذلك إذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله-تعالى يكون كافراً؛ لأنه شاك في إيمانه ، وهذا لأن كل أمر متحقق في الحال أو في الماضي من الزمان لا يحسن الاستثناء فيه ، أما دخول الجنة بشرط موته على الإيمان وذلك في الثاني من الزمان فجاز الاستثناء فيه.

الجواب عن شبهتهم[٢]: أنه إذا كان مؤمناً في الحال لا يصير كافراً ما لم يوجد منه الكفر كما في علم الله تعالى أنّا نموت فلا يقال إنّا في الحال موتى.

(١) لأن مثل هذا الكلام صريح في الشك في الحال والصريح لا يحتاج إلى نية وعدم صحة الاستثناء في الإيمان هو قول أبي حنيفة وأصحابه وقوم من المتكلمين. وقد روى ترك الاستثناء في الإيمان والاسلام خمسة من الصحابة الأعلام ، كذا ذكره الكفوي في الكليات «مبحث الإيمان».

(٢) أي أصحاب الحديث.

وكذلك في علم الله تعالى أن الساعة آتية ولا يقال: بأنها آتية في الحال.

وكذلك في علم الله تعالى أن الدنيا للفناء والآخرة للبقاء، ولا يقال بأنهما متحققان في الحال.

يدل على صحة ما قلنا ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: لزيد بن حارثة[١]: «كيف أصبحت. قال: أصبحت مؤمناً حقاً ولم ينكر ﷺ ولكن قال: لكل شيء حقيقة فما حقيقة الإيمان قال: عزفت نفسي عن الدنيا. أي منعتها حتى استوى عندي حجرها، فأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتعاوون فيها. فقال ﷺ: هذا عبد نوّر الله قلبه ثم قال: أصبت والزم»[٢].

* * *

(١) هذه القصة مشهورة عن حارثة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/١٨٨). وأخرجه في كتاب الإيمان له برقم (١٠٤ ـ ١٠٥).

المبحث الثاني
زيادة الإيمان ونقصانه

الإيمان لا يزيد ولا ينقص عند الإمام الأعظم وأصحابه رحمهم الله تعالى.

وقال الشافعي رحمه الله: يزيد وينقص.

وحجته قوله تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[(١)].

كذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[(٢)].

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو وزن إيمان أبي بكر رضي الله عنه مع إيمان أمتي لرجح إيمان أبي بكر»[(٣)].

وكذلك روي عن أبي هريرة[(٤)]، وأنس بن

---

(١) سورة الفتح: الآية ٤.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢.

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه في المسند (٣/ ٦٧١) من قول عمر وسنده صحيح.

(٤) أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له نشأ وقدم المدينة فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي ﷺ وروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي، وولي امرة المدينة مدة، واستعمله عمر على البحرين مدة، وكان أكثر مقامه في المدينة وكان يفتي وقد جمع تقي الدين السبكي جزءاً سمي=

مالك[1]، وأبي سعيد الخدري[2]، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أنهم قالوا: عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج من النار من كان في قلبه مثل شعيرة من الإيمان»[3]. ويروى مثقال ذرة من الإيمان، وهذا يدل على أن الإيمان يزيد وينقص.

حجتنا: وهو أن الإيمان عبارة عن التصديق، لما ذكرنا من الدلائل وأنه لا يقبل الزيادة والنقصان[4].

= فتاوي أبي هريرة ولد سنة ٢١ ق هـ وتوفي بالمدينة سنة ٥٩ هـ يعني عاش ثمانين سنة. انظر أعلام الزركلي ٣/ ٢٠٨ والإصابة ١١٧٩ والجواهر المضية ٢/ ٤١٨ وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٧٠.

(١) أنس بن مالك: أبو حمزة الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، وأحد المكثرين من الرواية عنه، كناه النبي ﷺ أبا حمزة ومازحه فقال له: يا ذا الأذنين، خرج مع النبي ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه، ولم يذكر في البدريين لأنه لم يكن في سن من يقاتل، وخدم النبي ﷺ عشر سنين ودعا له بالبركة. شهد الفتوح وغزا مع النبي ﷺ ثماني غزوات ثم قطن البصرة ومات بها سنة ٩٠ هـ وكان آخر الصحابة موتاً بالبصرة. الاصابة ١/ ٧١ - ٧٢.

(٢) أبو سعيد بن سنان الخدري رضي الله عنه من بني خدرة قبيلة من الأنصار، وكان رضي الله عنه من نجباء الأنصار ومن حفاظ الصحابة وعلمائهم وهو أنصاري خزرجي، مشهور بكنية استصغروه يوم أحد، واستشهد أبوه بها وغزا ما بعدها روى له (١١٧٠) حديثاً. روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين توفي بالمدينة سنة ٦٤ هـ على الأشهر وكان رضي الله عنه أفقه أحداث الصحابة ومن أفاضلهم اهـ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣) ولفظ الحديث: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان».

(٤) هذا هو الإيمان المطلق ويسمى بالإيمان الكامل، فإنه لا يقبل الزيادة والنقصان أما مطلق الإيمان فإنه يطلق على الناقص والكامل ولهذا نفى رسول الله ﷺ الإيمان المطلق عن الزاني وشارب الخمر والسارق ولم ينف عنهم مطلق الإيمان فلا يدخلون في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ =

وأما قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾.

قلنا: ذلك في حق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين؛ لأن القرآن كان ينزل في كل وقت فيؤمنون به فيكون تصديقهم الثاني زائداً على الأول، وأما في حقنا فلا، لأنه انقطع الوحي.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

قلنا: ذلك صفة المؤمنين، والمؤمنون في الطاعة متفاوتون أما في الإيمان فلا.

وأما قوله تعالى: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ المراد به اليقين لا نفس الإيمان.

وأما حديث أبي بكر رضي الله عنه قلنا: ذلك ترجيح في الثواب؛ لأنه سابق في الإيمان. وقد قال ﷺ: «الدال على الخير كفاعله»[1].

= وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ سورة البقرة الآية: ١٠٧. ولا في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة المؤمنون الآية: ١، ويدخلون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء الآية: ٩٣، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ سورة النساء الآية: ٩٢، والإيمان المطلق يمنع دخول النار. ومطلق الإيمان يمنع الخلود والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٩٣) والترمذي برقم (٢٦٧٢) باب ما جاء في أن الدال على الخير كفاعله وأبو داود (٥١٣٩).

وأما قوله ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثل شعيرة من الإيمان»[1].

قلنا: روي في بعض الروايات: «يخرج من النار من كان في قلبه الإيمان مثل شعيرة» فيجب حمله على هذا عملاً بما ذكرنا من الدلائل.

* * *

(١) تقدم تخريجه.

المبحث الثالث
مرتكب الكبيرة[١]

قالت الخوارج: من ارتكب الكبيرة يكفر وقالوا: إن علياً رضي الله عنه كفر بقتل البغاة والخوارج.

وقالت المرجئة[٢]: لا تضر المعصية مع الإيمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر.

وقالت الجبرية: العبد مجبور على الكفر والمعاصي.

وقالت المعتزلة: يخرج بها[٣] من الإيمان، ولا يدخل في الكفر.

وشبهة الخوارج قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا﴾[٥].

والخلود: إنما يكون لخروجه عن الإيمان. وكذلك قوله ﷺ:

---

(١) الكبيرة: هي كل ما توعد عليه الشرع بخصوصه كالزنا والسرقة وشرب الخمر، وغير ذلك والصغيرة ما ليست كذلك.

(٢) المرجئة: قوم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة كذا في تعريفات الجرجاني ص ٢٦٨.

(٣) أي الكبيرة.

(٤) سورة الأنعام الآية: ١٢١.

(٥) سورة النساء الآية: ١٤.

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن»[(١)] .

وكذلك قوله ﷺ: «الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين»[(٢)] .

وحجتنا قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[(٣)] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[(٤)] .

والتوبة إنما تكون من الحوبة وهي الكبيرة.

وكذلك قوله ﷺ: «صلوا خلف كل بر وفاجر»[(٥)] . فلو خرج من الإيمان لما أمرنا بالصلاة خلفه.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ .

قلنا: المراد به الطاعة في الشرك؛ لأنهم قالوا: الميتة حلال؛ لأنه مذبوح لله تعالى، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[(٦)] .

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ﴾ .

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٥٥٧٨ ومسلم برقم ٥٧ ـ ١٠٢ .

(٢) قال الحافظ في التلخيص ٢/ ٣٥ أخرجه أبو نعيم شيخ البخاري في كتاب الصلاة مرسلاً ورجاله ثقات ، أما زيادة «ومن تركها فقد هدم الدين» فلا أصل لها ، ولكنها صحيحة في المعنى.

(٣) سورة النور: آية ٣١ .

(٤) سورة التحريم: آية ٨ .

(٥) قال الحافظ في التلخيص ١١٧٣ أخرجه أبو داود والدار قطني واللفظ له والبيهقي عن حديث مكحول وهو منقطع.

(٦) سورة الأنعام: آية ١٢١ .

قلنا: المراد منه الكفار، لأن التعدي إنما يكون من الكفار.

وأما قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

قلنا: هذا إخراج الكلام مخرج العادة؛ لأن الظاهر الغالب في زمن النبي ﷺ عدم الزنى، فأخرج الكلام مخرج التهديد من غاية قبح هذه الأشياء.

وأما قوله ﷺ: «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين»[١].

قلنا: المراد به الترك من حيث الاعتقاد. وإذا تركها من حيث الاعتقاد صار كافراً[٢].

* * *

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أما من ترك الصلاة كسلاً وهو معتقد بها وبوجوبها فلا يكفر بل يفسق.

المبحث الرابع
التوبة[1] من الذنوب

ثم الذنوب على أوجه:

منها ما يكون بينه وبين ربه كالزنى واللواطة ، وشرب الخمر ، والكذب ، والغيبة ، والبهتان ، إذا لم يبلغ الخبر يرتفع بالتوبة[2] ، وأما إذا بلغه الخبر لا يرتفع بالتوبة ما لم يجعله في حلّ. وكذلك إذا زنى بامرأة ولها زوج فبلغه الخبر، لا يرتفع بالتوبة ما لم يجعله في حلّ.

وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم فلا يرتفع بالتوبة إلا بقضاء الفوائت.

---

(١) اعلم أن التوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كان الذنب يتعلق بحقوق الله فلها شروط ثلاثة:
أولاً: الندم على ما فات.
ثانياً: الإقلاع في الحال.
ثالثاً: العزم على عدم العود للذنب.
فهذه هي التوبة النصوح. وإن فقد أحد هذه الثلاثة لم تصح توبته ، وإن كان الذنب يتعلق بحقوق العباد فلها شروط أربعة هذه الثلاثة المذكورة والشرط الرابع: أن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كان مالاً أو عقاراً أو نحو ذلك رده إلى صاحبه ، وإن كان حد قذف أو نحوه مكّنه منه ، أو طلب العفو من صاحبه وإن كان غيبه استحله منها. والتوبة واجبة من جميع الذنوب قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة النور الآية: ٣١ .

(٢) أي الإثم.

المبحث الخامس
المؤاخذة على قصد القلب

وقال أهل السنة والجماعة: العبد مأخوذ بما قصد[١] بقلبه نحو الزنى واللواطة وغير ذلك، إن شاء عذبه وذلك عدل منه استدلالاً بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[٢] [وإن شاء عفا عنه وذلك فضل منه].

وأما ما خطر[٣] بباله ولم يقصد لا يؤاخذ به.

وقال بعضهم به في الصورتين جميعاً. وحجتهم قول النبي ﷺ: «إن الله عفى عن أمتي ما خطر ببالهم ما لم يتكلموا به أو فعلوا»[٤].

(١) القصد: من دواعي الانسان، والدواعي على مراتب: السانح ثم الخاطر ثم الفكر ثم الارادة ثم الهم ثم العزم، فالعزم: هو القصد على إمضاء الفعل وهو الذي يؤاخذ به.
انظر الكليات للكفوي ٥/ ٨٠.

(٢) سورة البقرة: الأية ٢٢٥.

(٣) الخاطر: هو اسم لما يتحرك في القلب من رأي أو معنى، وهو من الصفات الغالبة، وأصل تركيبه يدل على الاضطراب والحركة.
انظر كليات أبي البقاء ٢/ ٣٠٩.

(٤) أخرجه البخاري برقم ٢٥٢٨.

وحجتنا قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾[1].

أي يجازيكم به الله تعالى، فثبت أنه يؤاخذ بقصده.

وما ذكرتم من الحديث محمول على ما إذا خطر بباله ولم يقصد، أما إذا قصد فلا.

* * *

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٤.

المبحث السادس

المعرفة والإيمان

قالت الجهمية: الإيمان: هو معرفة بالقلب دون الإقرار باللسان.

وقال أهل السنة والجماعة: المعرفة بالقلب ليست بإيمان ما لم يوجد منه الاقرار باللسان.

وحجتنا قوله تعالى: ﴿فَأَثَبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟﴾[1] مع أن سياق الآية يدل على أن المعرفة بالقلب ليست بإيمان ما لم يوجد منه الإقرار باللسان.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

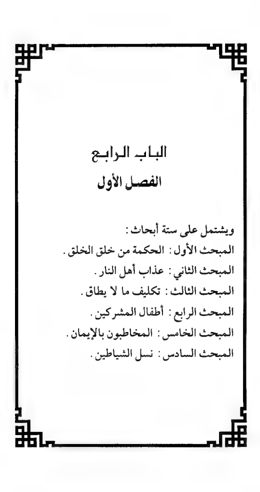
وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[3]

(١) سورة المائدة: آية ٨٥.
(٢) سورة البقرة: آية ١٤٦.
(٣) سورة النمل: آية ١٤.

فثبت أن مجرد المعرفة ليست بإيمان [1].

* * *

(١) إنه مما يحسن ذكره الفرق بين الإيمان والمعرفة. فاعلم أن الإيمان والمعرفة ليسا بمتحدين؛ لأن الإيمان هو التصديق، والتصديق عبارة عن ربط القلب بأنه على ما علمه من أخبار المخبر بأنه كذا، فهذا الربط أمر كسبي يثبت باختيار المصدق. وأما المعرفة فليست كذلك لحصولها بدون الاختيار كما إذا وقع بصر الإنسان على شيء بدون اختياره، فإنه يحصل له معرفة بالمبصر بأنه حجر أو مدر أو غير ذلك بدون ربط قلبه عليه بالانشغال بأنه هو. فالمعرفة ليست بإيمان بخلاف التصديق فإنه إيمان. والله أعلم.



الباب الرابع

الفصل الأول

ويشتمل على ستة أبحاث:

المبحث الأول: الحكمة من خلق الخلق.

المبحث الثاني: عذاب أهل النار.

المبحث الثالث: تكليف ما لا يطاق.

المبحث الرابع: أطفال المشركين.

المبحث الخامس: المخاطبون بالإيمان.

المبحث السادس: نسل الشياطين.



المبحث الأول

الحكمة من خلق الخلق

قالت المرجئة: إن الله تعالى خلق الخلق وسيَّبهم لم يأمرهم ولم ينههم الله.

وما جاء في القرآن دالّ على صورة الأمر لا حقيقة الأمر، وهو الندب والاستحباب، فإن أحسن فله الثواب، وإن أساء فلا عقاب عليه كما قال الله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾[2].

والجواب عنه:

١ ـ كل أمر لم يتعقبه الوعيد بتركه فهو على الندب والاستحباب كما قلتم، وكل أمر يتعقبه الوعيد بتركه فهو على الحتم والإيجاب كما في الصلاة.

قال الله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ

(١) سورة البقرة: آية ٦٠.
(٢) سورة المائدة: آية ٢.

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[١].

وكما في الزكاة قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾[٢].

٢ ـ ولأنه لا يحسن من حكمة الحكيم أن يخلق الخلق مهملين لا يأمرهم ولا ينهاهم.

قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[٣].

وكذلك [قوله تعالى]: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾[٤].

* * *

(١) سورة مريم: آية ٥٩.
(٢) سورة التوبة: آية ٣٥.
(٣) سورة القيامة: آية ٣٦.
(٤) سورة المؤمنون: آية ١١٥.

المبحث الثانـي
عذاب أهل النار

قالت المرجئة : إذا دخل أهل النار النار ، فإنهم يكونون في النار بلا عذاب ، كالحوت في الماء ، إلا أن الفرق بين الكافر والمؤمن أن للمؤمن استمتاعاً في الجنة بأكل وشرب ، وأهل النار ليس لهم استمتاع في أكل وشرب ، وهـذا باطـل يـدل عليـه قولـه تعالـى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا ﴾[1] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾[2] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾[3] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾[4] .

* * *

(١) سورة فاطر : الآية ٣٧ .
(٢) سورة الطلاق : الآية ٩ .
(٣) سورة الزخرف : الآية ٧٧ .
(٤) سورة النساء : الآية ٥٦ .

المبحث الثالث
تكليف مالا يطاق[1]

قالت الجبرية: ليس للعبد استطاعة، والعبد مجبور على الكفر والإيمان.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[2]. الله تعالى أخبر أنهم لا يستطيعون العدل، ومع هذا أمرهم بالعدل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3] الله تعالى أمرهم مع علمه بأنهم لا يستطيعون.

وكذلك قولـه تعالـى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[4].

---

(١) اعلم أن التكليف بمالا يطاق غير جائز خلافاً للأشعري رحمه الله، لأنه لا يليق من الحكيم ولقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ سورة البقرة الآية ٢٨٦ . إلى غير ذلك من الآيات وهو غير واقع في الممتنع لذاته، كإعدام القديم وقلب الحقائق والجمع بين الضدين اتفاقاً، واقع عند الأشعري في غير الممتنع لذاته كإيمان أبي جهل. انظر التلويح على التوضيح ١٩٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٤) سورة القلم: الآية ٤٢.

وكذلك قوله تعالى خبراً عن النبي: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[(١)] فلو لم يكن التكليف للعاجز جائزاً لم يكن لهذا الدعاء معنى وفائدة.

وكذلك قوله ﷺ: «من صوّر صورة بيده كلف يوم القيامة بأن ينفخ فيها الروح»[(٢)].

والجواب عن قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾أي المساواة في محبة القلب، والعبد لا يملك ذلك لما روي عن النبي أنه قال: «اللهم هذه قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك»[(٣)] فلم يكن الأمر بالعدل أمراً للعاجز.

وأما قوله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

قلنا: المراد به أنه أمرهم بذلك تقريراً لعجزهم؛ لأنهم ظنوا أنهم أعلم من آدم عليه السلام، يدل عليه أنهم ما استحقوا العقوبة بتركه.

وأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾.

قلنا: المراد به أنهم كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا فيستحقون العقوبة بتركه في الآخرة.

وأما قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٦.
(٢) أخرجه البخاري ٧/ ٤٢ وأخرجه أحمد ١/ ٢١٦. وأخرجه الحميدي برقم ٥٣١.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ١٤٤، وابن أبي شيبة ٤/ ٣٨٦، والنسائي ٧/ ٦٤، والدارمي ٢/ ١٤٤، وابن حبان (٤٢٠٥)، وأبو داود(٢١٣٤)، والحاكم ٢/ ١٨٧، والبيهقي ٧/ ٢٩٨ حسن لغيره.

قلنا : المراد به لا تكلفنا ما يشق علينا علىٰ الدوام ولم يُرد به عدم الطاقة أصلاً[١] .

وذكر في التفاسير : أي لا تجعلنا القردة والخنازير .

وقيل : واعف عنا المسخ ، واغفر لنا الخسف ، وارحمنا من العذاب ، فرفع الله تعالىٰ عن هذه الأمة الثلاثة عن عادتهم .

وأما قوله ﷺ : «من صوّر صورة بيده كلف يوم القيامة بأن ينفخ فيها الروح» .

قلنا : المراد به تقرير عجزهم ، وإنما استحق الأمر عقوبتهم .

* * *

(١) أي أن الاستعاذة إنما هي عن تحميل ما لا يطاق لا عن تكليفه ، إذ عندنا يجوز أن يحمله جبلاً لا يطيقه بأن يلقي عليه فيموت، ولا يجوز أن يكلفه بحمل جبل بحيث لو فعل يثاب ولو امتنع يعاقب فلا جرم صحت الاستعاذة منه بقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٨٦ .
انظر شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص ١٢٧ .

المبحث الرابع
أطفال المشركين

قال أهل السنة والجماعة : أطفال المشركين خدام أهل الجنة .

وقالت المعتزلة[١] : حكمهم كحكم آبائهم يخلدون في النار .

واختلف علماء أهل السنة والجماعة في هذه المسألة :

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : لا أدري أَهُم في الجنة أم في النار[٢] .

وقال محمد بن الحسن[٣] رحمه الله : إني أعلم أن الله تعالى لا يعذب أحداً من غير ذنب .

وإنما قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : لا أدري احتياطاً لتعارض الأدلة[٤] .

---

(١) وقال بعضهم : إن كان قد علم الله تعالى منه الإيمان على تقدير البلوغ فهو في الجنة وإن كان قد علم منه الكفر على تقدير البلوغ فهو في النار .

(٢) لأن ما صح من الأخبار فيهم يدل على أن أمرهم موكول إلى الله تعالى وإلى ما علم من كل واحد منهم وكتب له السعادة أو الشقاوة .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) فإن التعارض عند أبي حنيفة رضي الله عنه هو ورود دليلين يقتضي أحدهما عدم ما يقتضيه الآخر نفياً أو إثباتاً حلاً أو حرمة ، وإذا ثبت حكم التعارض بين الشيئين ولم يوجد ما يقتضي ترجيح أحدهما ، أو إعمال أحد المتعارضين ، أو الجمع بينهما فمصيرها إلى السقوط أو التوقف لا محالة كما هنا .

المبحث الخامس
المخاطبون بالإيمان

ثم المخاطبون [بالإيمان] أربعة أصناف: الملائكة، وبنو آدم، والجن[١]، والشياطين.

أما الملائكة: فكل من وجد منه الكفر فهو من أهل النار وعليه العقاب[٢] كإبليس، وكل من وجد منه

(١) قال أبو عمر بن عبد البر الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ سورة الرحمن الآية: ١٣.
وقال الفخر الرازي في تفسيره أطبق الكل على أن الجن كلهم مكلفون. وقال القاضي عبد الجبار: لا نعلم خلافاً بين أهل النظر في أن الجن مكلفون.
والدليل على أنهم مكلفون ما في القرآن من ذم الشياطين ولعنهم والتحرز من غوائلهم وشرهم، وذكر ما أعد الله لهم من العذاب، وهذه الخصال لا يفعلها الله تعالى إلا لمن خالف الأمر والنهي وارتكب الكبائر وهتك المحارم مع تمكنه من أن لا يفعل ذلك وقدرته على فعل خلافه.
قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ سورة الجن الآيات: ١ ـ ٢.
إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تكليفهم وأنهم مأمورون منهيون. ا هـ.

(٢) اعلم أن عقاب الملائكة مخالف لإجماع علماء المسلمين وما ذكره المصنف رحمه الله من عقاب الملائكة المراد منه، إبليس عليه اللعنة بناءً على دخوله في لفظ «الملائكة» في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ=

المعاصي[1] لا الكفر فعليه العقاب، دليله قصة هاروت وماروت[2]، وكل من وجد منه الطاعة فهو من أهل الجنة ولا ثواب له.

وأما الشياطين: فكلهم من أهل النار.

وأما بنو آدم فكلهم من أهل الجنة إذا كانوا مؤمنين.

وأما الجن: فكل من وجد منه الكفر فهو من أهل النار، وكل من تاب وآمن فله الجنة، ولا ثواب له عند أبي حنيفة رحمه الله كالملائكة.

وقال أبو يوسف[3] ومحمد والشافعي رحمهم الله: لهم الثواب.

= إبليس﴾ سورة البقرة الآية: ٣٤ . بطريق التغليب، لا على أنه من الملائكة والله أعلم.

(١) اعلم أن الملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم في الحقيقة سُفُر الله تعالى بينه وبين خلقه وعباده يتصرفون في العباد على مقتضى ما رسم لهم وأذن في ذلك طائعون لله عز وجل، ساجدون له وراكعون، يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد»، الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٧٣ عن أبي ذر رضي الله عنه. فمن كان هذا حاله فلا يعصي الله سبحانه وتعالى والله أعلم.

(٢) ما اشتهر من قصة هاروت وماروت ليس مقبولاً عند كثير من المحققين، ذكر أبو العباس أحمد بن تيمية أن السبب في إنزالها أن السحر قد فشا في ذلك الزمان واشتغل الناس به، وكثر دعوى النبوة، فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة السحرة الكفرة. وقيل إنهما رجلان سميا بملكين لصلاحهما، ويؤيده قراءة الملكين بالكسر والله أعلم.

(٣) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف =

والحجة لأبي حنيفة رحمه الله: القياس: [وهو] أن لا يستحق العبد الثواب على الله تعالى بالطاعة، إلا أن الأثر ورد في بني آدم، فصار معدولاً [به] عن القياس، لأن العبد إذا عمل للمولى لا يستحق الأجر منه، وكل من يقول بأنه يستحق الثواب بالطاعة فعليه الدليل.

إلا أن الله تعالى وعدهم بأن يغفر لهم ذنوبهم إذا تابوا.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وحجتهم: [أنه] إذا كان لهم العقوبة على المعاصي علمنا أن لهم الثواب على الطاعة[2]، وليس لهم أكل وشرب، ولكن لهم شم،

= صاحب أبي حنيفة، وتلميذه وأول من نشر مذهبه، كان فقيهاً علامة من حفاظ الحديث ولد بالكوفة سنة ١١٣ هـ، وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة فغلب عليه الرأي، وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد ومات في خلافته ببغداد سنة١٨٢ هـ وهو على القضاء وهو أول من دعي قاضي القضاة. ويقال له قاضي قضاة الدنيا، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب من كتبه الخراج ط، والآثار ط وهو مسند أبي حنيفة، والنوادر واختلاف الأمصار، وغير ذلك.

انظر الأعلام للزركلي ١٩٣/٨. الجواهر المضية ١٨٢٥/٣. تذكرة الحفاظ ٢٩٢/١.

(١) سورة الأحقاف: آية ٣١.

(٢) قال الإمام ملا علي القاري في شرحه على الفقه الأكبر نقلاً عن القونوي أنه سئل الرستغنى عن الملائكة هل لهم ثواب وعقاب فقال: نعم لهم ثواب وعقاب إلا أن عقابهم كعقاب الأدميين وثوابهم ليس كثواب الآدميين؛ لأن ثوابهم التلذذ بالشم. ثم إن الله تعالى جعل لذاتنا وشهواتنا في الدنيا من المأكول والمشروب=

وذلك غذاء لهم[١]، ولهم التناسل كما في بني آدم وما يتصل بهذا[٢].

* * *

= ونحوهما فكذلك يجعل ثوابنا في الدار الآخرة، وأما الملائكة فإن الله تعالى جعل لذتهم وشهوتهم في الدنيا في طاعتهم لله تعالى وبذلك طابت أنفسهم وبها شبعهم وريهم، فكذلك في الآخرة استدلالاً بالشاهد، فغير مقبول؛ لأن عقاب الملائكة مخالف لإجماع أهل الملة، وأما كون ثوابهم بقاؤهم على لذة طاعتهم فظاهر. وأما قصر ثوابنا على اللذة الظاهرية فممنوع؛ لأن في الجنة يحصل لأهلها التلذذ بالذكر والشكر وأنواع المعرفة وأصناف الزلفة والقربة التي نهايتها الرؤية مما ينسى بجنبها التلذذ بالشهوات الحسية، واللذات النفسية.

(١) قال الإمام بدر الدين الشبلي في كتابه «آكام المرجان في أحكام الجان»: قال بعضهم: أكلهم وشربهم تشمم واسترواح لا مضغ وبلع، وهذا قول لا ينهض له دليل، وقال آخرون: أكلهم وشربهم مضغ وبلع وهذا القول هو الذي تشهد له الأحاديث الصحيحة والعمومات الصريحة. ويدل على مضغهم وبلعهم حديث أمية بن فحشى من رواية أبي داود وفيه ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر الله تعالى استقاء ما في بطنه.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ سورة الرحمن الآية: ٧٤، وهذا يدل على أن يتأتى منهم الطمث وهو الافتضاض. يقال طمثها إذا افتضها وهو أحد معانيه. قال ابن جرير في تهذيب الآثار: واختلفوا في الطمث فقال بعضهم: الطمث: هو الجماع الذي يكون معه تدمية من فرج الأنثى عند الجماع. وقيل غير ذلك.
أما بالنسبة للتناسل والذرية قال تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ﴾ سورة الكهف الآية: ٥٠ . وهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية ورقتهم لا تمنع من توالدهم إذا كان ما يلدونه رقيقاً.

المبحث السادس
في معرفة نسل الشياطين

قيل: إنها تبيض بيضات فيخرج منها الولد.

وقد جاء في خبر آخر أن في إحدى فخذيه فرجاً، وفي الآخر ذكراً، فيجامع مع نفسه فيخرج منها الولد، وهذه رواية شاذة.

وقد جاء في الخبر: أنه يدخل ذكره في دبره فيخرج منه الولد، وهذا غير صحيح، والصحيح هو الأول.

وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] أنه قال: «ثلث عروس الشياطين النائحة والمغنية والسكران» معناه: يعانقهم ويقبلهم، أما المجامعة فلا تحصل بينه وبين بني آدم[1]، لأن الشياطين ليس لهم عمل على بني آدم.

(١) فيه نظر، فإن النبي ﷺ قال: «إذا جامع الرجل امرأته ولم يسم انطوى الشيطان إلى إحليله فجامع معه».
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أتى الرجل امرأته وهي حائض سبقه الشيطان إليها فحملت فجاءت بالمخنث، فالمختثون أولاد الجن رواه الحافظ ابن جرير ونهى النبي ﷺ عن نكاح الجن. وقول الفقهاء لا تجوز المناكحة بين الإنس والجن، وكراهةُ من كرهه من التابعين دليل على إمكانه؛ لأن غير =

. . . .

الممكن لا يحكم عليه بجواز ولا بعدمه في الشرع، ولقد سئل بدر الدين الشبلي صاحب كتاب آكام المرجان في أحكام الجان عن هذه المسألة، وكانت هذه المسألة سبباً لتأليف كتابه آكام المرجان.

وكان السؤال على الشكل التالي:

فإن قيل: الجن من عنصر النار، والانسان من العناصر الأربعة، وعليه فعنصر النار يمنع أن تكون النطفة الإنسانية في رحم الجنية، لما فيها من الرطوبة فتضمحل ثمة لشدة الحرارة النيرانية. ولو كان ذلك ممكناً لكان ظهر أثره في حل النكاح بينهم.

والجواب من وجوه، الأول: أنهم وإن خلقوا من نار فليسوا بباقين على عنصرهم الناري، بل قد استحالوا عنه بالأكل والشرب والتوالد والتناسل كما استحال بنو آدم عن عنصرهم الترابي بذلك. على أنا نقول: إن الذي خلق من نار هو أبو الجن. كما خلق آدم أبو الإنس من تراب. وأن كل واحد من الجن غير أبيهم فليس مخلوقاً من النار كما أن كل واحد من بني آدم ليس مخلوقاً من تراب. وقد أخبر النبي ﷺ أنه وجد برد لسان الشيطان الذي عرض له في صلاته على يده لما خنقه. وفي رواية قال النبي ﷺ: فما زلت أخنقه حتى برد لعابه» أخرجه أحمد ٣/ ٨٢ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: «لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين إصبعي هاتين الإبهام والتي تليها»... الحديث. فبرد لسان الشيطان ولعابه دليل على أنه انتقل عن العنصر الناري إذ لو كان باقياً على حاله من أين جاء البرد.

الوجه الثاني: أنا لو سلمنا عدم إمكان العلوق، فلا يلزم من عدم إمكان العلوق عدم إمكان الوطء في نفس الأمر، ولا يلزم من عدم إمكان العلوق أيضاً عدم إمكان النكاح شرعاً، فإن الصغيرة والآيسة والمرأة العقيم لا يتصور منهن علوق، والرجل العقيم كذلك ومع هذا فالنكاح لهن مشروع.

الوجه الثالث: قوله: ولو كان ذلك ممكناً لكان ظهر أثره في حل النكاح، هذا غير لازم، فإن الشيء قد يكون ممكناً ويتخلف لمانع، فإن المجوسيات

والذي يروى أن سليمان [عليه السلام] زال عنه ملكه أربعين يوماً، وأن الشياطين يتواصلون إلى نسائه وجواريه، فتولد الأكراد الذين يسكنون الجبال، فلما عاد إليه الملك عزلهن عن نفسه.

قلنا: هذا غير صحيح، والصحيح أنهم لم يتواصلوا إلى نسائه وجواريه[1].

* * *

= والوثنيات العلوق فيهن ممكن ولا يحل نكاحهن. والمانع من جواز النكاح بين الإنس والجن عند من منعه إما اختلاف الجنس عند بعضهم أو عدم حصول المقصود أو عدم حصول الإذن من الشرع في نكاحهم والله أعلم.

(١) إن هذه الأقوال التي نقلها المفسرون لا تصح لمنافاتها العصمة التي هي من أخص صفات الأنبياء عليهم السلام، فيجب براءة الأنبياء منها، ولا يحل نقلها، وهي إما من وضع اليهود أو الزنادقة. وقال الألوسي: ومن أقبح ما زعم تسلط الشياطين على نساء نبيّه حتى وطأهن وهن حيض، وقد ضعف القرطبي هذا الزعم.
انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٣٠.

الفصل الثاني

ويشتمل على تسعة أبحاث:

المبحث الأول: الغنى والفقر.

المبحث الثاني: الاكتساب.

المبحث الثالث: من لا يسأل في القبر ولا يعذب.

المبحث الرابع: الله تعالى خالق الآن.

المبحث الخامس: كرامات الأولياء.

المبحث السادس: ولاية الشياطين على بني آدم.

المبحث السابع: إثبات الرسالة.

المبحث الثامن: هل نبينا محمد ﷺ رسول الآن.

المبحث التاسع: الإسراء والمعراج.



المبحث الأول
الغنى والفقر

[اعلم أن] الغنىٰ أفضل من الفقر وبه أخذ بعض مشايخنا.

وقال عامة مشايخنا: الفقير الصابر خير من الغني الشاكر، وبه أخذ الفقيه أبو الليث رحمه الله[1] واتفقوا علىٰ أن الفقير الصابر خير من الغني المبذِّر والبخيل.

وحجة الفريق الأول: قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[2].

منّ عليه بالغنى كما منّ عليه بالهدى، فلو كان الفقر أفضل من الغنى لم يكن للإمتنان معنى وفائدة.

وكذلك الأنبياء كانوا أغنياء كداود، وسليمان، ويوسف، وإبراهيم، وموسى، وشعيب عليهم السلام، والصحابة كانوا أغنياء حتى روي أن عبد الرحمن بن عوف[3] طلق امرأته في مرضه،

---

(١) هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي أبو الليث الملقب بإمام الهدى علامة من أئمة الحنفية ومن الزهاد المتصوفين المتوفى سنة ٣٧٣ هـ انظر أعلام الزركلي ٨/ ٢٧.

(٢) سورة الضحى: آية ٧.

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث القرشي، أبو محمد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى أسلم قديماً، وهاجر =

فصولحت امرأته تماضر على ربع ثمنها على ثمانية آلاف درهم.

وفي رواية على ثمانين ألف درهم، وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[١]. ولأن الغني جمع بين العبادتين عبادة النفس وعبادة المال، فيكون الغنىٰ أفضل من الفقر.

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[٢].

وحجة الفريق الثاني قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[٣].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت علي مفاتيح كنوز الدنيا فما كنت أقبلها، فقلت أجوع يومين وأشبع يوماً»[٤].

= الهجرتين، وشهد بدراً وسائر المشاهد، وكان اسمه عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ روى عن النبي ﷺ وغيره من الصحابة وقال عمر عنه: عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين، وأوصى عبد الرحمن بن عوف لكل من شهد بدراً بأربعمائة دينار، فكانوا مائة رجل. وأخرج أبو نعيم في الحلية أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف نسمة. مات سنة إحدى وثلاثين ٣١ هـ. ودفن بالبقيع وصلى عليه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.
انظر الإصابة ج٢ ص ٤١٦ ـ ٤١٧.

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٤٢) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٣) والطبراني في الأوسط برقم (٢٧٣) وهو شديد الضعف.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩) والحاكم (٢/ ٢) و (٢/ ٢٣٦) وابن حبان في الصحيح (٨/ ٦) وأبو يعلى في المسند (١٣/ ٣٢٢) والبغوي في شرح السنة (١٠/ ٩١) والطبراني في الأوسط (٣/ ٣٤٤).

(٣) سورة العلق: الآية ٦.

(٤) أخرجه أحمد في المسند والبزار وأبو يعلى. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى بإسناد حسن (٩/ ١٩).

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»[1].

ولأن الأنبياء كانوا فقراء مثل زكريا ويحيى وعيسى وخضر[2] وإلياس عليهم السلام، وكثير من الناس رووا أنه مات أربعون نبياً في يوم واحد من الجوع والقمل، ونبينا ﷺ اختار الفقر والجهاد، وقال: «لكل نبي حرفة وحرفتي اثنان الفقر والجهاد، ومن أحبهما في الدنيا فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[3].

وفي خبر آخر: «الغنىٰ مسرة في الدنيا ومشقة في الآخرة، والفقر مشقة في الدنيا ومسرة في الآخرة»[4].

وفي الخبر: «الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم»[5]

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٥٢) وقال: حديث غريب.

(٢) الخضر واسمه: بليا ولقبه الخضر كذا ذكره الإمام النووي رحمه الله تعالى، أخرجه الإمام أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة، وكذا أخرجه الطبراني عن أبي عباس مرفوعاً، وإنما سمي الخضر خضراً؛ لأنه داس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء، وهو الذي يقتله الدجال ثم يحييه.

(٣) لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ.

(٤) لا أصل له بهذا اللفظ ولكن ورد في معناه ما أخرجه ابن حبان (٢/ ٤٨٦) وأحمد في المسند (٤/ ٤١٢) والحاكم (٤/ ٣٠٨).
وجابر وابن عمر أخرجه الترمذي وابن ماجة وابن أبي شيبة.

(٥) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٦، ٤٥١/ والترمذي ٤١٢٢ وابن ماجة ٤١٢٢/ وابن أبي شيبة/ ١٣/ ٤٢٦/ وابن حبان في الصحيح ٦٧٦.
وأبو نعيم في الحلية/ ٨/ ٣٠٧ و٧/ ٩٩/ عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً وأخرجه أحمد/ ٣/ ٦٣ وأبو داود/ ٣٦٦٦/ والترمذي / ٢٣٥٢/ وابن ماجة/ ٤١٢٢ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، في الباب عن=

وهو خمسمائة سنة من سني الدنيا ، فثبت أن الفقر أفضل .

والجواب عن احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ أي أغناك بالقناعة وهي كنز لا يفنى ، لأن الغنىٰ غنى القلب لا غنى المال ، والثاني : أغناك بالعلم .

والجواب عن قولهم: والأنبياء كانوا أغنياء بالقلب حيث لم يلتفتوا إلى الدنيا . والمال كان في أيديهم ولم يطمئنوا به وأكلوا من كسب أيديهم .

وفي الخبر : «الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا العالم والمتعلم»[(١)] .

وفي رواية أخرى : «إلا ذكر الله» .

وأما قوله ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً» .

قلنا : المراد به الفقر عن العلم وعن الصبر لا عن المال ، أوكاد الفقر أن يكون مستوراً عن أعين الناس من غاية عزته .

* * *

= أنس وجابر وابن عمر أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبة .

(١) روي موقوفاً ومرفوعاً من طريق، أخرجه الترمذي (٢٣٢٣) وابن ماجة (٤١١٢) وأحمد في الزهد (١٥٤) وابن أبي عاصم في الزهد/١٢٦ ـ ١٢٧/ وابن المبارك في الزهد وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٥٧، ٧/ ٩٠ والطبراني في الأوسط كما في المجمع المؤسس ، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا .

المبحث الثاني
الاكتساب

قالت القدرية: يفترض على العبد الاكتساب وطلب القوت.

وقال أهل السنة والجماعة: إن كان له قوت فالكسب له سنَّة رخصة، وإن لم يكن له وله دراهم يشتري بها القوت فالكسب له رخصة، وإن كان مضطراً وله أهل وعيال فالكسب عليه فريضة.

وقالت المتقشفة والكرامية: الكسب حرام، ووضع المال حرام، لأن التوكل على الله واجب قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١].

قالوا: والاكتساب يرفض التوكل، وذلك لا يجوز؛ لأن الله تعالى يرزق من حيث لا يحتسب، إلا أنا نقول: التوكل على الله فريضة والاكتساب لا يرفض التوكل؛ لأن التوكل من صفة القلب وهو الثقة بالله والخوف والرجاء من الله، ورؤية الرزق من الكسب كفر وضلال، ومن الله دين وشريعة.

يدل عليه ما روي عن النبي أنه قال: «من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره، جاء يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالاً مفاخراً مكاثراً لقي الله وهو عليه غضبان»[٢].

(١) سورة المائدة: آية ٢٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٥٨/٥ وأبو نعيم في الحلية ١١٠/٣، ٢١٥/٨. =

يدل عليه أن النبي ﷺ «كان يدخر لنسائه قوت سنة»[(١)].

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[(٢)].

فلو كان الاكتساب حراماً لما أمر الله تعالى بالإنفاق من المكسوب، وكذلك أمره بإيتاء الزكاة، فلو كان حراماً لما أمرنا بإيتاء الزكاة.

ثم الدليل على أن الاكتساب من مال حلال ليس بحرام، أن الأنبياء كانوا متوكلين مكتسبين، لأن آدم عليه السلام كان زارعاً، وإدريس عليه السلام كان خياطاً، ونوح عليه السلام كان نجاراً، وإبراهيم عليه السلام كان بزّاراً، وموسى عليه السلام كان أجيراً لشعيب عليه السلام، وشعيب عليه السلام كان راعياً، ومحمد عليه السلام كان غازياً حتى روي في الخبر: «بعثني الله بين يدي قيام الساعة بالسيف، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالفني ومن تشبه بقوم فهو منهم»[(٣)].

فثبت أن الاكتساب ليس بحرام[(٤)].

= والبيهقي في شعب الإيمان ٧/٢٩٨ وابن حبان في المجروحين ١/١١٨ عن الحجاج عن مكحول عن أبي هريرة.
قال أبو نعيم: غريب من حديث مكحول لا أعلم له راوياً عنه إلا الحجاج.

(١) أخرجه البخاري برقم/ ٥٣٥٧ في النفقات باب حبس الرجل قوت سنة على أهله عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٦٧.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٥٠، ٩٢. وابن أبي شيبة ٥/٣١٣ والقضاعي في مسند الشهاب ٣٩٠ والطحاوي في المشكل ٢٣١ وعلقه البخاري ٦/٩٨ فتح وأخرجه ابن حجر في تعليق التعليق ٣/ ٤٤٥ عن ابن عمر مرفوعاً وعن طاووس مرسلاً.

(٤) قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: والقيام بحق العيال بكسب الحلال أفضل من=

المبحث الثالث
من لا يسأل في القبر ولا يعذب

ثم اعلم أن الأنبياء ليس عليهم حساب، ولا عذاب، ولا سؤال القبر. وكذلك أطفال المؤمنين ليس لهم حساب، ولا عذاب، ولا سؤال القبر. وكذلك العشرة[1] الذين بشرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة ليس عليهم حساب، هذا كله حساب المناقشة.

= العبادات البدنية ولكن ينبغي مع ذلك أن لا ينفك عن ذكر الله تعالى ولو بقلبه. قال ﷺ: «إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا طلب المعيشة» وقال ﷺ: «العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال». وقال ﷺ: «طلب الحلال جهاد في سبيل الله» وقال ﷺ: «الكسب فريضة بعد الفريضة».
وقال علي كرم الله وجهه: «إن الجنة مشتاقة إلى أصحاب الغموم والهموم من طلب الحلال» إلى غير ذلك من الأحاديث وأقوال الصحابة رضي الله عنهم الكثيرة في طلب الرزق وكسب الحلال.

(١) عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة.
رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٧٤٧.

وأما حساب العرض فللأنبياء عليهم السلام والصحابة جميعاً، وهو أن يقال: فعلت كذا وعفوت عنك.

وحساب المناقشة أن يقال: لم فعلت كذا؟

* * *

المبحث الرابع
الله تعالى خالق الآن

قال بعض أهل الباطل: إن الله تعالى خلق الأشياء كلها ولم يبق شيء غير مخلوق حتى يخلقه الآن، وكل ما كان مخلوقاً يتفرع عنها، حتى إن الثمار في الأشجار كلها مخلوقاً يتفرع عنها مخلوق، إلا أنها غير ظاهرة ونحن لا نراها وهي في الحقيقة مخلوق.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(١).

وقال أهل السنة والجماعة: إن الله تعالى قدَّر ما هو كائن إلى يوم القيامة ولم يخلقه حين قدّره، وإنما يخلقه بعد ذلك في كل وقت وآن خلق ما مضى، وفي المستقبل يخلقه.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾(٢).

قال النبي ﷺ: «شأنه يحيي ويميت ويعزّ ويذلّ»(٣).

وعن علي كرم الله وجهه: أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٩.

(٢) سورة الرحمن: آية ٢٩.

(٣) أخرج ابن جرير الطبري ١١/ ٥٩٢. والحاكم ٢/ ٤٧٤ عن ابن عباس موقوفاً: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء.... يخلق بكل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء.

شَأۡنٍ﴾ فقال: «شأنه أن يسوق النطفة من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، ثم يصورصورة، ثم يخرج من بطن الأم إلى الدنيا، ثم يميته، ثم يبعثه يوم القيامة».

يدل عليه: أن الله تعالى قدر يوم القيامة وليس بمخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقاً لكنا نحن في القيامة وليس كذلك.

يدل عليه: أن الله تعالى خلق القلم وقال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

فإن قيل: القلم[1] هل فيه حياة أم لا؟

قلنا: ليس فيه حياة لكنه جماد يستنطقه الله كما يستنطق الأحياء.

فإن قيل: أيش الحكمة في أن الله تعالى أمر القلم بأن يكتب على اللوح[2] المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة وهو عالم.

قلنا: لكي يُعلم أن الله تعالى يَعلم الغيب ولا يَعلم الغيب إلا الله.

(١) اعلم أن القلم عبارة عن أول تعيينات الحق سبحانه وتعالى في المظاهر الخلقية على التمييز، وله وجود مجمل حكمي في العرش، وله أيضاً ظهور تفصيلي في الكرسي ينتقش ما يقتضيه في اللوح المحفوظ كالعقل لدى الإنسان ينتقش ما يقضيه في النفس، فالعقل بمنزلة القلم، والنفس بمنزلة اللوح، والقضايا الفكرية التي تختلج في النفس بناءً على القانون العقلي هي بمثابة الصور الوجودية المرسومة في اللوح المحفوظ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «أول ما خلق الله القلم»، فهو العقل الأول، وهو من مخلوقات الله تعالى.

(٢) اعلم أن اللوح المحفوظ عبارة عن نور إلهي حقي انطبعت فيه الموجودات انطباعاً أصلياً، فهو أم الهيولى؛ لأن الهيولى لا تقتضي صورة إلا وهي منطبقة في اللوح المحفوظ، فكل ما جرى القلم بإيجاده في اللوح المحفوظ بإذن الله، من صور العالم لابد من إيجاده على حسب ما اقتضته الهيولى، واللوح المحفوظ مخلوق من مخلوقات الله تعالى.

المبحث الخامس
كرامات الأولياء[١]

قالت المعتزلة والروافض والجهمية: كرامات الأولياء باطلة، أما معجزات الأنبياء [فهي] ثابتة صحيحة.

واحتجوا وقالوا: لو قلنا بأن كرامات الأولياء ثابتة لبطلت معجزات الأنبياء، ولا يكون فرق بين الأنبياء والأولياء[٢].

(١) الكرامة: هي أمر خارق للعادة، تظهر على يد رجل، مستقيم، ظاهر الصلاح، مستديم على الفرائض والواجبات، تارك للمعاصي وهي داخلة تحت القدرة الإلهية والإمكان الإلهي الذي لا يتناهى، وهي ثابتة عند علماء المسلمين حتى إنهم قالوا: ما كان معجزة لنبي صح أن يكون كرامة لولي، ولقد سئل الإمام عمر النسفي رضي الله عنه عن رجل قالوا: بأن الكعبة تزوره في كل أسبوع مرة ويطوف حولها فأجابهم قائلاً: «نقض العادة على سبيل الكرامة، لأهل الولاية جائز عند أهل السنة» فلا غرابة في ذلك، والكرامة ليست مقرونة بالتحدي بخلاف المعجزة. ولا يشترط في الولي الكرامة. وتكون الاستقامة عين الكرامة. والدليل على حقيقة الكرامات ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن إنكاره خصوصاً الأمر المشترك وإن كانت التفاصيل آحاداً، وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز.

(٢) نقول: لا اشتباه بين الكرامة والمعجزة؛ لأن المعجزة تقارن دعوى النبوة ولو ادعى الولي ذلك كفر من ساعته بل يدعي متابعة النبي ﷺ.

ويقولون: ما يحتجون علينا من كرامات مريم عليها السلام في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾[١] ذلك كرامة عيسى عليه السلام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾[٢] ذلك كرامة زكريا عليه السلام.

وقال أهل السنة والجماعة: كرامات الأولياء جائزة، وهي لا تقدح في معجزات الأنبياء.

وههنا ثلاث مراتب: معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، ومخادعات الأعداء، وإنما سميت المعجزة معجزة؛ لأنه يعجز غير النبي عليه الصلاة والسلام عن الإتيان بها[٣] مثل عصا موسى عليه الصلاة والسلام وانشقاق القمر وغير ذلك.

والفرق بين المعجزات والكرامات، أنَّ معجزات الأنبياء: [قد] يراها الكافر والمسلم والمطيع والفاسق والعاصي، وأما كرامات الأولياء فلا يراها إلا وليّ مثله ولا يراها الفاسق.

والثاني: أن المعجزة كلما أراد النبي عليه الصلاة والسلام [إيجادها] يقدر على إيجادها، فيدعو الله تعالى، فيظهر إليه

(١) سورة مريم آية ٢٥.

(٢) سورة آل عمران آية ٣٧.

(٣) المعجزة هي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة وهي للأنبياء خاصة. وجه دلالتها على صدق النبي ﷺ: أنها لما كانت المعجزة فعل الله تعالى لا صنع للعباد فيها كقلبه العصا حية وغير ذلك، فإذا أظهر الله تعالى عقيب قول النبي ﷺ إن كنت صادقاً أني رسولك فافعل كذا ففعل، كان ذلك تصديقاً له بالفعل فيكون بمنزلة قوله صدقت.

معجزاته ، وأما كرامة الولي فلا تكون إلا في الأوقات المخصوصة ، يريد الله تعالى ذلك ترغيباً له على الطاعة.

والفرق الثالث: هو أن المعجزة يعرفها النبي ﷺ ، ويعلمها ، ويجب عليه أن يقرّ بنفسه أولاً بأنها معجزته من الله تعالى ، ثم يظهر لغيره ، لأنه لو أنكر أنها معجزته يكفر ، وأما الكرامة فلا يقر بها الولي بأنها كرامته بل يقول[1] إنها كرامة غيره من المؤمنين.

وأما مخادعات الأعداء فالمذهب عند أهل السنة والجماعة أن الشياطين يصيرهم الله تعالى على أي صورة شاء فيجعل نفسه عصفوراً[2] بين يدي الإنسان ، فيوسوس للإنسان ، ويدل على أن كرامات الأولياء جائزة قصة أصحاب الكهف حين خرجوا من الغار ، ولم يطل شعرهم ولم تتخرّق ثيابهم ، وكانوا كالنيام.

ويدل عليه قصة آصف[3] صاحب سليمان عليه السلام ، قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[4] فلما جاز أن يكون له كرامة بسبب سليمان عليه السلام جاز أن يكون لهذه الأمة بسبب النبي ﷺ.

* * *

(١) وإنما يقول الولي ذلك بناءً على إساءة الظن بنفسه لا إنكاراً للحقيقة.
(٢) ولكن يجد صعوبة شديدة في انقلابه عن أصله.
(٣) هو آصف بن برخيا، وزير نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام وهو الذي أتى بعرش بلقيس وعنده علم الكتاب.
(٤) سورة النمل: آية ٤٠.

المبحث السادس
ولاية الشياطين على بني آدم

قالت المعتزلة: إن الشياطين ليس لهم عمل على بني آدم، ولا يمكنهم أن يوسوسوا، ونفس الانسان توسوسهم، وكذلك الجن، قالوا: ليس لهم عمل على بني آدم.

وقال أهل السنة والجماعة: لهم عمل على بني آدم في الظاهر والباطن.

وأما في الباطن فلما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشيطان يجري في عرق بني آدم مجرى الدم فضيقوا المجاري بالجوع والعطش»[١] فثبت أن لهم ولاية على بني آدم في الباطن، فيوسوس[٢] للإنسان ويدعوهم إلى الشر.

وأما في الظاهر فإنه يزين المعاصي في قلوب العباد، قال الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري /٣٢٨١/ ومسلم /٢١٧٥/ ٢٤/ وأحمد /٦/ ٣٣٧/ وابن حبان /٣٦٧١/ وأبو داود /٢٤٧٠/ وابن خزيمة/ ٢٢٣٣/ والطحاوي في المشكل /١٠٦/ وابن ماجة /١٧٧٩/ بدون زيادة فضيقوا عليه بالجوع والعطش كما قال العراقي والسخاوي.

(٢) أصل الوسوسة الحركة والصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه، فالوسواس الالقاء الخفي في النفس وهو على وزن فعلان واختلفت النحاة في لفظ الوسواس هل هو مصدر أو وصف على قولين.

(٣) سورة النمل الآية: ٢٤.

فإن قيل: أيش الحكمة في أنهم يروننا، ونحن لا نراهم؟

قلنا: لأنهم خلقوا على صورة قبيحة، فلو رأيناهم لم نقدر على تناول الطعام والشراب فستروا عنا رحمة من الله تعالى [بنا].

وأما الجن: [فقد] خلقوا من الريح [1]، وأصل الريح لا يرى وكذلك ما خلق منها.

وأما الملائكة: [فقد] خلقوا من النور، فلو رأيناهم لطارت أرواحنا وأعيننا إليهم.

وأما قولهم: فإن نفس بني آدم توقعهم في المعاصي.

قلنا: نعم ولكن بواسطة وسوسة الشياطين قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾[2].

---

(١) اعلم أن ما ذكره المصنف من أن الجن خلقوا من الريح يخالف في الظاهر قوله الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ سورة الرحمن الآية: ١٥ . إلا إذا كان المراد من الجن غير الجان، لأن اسم الجان يطلق على أبي الجن ورئيسهم وهو إبليس عليه اللعنة فتنبه.

(٢) سورة الناس الآية: ٥.

واعلم أن الصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات عليه فتجتمع في الصدر، ثم تلج في القلب فهو بمنزلة الدهليز. ومن القلب تخرج الأوامر والارادات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود ومن فهم هذا فهم قول الله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ سورة آل عمران الآية: ١٥٤ ، فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته فيلقي ما يريد إلقاءه إلى القلب فهو يوسوس في الصدر ووسوسته واصلة، إلى القلب، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ سورة طه الآية: ١٢٠ ، ولم يقل فيه.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال في قوله تعالى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ سورة الناس الآية: ٤ . قال مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب يوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس، وإن سكت عاد إليه.

المبحث السابع
إثبات الرسالة

لما ثبت أن للعالم صانعاً عالماً حكيماً فمن حكمته أن لا يعطل عبيده عن الأوامر والنواهي؛ لأنه لو عطلهم لا يكون حجة عليهم يوم القيامة.

ثم الأمر والنهي إنما يكون بالخطاب في المشافهة ، ولا وجه إلى الخطاب بالمشافهة؛ لأن الدار دار ابتلاء ، والإيمان بالغيب فريضة ، وفيه الولي والعدو ، فلو خاطبهم في هذه الدار لا يكون فرق بينهم ، فخاطبهم بالسُّفُر وهي الرسل.

وبعث الله تعالى إليهم في كل عصر وزمان رسولاً من وقت آدم إلى نبينا ﷺ، وجعلهم معجزة خارجة عن الطبع والعادة؛ لإلزام الحجة عليهم.

ثم الدليل على نبوة نبينا محمد ﷺ الآيات الباهرة والحجج الظاهرة منها القرآن [الكريم] وانشقاق القمر ، وحنين الجذع ، وتسبيح الحصا في يده [الشريفة] ، وتكثير الطعام القليل ببركة دعائه [ﷺ] .

وأما معجزته في القرآن فمن وجهين: أحدهما: من جهة لفظه ونظمه وإيجازه واختصاره واشتماله على معان كثيرة تحت ألفاظ قليلة.

والثاني: من جهة المعنى؛ لأنه أخبر عن علم الغيب، فكان كما قال.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(١) فكان كما قال.

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾(٢) فكان كما قال(٣)؛ لأن اليهود وجدوا في التوراة أنهم إذا تمنوا الموت يموتون، فامتنعوا عن ذلك.

وكذلك دعاء النصارى إلى المباهلة فامتنعوا عن ذلك لأنهم وجدوا في الإنجيل أنهم إذا فعلوا ذلك أميتوا بقوله تعالى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾(٤)، ولأن الله تعالى أخبر عن قصص الأولين وبناء الآخرين، ونبينا محمد ﷺ لم يخرج من المدينة، وما قرأ شيئاً من الكتب، ولم يتتلمذ لأحد وبهذا علمنا أنه أخبر عن

(١) سورة الفتح: آية ٢٧.
(٢) سورة البقرة: آية ٩٤.
(٣) فكان كما قال أي من تتمة الآية وهي ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ ﴾ و﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا ﴾.
(٤) سورة آل عمران: آية ١٦.
قال في لسان العرب: والمباهلة الملاعنة، يقال: باهلت فلاناً أي لاعنته، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا. وابتهل في الدعاء إذا اجتهد وأخلص لله عز وجل.

القرآن ولم يكن منه وإنما يكون من الله تعالى ، فيجب الامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه .

ثم إن الدليل على أن القرآن معجزته قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾[١] الآية .

وأما تكثير الطعام القليل فقصته أن أبا أيوب الأنصاري[٢] رضي الله عنه استضاف النبي ﷺ إلى بيته ، فذبح جدياً وله من الطحين أربعة أمناء فشبع أهل المدينة ، وكلام الجدي بقوله لا تأكل مني فإني مسموم ظاهر[٣] .

* * *

(١) سورة الاسراء : آية ٨٨ .

(٢) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة أبو أيوب الأنصاري من بني النجار، صحابي شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد، وكان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد عاش إلى أيام بني أمية وكان يسكن المدينة فرحل إلى الشام، ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية صحبه أبو أيوب غازياً وتوفي بها سنة ٥٢ هـ له ١٥٥ حديثاً.
انظر أعلام الزركلي ج٢ ص٢٩٥ .

(٣) وهذه المعجزات لنبينا محمد ﷺ وإن ثبت أكثرها بطريق الآحاد لكن دلت بمجموعها على معنى واحد، وهو ظهور الناقض للعادة على يديه فيصير كالمتواتر في هذه الدلالة فيفيد العلم قطعاً، ككرم حاتم وشجاعة سيدنا علي كرم الله وجهه وعلم أبي حنيفة رضي الله عنه . وغيره من الأئمة المجتهدين .

المبحث الثامن
هل نبينا محمد ﷺ الآن رسول

ثم إن نبينا محمداً ﷺ الآن هو رسول أم لا؟ كما قالت المتقشفة والكرامية: إن العرض لا يبقىٰ زمانين ولهذا قالوا: إن نبينا محمداً ﷺ الآن ليس برسول.

وقال أبو الحسن الأشعري [رحمه الله]: الرسول ﷺ الآن في حكم الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام أصل الشيء ، ألا ترى أن العدة لما كانت في حكم النكاح يقوم مقام النكاح ، وكذلك المتوضي إذا صلى فسبقه الحدث فذهب ليتوضأ يكون في حكم الصلاة ولا يكون في أفعال الصلاة؛ لأنه لو كان في أفعال الصلاة لما تجوز الصلاة مع الحدث ، وكذلك نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام عرض ، والعرض لا يبقى زمانين ، ولكن [هو] في حكم الرسالة ، والدليل على أن العرض لا يبقى زمانين أنَّ من صلى الظهر إذا فرغ منها لا يقال بأنه في الصلاة؛ لأنه لو كان في الصلاة لا يجوز له أكل وشرب وكلام فثبت أن العرض لا يبقى زمانين أي وقتين مختلفين.

وإنما نقول هو رسول في الحال؛ لأنه لو لم يكن رسولاً في الحال لا يصح إيمان من أسلم وآمن[1] به وكذلك نقول في الأذان: أشهد أن محمداً رسول الله ولا نقول: أشهد أن محمداً كان رسول الله وكذلك الحكم في سائر الأنبياء [عليهم الصلاة والسلام].

* * *

(١) أي بعد موته صلى الله عليه وسلم .

المبحث التاسع
الإسراء والمعراج

قالت المعتزلة: المعراج لم يكن؛ لأنه جاء فيه أخبار الآحاد، وخبر الواحد لا يوجب العمل، ولا يوجب الاعتقاد.

وقال أهل السنة والجماعة: المعراج كان صحيحاً إلى السماء[١]؛ لأنه روي عن أكثر أصحاب النبي ﷺ نحو أبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، ومالك بن صعصعة، وابن عباس، وأم هانيء رضي الله عنهم أنهم قالوا: المعراج إلى السماء.

وههنا شيئان الإسراء والمعراج.

وأما الإسراء من مكة إلى بيت المقدس فلا ينكره المعتزلة؛ لأنه ورد به النص قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[٢].

والإسراء هو السير بالليل، ومن أنكر الإسراء يكفر. وإنما قال ليلاً ليعلم أن المعراج لا يكون إلا ليلة واحدة.

(١) المعراج كان صحيحاً بجسد النبي ﷺ يقظة إلى السماء ثم إلى ما شاء الله تعالى قيل إلى الجنة، وقيل إلى العرش وقيل إلى ما فوقه وهو مقام دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

(٢) سورة الاسراء آية ١.

وأما المعراج من الأرض إلى السماء السابعة فلا يثبت بدليل قطعي[١] ، والدليل على أن المعراج كان ثابتاً ما روت أم هانيء[٢] رضي الله عنها أنها قالت: قال لها النبي ﷺ: «ألا أحدثك بأعجب ما رأيت قالت: بلى يا رسول الله ، فقال: كنت نائماً وقلبي يقظان فجاء جبرائيل»[٣] الحديث.

ثم اختلف في أن النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج أو لا؟

قيل: رآه بقلبه وما رآه بعينه لما روي عن النبي ﷺ: أنه قيل له

(١) لذا قال علماء أهل السنة والجماعة ومن أنكر المعراج فهو ضالٌ مبتدع. ومن أنكر الإسراء فهو كافر.

(٢) أم هانيء بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية القرشية بنت عم رسول الله ﷺ وأخت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، اختلف المؤرخون في اسمها فقيل فاختة وقيل فاطمة، وقيل هند وقيل عاتكة، والأول أشهر أسلمت عام الفتح بمكة وقد كانت زوجة هبيرة بن أبي وهب المخزومي، هرب زوجها إلى نجران ففرق الاسلام بينهما، فعاشت أيما، أخرج ابن سعد بسند صحيح عن الشعبي قال: خطب النبي ﷺ أم هانيء، فقالت: يا رسول الله لأنتَ أحبّ إلي من سمعي وبصري وحق الزوج عظيم، وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج فقال . . . فذكر الحديث، روت عن النبي ﷺ أحاديث في الكتب الستة وغيرها، روىٰ عنها ابنها جعده وابنه يحيى وحفيدها هارون ومولياها أبو مرة وأبو صالح وابن عمها عبد الله بن عباس وعبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي وولده عبد الله وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد وعروة وآخرون ماتت بعد أخيها علي سنة ٤٠ هـ.
انظر الاصابة ٤/٤٢٥، ٥٠٣/ ترجمة ١١٠٢، ١٥٣٣ والاستيعاب بهامش الاصابة ص ٥٠٣ والاعلام ٥/١٢٦.

(٣) غير مذكور في كتب السنن.

هل رأيت ربك ليلة المعراج فقال: «سبحان الله رأيت بفؤادي وما رأيت بعيني»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت عن رسول الله ﷺ عن الرؤية فأجاب مثل ذلك.

قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[(٢)] أضاف الرؤية إلى الفؤاد لا إلى العين.

والمعتزلة: احتجوا بنفي المعراج بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[(٣)] وقالوا: المعراج كان في الرؤيا؛ لأن العقل لا يقبل ذلك، والعقل حجة الله على خلقه، لأن الله تعالى خلق بني آدم على صورة كثيفة، ومن طبعه السفول والهبوط، وأما العلو فمن طبع الطيور، فلهذا لا يصح المعراج.

والجواب عنه أن نقول: الكافر يرى نفسه في المنام أنه في السماء، وإنما يظهر تخصيص النبي ﷺ إن كان له ذلك في اليقظة.

وأما قوله: من طبعه السفول.

قلنا: نعم ولكن هو لا يصعد بنفسه وإنما عرج به.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١١/٥٠٩ عن محمد بن لهب القرظي عن بعض أصحاب النبي ﷺ فذكر نحوه وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن كعب مرسلاً وهو أصح، وروي موقوفاً عن ابن عباس، وأخرجه مسلم ٧/٣ قال ابن عباس رآه بقلبه والطبراني في الأوسط كما في فتح الباري ٢١٨/٧ وقال اسناده قوي، وعن أنس أخرجه ابن خزيمة باسناد قوي كما في الفتح.

(٢) من سورة النجم آية: ١١.

(٣) من سورة الاسراء آية: ٦٠.

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ ولم يقل أنه سرى بنفسه ، ألا يرى أن الحجر والمدَر[1] من طبعه السفول.

ومع هذا إذا رماه إنسان يصعد [إلى] الهواء ، فالنبي ﷺ إذا كان مركبه البراق ، وجبرائيل عليه السلام سائقه ، والله تعالى هاديه ، أولى بأن يصعد إلى السماء.

وكذلك من اتخذ قوساً يمكن له أن يرمي به السهم في الهواء ، فالنبي ﷺ إذا كان السرى قوسه ، ومركبه البراق ، وقائده جبرائيل [عليه السلام] بإذن الله أولى أن يجاوز السماء.

* * *

(١) المدر: قطع الطين اليابس.



الفصل الثالث

ويشتمل على ستة أبحاث

المبحث الأول: العرش والكرسي.

المبحث الثاني: الحفظة.

المبحث الثالث: من لا يفنى عند النفخ في الصور.

المبحث الرابع: إبقاء الجنة ونعيمها وإبقاء النار وعذابها.

المبحث الخامس: الرضا والسخط.

المبحث السادس: هل يعلم الله تعالى عدد أنفاس أهل الجنة.

المبحث الأول
العـرش والكرسي

قالت المعتزلة والشيعة[1]: العرش هو الملك، والكرسي هو العلم. قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[2] أي علمه.

---

(١) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصياً، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو تبقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ولهم في تعدية الإمام، كلام وخلاف كثير وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط، وهم خمس فرق كيسانية، وزيدية، وإمامية وغلاة وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه. انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ١٤٦.

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥.

والكرسي: هو جسم عظيم نوراني بين يدي العرش ملتصق به لا قطع لنا بحقيقته وأخرج ابن جرير في تفسيره عن الضحاك، قال: الكرسي الذي يوضع تحت العرش الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم. وأخرج الفريابي، وابن المنذر، وابن=

وقال أهل السنة والجماعة: لا يجوز أن يكون العرش هو الملك قال الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[١] والملك لا يحتاج إلى الحمل.

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تعالى العرش خلق ملائكة فقال: احملوا عرشي فلم يستطيعوا أن يحملوه، فقال الله تعالى: لو خلقت مثل عدد الرمل وقطر الأمطار، فلم يستطيعوا ما لم يستغيثوا بي، فقالوا: اللهم أغثنا فسمعوا نداء من الله تعالى بلا كيف ولا كيفية، قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقالوا: فحملوا العرش واستوى على رؤوسهم»[٢]، وهم أربعة في الدنيا، وثمانية في الآخرة قال الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[٣]

= أبي حاتم، والحاكم في المستدرك، وصححه على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره، كما ذكره اللقاني.

أقول: الكرسي هو مظهر من مظاهر الاقتدار الإلهي، ومحل نفوذ الأمر والنهي، ومركز الفرق والجمع، إلى غير ذلك من الصفات الفعلية قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ سورة البقرة الآية ٢٥٥. فالوسع على قسمين، وسع حكمي، ووسع وجودي عيني، أما الوسع الحكمي فهو أن السموات والأرض أثر من آثار صفة من الصفات الفعلية لله عز وجل، والكرسي محل مظهر جميع الصفات الفعلية، وبهذا يتحصل الوسع الحكمي، وأما الوسع الوجودي العيني فهو أن الوجود الخلقي المقيد محيط بالسموات والأرض وغيرهما وما ذاك إلا الكرسي والله أعلم.

(١) سورة الحاقة آية: ١٧.
(٢) غير مذكور في كتب السنن.
(٣) سورة الحاقة آية: ١٧.

والملائكة الأربعة الذين يحملون العرش ، لكل واحد منهم أربعة أوجه [(١)] ، وجه ثور ، ووجه أسد ، ووجه نسر ، ووجه إنسان.

أما الحكمة في خلق العرش:

[فكما] قال بعضهم: إنه قبلة دعاء الملائكة ، يرفعون أيديهم إلى العرش وقت الدعاء.

وقيل: إنه مرآة الملائكة ينظرون إليه فيرون جميع ما كان في السموات والأرض.

واختلفوا في العرش [(٢)]:

قال بعضهم: إنه سرير من نور.

وقال بعضهم: لا بل هو ياقوتة حمراء.

* * *

(١) يحتمل أن تكون هذه الوجوه الأربعة عبارة عن تصوير تمثيلي تقريبي والله أعلم.

(٢) العرش: في اللغة «السرير».

وفي الشريعة: جسم عظيم، نوراني، محيط بجميع الأجسام، قيل هو أول المخلوقات وجوداً عينياً.

وفي شرح البخاري لشيخ الاسلام: أن العرش فوق العالم وأنه ليس بكرة كما يزعم كثير من أهل الهيئة، بل قبة ذات قوائم تحمله الملائكة انتهى.

وقال البيضاوي في تفسيره والعرش: الجسم المحيط بسائر الأجسام، سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه.

أقول: إن العرش هو مظهر من مظاهر العظمة الإلهية ومكانة التجلي ، وهو الجسم الكلي كما عبّر عنه العلماء ، لأنه هيكل العالم وجسده الجامع لجميع متفرقاته ، وهو فوق اللوح ، ويمكن أن يعبر عنه بأنه فلك محيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية ، سطح ذلك الفلك هو المكانة الرحمانية وهو من عالم القدس والله أعلم.

المبحث الثاني
الحفظـة

قالت المعتزلة: ليس علينا ملائكة ولا حفظة ، وكل ما يعمل الإنسان فالله تعالى عالم به يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، وإنما يحتاج إلى الحفظة أن لو كان جاهلاً ، ولا يعلم ماذا يعمل عباده ، والله تعالى لا يحتاج إلى أن يوكل عليه ليكتب أعمالهم.

قلنا: إنما يوكل عليهم ليكون حجة على العبد يوم القيامة ، فإذا أنكر العبد الأفعال يشهد عليه الملكان ، وإذا نسي يكون الكتاب حجة عليه.

فإن قيل: على أي شيء يكتبون؟

قيل لهم: قال الضحاك[1]: ينزل كل يوم ملكان ، مع كل واحد منهما صحيفة.

وقال مجاهد[2]: لسانك قلمهما وريقك مدادهما ويدك كتابهما.

---

(١) لعله الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم مفسر ، المتوفى بخراسان سنة ١٠٥ هـ.
انظر أعلام الزركلي ٣/ ٢١٥ . ميزان الاعتدال ١/ ٤٧١ .

(٢) هو مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج المخزومي، المقرىء مولى السائب ابن أبي السائب، تابعي مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء =

والأول: أصح؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾[(١)] ، وهذا يدل على أنه كان كتاباً لهم.

وحاصل الجواب: أنّا نؤمن بما جاء به النص والأخبار، ولا نشتغل بكيفيته وإن كان يأباه العقل والقياس.

قال أهل السنة والجماعة: الحفظة حق على كل واحد منا، اثنان بالليل واثنان بالنهار، ينزل ملكان بالنهار ويذهب ملكان بالليل.

وليس كما قال بعض الناس: ينزل كل يوم ملكان غير اللذين كانا عليه بالأمس.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴾[(٢)].

= والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله فيم نزلت وكيف كانت، وتنقل في الأسفار واستقر في الكوفة، أما كتابه في التفسير فيتقيه أهل التفسير وسُئل الأعمش عن ذلك فقال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب يعني النصارى واليهود، ويقال إنه مات وهو ساجد. روى عن علي، وسعد بن أبي وقاص، والعبادلة الأربعة، ورافع بن خديج وغيرهم وروى عنه أيوب السختياني، وعطاء، وعكرمة، وغيرهم، وقال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد. قال الذهبي: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ولد سنة ٢٢ هـ وتوفي سنة ١٠٤ هـ. انظر أعلام الزركلي ٥/ ٢٧٨ تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٤.

(١) سورة الاسراء: آية ١٤.

(٢) سورة الانفطار: آية ١١.

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل ملائكة كاتبين لأفعال العباد ما لهم وما عليهم حافظين لا يهملون من شؤونهم شيئاً فعلوه قصداً أو نسياناً أو ذهولاً صحة أو مرضاً.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ: كم ملكاً على الانسان=

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(١).

* * *

فذكر عشرين ملكاً، وذكر الأُبيّ أنه يحفظ لابن عطيه أن كل آدمي يوكل به من حين وقوعه نطفة في الرحم إلى موته أربعمائة ملك، كذا ذكره اللقاني، وظاهر الآثار أن الكتب حقيقي، وعلم الآلة مفوض إلى الله تعالى على ما قاله الغنيمي في شرحه على الطحاوية. نقلاً عن اللقاني، انظر شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي ص ١١٤.

(١) سورة الزخرف آية: ٨٠.
قال الامام مالك رضي الله عنه: يكتبون على العبد كل شيء حتى أنينه في مرضه.
لعموم قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ سورة ق آية/ ١٨.
انظر شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي نقلاً عن الإمام مالك ص ١١٤.

المبحث الثالث
فيما لا يفنى عند النفخ في الصور

قالت المعتزلة: إذا أمر الله تعالى بالنفخة الأولى تفنى السموات والأرض والجنة والنار والأرواح، ثم يخلقهم الله يوم القيامة مرة أخرى.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾(١).

ثم إن الله تعالى كان في الأزل، ولم يكن معه أحد من خلقه فكذلك وجب أن يبقى في الآخرة، حيث لا يبقى ببقائه أحد؛ ليكون له هذا الاسم خاصة.

وقال أهل السنة والجماعة: الجنة والنار هما دارا الخلد، وهما للثواب والعقاب، فلا يفنيان.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ﴾(٢) يعني الجنة والنار وأهلهما من ملائكة العذاب، والحور العين.

وقال أهل السنة والجماعة: سبعة لا تفنى العرش، والكرسي، والقلم، والجنة، والنار، وأهلهما، والأرواح.

---

(١) سورة الحديد: آية ٣.
(٢) سورة الزمر: آية ٦٨.

المبحث الرابع
إبقاء الجنة ونعيمها وإبقاء النار وعذابها

قالت الجهمية: إذا دخل أهلُ الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، استمتع أهل الجنة بقدر أعمالهم ، وأهل النار أذاقهم الله العذاب بقدر أعمالهم وكفرهم ، ثم إن الله تعالى يفني الجنة والنار.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾[1] والظاهر على ما ذكرنا.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «سيأتي على جهنم يوم تصفّق الريح أبوابها»[2] وليس فيها أحد.

(١) سورة الحديد آية ٣.

(٢) جهنم تخفق أبوابها. أخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٧٩٦٩ وابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٧٩٦٩ ـ ٣/ ٢٦٨ والخطيب في التاريخ ٩/ ١٢٢ عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً، وجعفر بن الزبير متروك. قال ابن الجوزي هذا حديث موضوع محال، وذكره السيوطي في اللآلي ثم ابن عرّاق، وعزاه ابن عرّاق إلى البزار، والعشوي في تاريخه عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو فذكره، قال: ثابت البناني : سألت الحسن عن هذا فأنكره. قال أحمد أبو بلج روى حديثاً منكراً.

وقال الذهبي في الميزان ٤/ ٣٨٥ ومن بلاياه فذكره ثم قال: وهذا منكر ولعله من الاسرائيليات التي يرويها ابن عمرو. وأخرجه ابن عدي في الكامل ٥/ ٢٢٠=

وقال أهل السنة والجماعة: الجنة والنار دارا الخلد، وهما للثواب والعقاب، فلا يفنيان على ما ذكرنا، ولأنه لا يجوز منه الظلم والجور. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1] اشترى أهل الجنة الجنة بإيمانهم والدرجات بأعمالهم، والرؤية بنياتهم، والكفار اشتروا النار بنياتهم وكفرهم، ورأينا أن من اشترى داراً وسلّم الثمن لا يحسن من البائع أن يستردها منه، فإن فعل ذلك يكون منه ظلماً وجوراً، والله سبحانه وتعالىٰ منزه عن الظلم والجور.

وأما قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾[2].

قلنا: نعم ولكن هو باقٍ لا بإبقاء أحد، والخلق باق بإبقاء الله تعالى، فظهرت التفرقة بين الخالق والمخلوق.

وأما معنى الخبر قلنا: إذا خرج العصاة من النار، وذهبوا إلى الجنة تبقى النار صحراء ليس فيها أحد، وهذا هو معنى الخبر.

* * *

= عن العلاء عن زيد عن أنس، فذكره ثم قال: وهو منكر الحديث.

(١) سورة التوبة: آية ١١١.

(٢) سورة الحديد آية / ٣.

المبحث الخامس
الرضا والسخط

قالت المعتزلة: الرضاء والسخط ليسا من صفات الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا تتغير عليه الأحوال، وكل موضع ذكر الرضا والسخط أراد به الجنة والنار.

وقال أهل السنة والجماعة: الرضا والسخط من صفات الله، أزلية بلا كيف ولا تشبيه، ولا يتغير من حال إلى حال كسائر الصفات، مثل الإرادة والسمع والبصر والكلام.

والدليل على أن الرضا غير الجنة قوله تعالى: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾(١) إلى قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾(٢) وكذلك قوله تعالى في طريق الرضا: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ ﴾(٣) وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ ﴾(٤).

وكذلك في طريق السخط قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

(١) سورة البينة: آية ٨.
(٢) سورة البينة: آية ٨.
(٣) سورة التوبة: آية ٢١.
(٤) سورة التوبة: آية ٧٢.

﴿مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[2] وفصل بين الرضا والجنة والنار والسخط.

وسئل الشيخ الإمام المفسر نصر بن الحنبلي رحمه الله[3] عن الله تعالى هل تتغير صفاته؟

فأجاب فقال: هذا السؤال مستحيل؛ لأن الله تعالى بجميع صفاته واحد، وبجميع صفاته قديم، فلو تغير شيء من صفاته تكون تلك الصفة محدثة مخلوقة، وصفات الله غير مخلوقة.

وهذا كما يسألون أن الله تعالى هل يقدر على أن يخلق مثله؟

فالجواب عن هذا أن السؤال محال؛ لأن الله تعالى قديم، فلو خلق شيئاً يكون ذلك مخلوقاً فكيف يكون مثله والله تعالى ما خلق شيئاً في الأزل، فوجب أن لا يكون غيره مثله.

* * *

---

(١) سورة النساء: آية ٩٣.

(٢) سورة النساء: آية ٩٣.

(٣) لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

المبحث السادس
الله تعالى يعلم عدد أنفاس أهل الجنة والنار(١)

فصل في سؤال الجهمية : أن الله تعالى هل يعلم عدد أنفاس أهل الجنة والنار أو لا؟

فإن قلت : لا ، فقد وصفت الله تعالى بالجهل ، وإن قلت : نعم . فقد قلت : بأن أهل الجنة والنار يفنيان .

والجواب عنه أن نقول : إن الله تعالى يعلم أن أنفاس أهل الجنة والنار ليست بمعدودة ولا تنقطع .

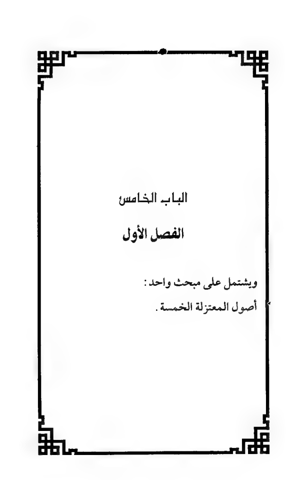
فإن قلتم : بأن أهل الجنة والنار لا يفنيان ، فقد سويتم بينهم وبين الله تعالى .

قلنا : لا يكون تسوية بينهم وبين الله تعالى ، لأن الله تعالى أول قديم بلا ابتداء ، آخر حكيم بلا انتهاء ، وأهل الجنة محدثون ، وإنما يبقون ولا يفنون بإبقاء الله تعالى إياهم ، والله تعالى باق لا بإبقاء أحد ، فلا يكون تسوية بين الخالق والمخلوق .

* * *

---

(١) قال البيجوري رحمه الله ورضي عنه بعد ذكر البيتين المشهورين (بثلاثة كفر الفلاسفة العدى . . . الخ) ، ويعلم سبحانه وتعالى ما لا نهاية له ككمالاته وأنفاس أهل الجنة فيعلمها تفصيلاً ، ويعلم أنه لا نهاية لها ، وتوقف التفصيلي على التناهي إنما هو بحسب عقولنا .
انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري «مبحث العلم» .



الباب الخامس

الفصل الأول

ويشتمل على مبحث واحد:

أصول المعتزلة الخمسة.



مبحث
أصول المعتزلة الخمسة

قال الشيخ الإمام الأجل: أول من تكلم في مذهب الاعتزال رجل يقال له واصل بن عطاء[١]، وتابعه عمرو بن عبيد[٢]، تلميذ الحسن البصري[٣]، فلما كان في زمن هارون

(١) واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة من موالي بني ضبة أو بني مخزوم، رأس المعتزلة، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين سُمي أصحابه بالمعتزلة، لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري، ومنهم طائفة تنسب إليه تسمى الواصلية، وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الآفاق، ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـ ونشأ بالبصرة، وكان يلثغ بالراء فجعلها غيناً. له تصانيف منها أصناف المرجئة، والمنزلة بين المنزلتين ومعاني القرآن، وغيرها ومات سنة ١٣١ هـ. انظر الأعلام للزركلي جـ ٨/ ١٠٨.

(٢) عمرو بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي، الحنفي، الإيادي، قال أحمد بن حنبل: لم ندرك بالكوفة أحداً أكبر منه ومن المطلب بن زياد.
قال ابن معين: صالح. وقال أبو حاتم: محله الصدق. روى عن أبيه وأبي اسحاق السبيعي والأعمش والأشعب وغيرهم. وروى عنه أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهما. قال ابن سعد: وكان شيخاً قديماً ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات. انظر تهذيب التهذيب ٧/ ٤٨٠.

(٣) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد التابعي، إمام أهل البصرة، وحبر الأئمة نشأ بالمدينة وحفظ كتاب الله عز وجل في خلافة عثمان، شبّ في كنف علي بن أبي طالب سكن بالبصرة، وعظمت هيبته في القلوب وكان يدخل على الولاة يأمرهم وينهاهم. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة، وكان غاية في الفصاحة تتصبب الحكمة =

الرشيد[١] خرج أبو هذيل العلاف[٢]، وصنّف لهم كتاباً وبيّن مذهبهم وجمع علومهم. وسمى ذلك أصول الخمسة، وكلما رأوا رجلاً قالوا له: خفية هل قرأت أصول الخمسة، فإن قال: نعم عرفوا أنه على مذهبهم.

والأصول الخمسة: العدل، والتوحيد، والوعد، والوعيد، ومسألة بين بين.

أما مسألة بين بين: فكل من ارتكب كبيرة يخرج عن الإيمان ولا يدخل في الكفر عندهم بل يكون له منزلة بين المنزلتين[٣].

= من فيه، قال ابن سعد: كان جامعاً عالماً رفيعاً ثقة حجة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً.
حدث عن عثمان وابن عباس وابن عمر وغيرهم، وحدث عنه قتادة وأيوب وغيرهما ولد سنة ٢١ هـ وتوفي سنة ١١٠ هـ. انظر أعلام الزركلي ٢/ ٢٢٦ وتذكرة الحفاظ ١٧ وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣.

(١) هارون الرشيد: بن محمد المهدي بن المنصور العباسي أبو جعفر خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم، ولد بالري ونشأ في دار الخلافة ببغداد وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ وازدهرت الدولة في أيامه وكان عالماً بالأدب وأخبار العرب، فصيحاً وكان يحج سنة ويغزو سنة ولد سنة ١٤٩ هـ وتوفي في سنا باذ بطوس سنة ١٩٣ هـ.
انظر أعلام الزركلي ٨/ ٦٢، والبداية والنهاية ١٠/ ٢١٣.

(٢) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي مولى عبد القيس أبو الهذيل العلاف من أئمة المعتزلة، ولد بالبصرة سنة ١٣٥ هـ واشتهر بعلم الكلام. قال المأمون: أطل أبو الهذيل على الكلام كإطلال الغمام على الأنام، له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات، كان حسن الجدل قوي الحجة سريع الخاطر، كُفّ بصره في آخر عمره، له كتب كثيرة منها كتاب سماه (ميلاس) على اسم مجوسي أسلم على يده وتوفي سنة ٢٣٥ هـ انظر الأعلام ٧/ ١٣١.

(٣) أي أن صاحب الكبيرة عند المعتزلة لا يسمى مؤمناً، ولا يسمى كافراً وإنما =

أما العدل [فإنهم] قالوا: بأن الله تعالى ولا يخلق الشرّ، ولا يقضي به؛ لأنه لو خلق الشر وقضى به ثم يعذبهم به على ذلك لكان ذلك منه جوراً وظلماً، والله تعالى عادل لا يجوز منه الظلم(١).

وأما الثاني: [فإنهم] قالوا بأن القرآن مخلوق وكذا سائر صفاته؛ لأنا لو قلنا بأنه غير مخلوق لا يكون توحيداً.

وأما الثالث [فإنهم] قالوا: بأن الله تعالى إذا وعد عباده ثواباً لا يجوز خلف وعده؛ لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد.

وأما الرابع [فإنهم] قالوا: بأن الله تعالى إذا أوعد إيعاداً لا يجوز

= يسمى فاسقاً خلافاً للمرجئة والخوارج.

(١) من الملاحظ أن المصنف رحمه الله تعالى قد غفل في الرد على هذه المسألة وهي مسألة العدل عند المعتزلة، علماً بأن المعتزلة أنكروا إرادة الله تعالى للشرور والقبائح حتى أنهم يقولون أراد من الكافر والفاسق إيمانه وطاعته، لا كفره ومعصيته، زعماً منهم أن إرادة القبح قبيحة كخلقه وإيجاده، ونحن نمنع ذلك، بل القبح كسب القبيح والاتصاف به، فعندهم يكون أكثر ما يقع في أفعال العباد على خلاف إرادته تعالى، وهذا شنيع جداً كذا قاله الإمام سعد الدين التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية. ويحكى أن القاضي عبد الجبار الهمذاني الاسترابادي دخل على الصاحب ابن عباد وعنده الأستاذ أبو اسحاق الاسفرايني فلما رأى الأستاذ قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء. فقال الأستاذ على الفور: سبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء. وللقصة تتمة. وقالوا أيضاً بأن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير وأنه منزه عن أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم لكان ظالماً ولو خلق العدل لكان عادلاً، وإنما قالوا ذلك لأن مفهوم الظلم عند المعتزلة بوجه عام هو وضع الشيء في غير موضعه، والظالم عندهم هو من يفعل الظلم، ولذا منعوا من وصف الله بالظالم، لأنه لو كان فاعلاً للظلم لوجب أن ترجع إليه أحكام الظلم من الذمّ والاستخفاف تعالى الله عن ذلك.

أن لا يعذبهم ويخالف وعيده؛ لأن الخُلف في كلام الله تعالى لا يجوز.

وقال أهل السنة والجماعة: إن الله تعالى إذا أوعد إيعاداً يجوز أن لا يعذبهم ولكنه يعفو ويغفر لهم ولا يعاقبهم.

واحتجت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾[١] وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾[٢].

والجواب عنه أن نقول: [إنَّ] جميع ما ذكره الله تعالى من الوعيد صار مستثنى بقوله: ﴿ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾.

وقولهم: يكون خُلفاً في الوعيد.

قلنا: لا يكون خُلفاً في الوعيد، بل يعفو عنه كرماً وفضلاً، بخلاف ما إذا وعد الثواب حيث لا يجوز أن يخلف وعده؛ لأن ذلك حق[٣] العبد فلو جاز ذلك يكون لؤماً ولا يُعَدُّ كرماً، وهذا لا يُظن بالله تعالى.

والجواب عن قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فجزاؤه جهنم إذا جازاه.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى

---

(١) سورة النساء: آية ٩٣.
(٢) سورة النساء: آية ٣٠.
(٣) لا حق للعبد على سيده، وإنما هي اقتضاء حكمة الله تعالى لعبده بالثواب.

ٱلْقَتْلَىٰ﴾[1] فسماه مؤمناً بعد قتل العمد على أنا نقول: أراد به إذا استحل قتل المؤمنين.

وقد روي أن الآية نزلت في حق مِقْيَس بن صبابة الكناني[2]، حين قتل مسلماً من بني فهر بعدما قُتل أخوه هشام بن صبابة وارتد ولحق بدار الحرب.

والدليل على ارتداده قوله في شعره:

قتلْتُ بني فِهْرٍ، وحملْتُ عقلَـهُ سـراةُ بني النَّجَّار أربـابُ قَـارِعِ

شَفَيْتُ بـه نفسي وأدركْتُ مَنيتي وكنْتُ إلـىٰ الأوثـانِ أوّلَ راجِـعِ

ومن قتل مؤمناً متعمداً واستحل قتله كما استحل مقيس بن صبابة يكون كافراً ويخلد في النار مع سائر الكفار.

وأما مسألة بين بين قالوا: بأن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا

(١) سورة البقرة: آية ١٧٨.

(٢) هو مقيس بن صبابة بن حزن بن يسار الكناني القرشي، شاعر اشتهر في الجاهلية عداده في أخواله بني سهم، كانت إقامته بمكة وهو ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، وشهد بدراً مع المشركين ونحر على مائها تسع ذبائح، أسلم له أخ اسمه هشام فقتله رجل من الأنصار خطأ وأمر رسول الله ﷺ بإخراج ديته وقدم مقيس من مكة مظهراً الاسلام فأمر له النبي ﷺ بالدية فقبضها ثم ترقب قاتل أخيه حتى ظفر به وقتله، وارتد ولحق بقريش، وقال شعراً في ذلك، فأهدر النبي ﷺ دمه، فقتله نميلة بن عبد الله الليثي يوم فتح مكة، وقيل رآه المسلمون بين الصفا والمروة فقتلوه بأسيافهم سنة ٨ هـ. انظر الأعلام للزركلي ٧/ ٢٨٣.

﴿يَسْتَوُۥنَ﴾[1]، بيَّن المؤمن والفاسق فثبت أنه ليس من هذا ولا من ذلك.

والجواب عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ هذه الآية نزلت في حق الوليد بن عقبة[2] حين قال لعلي رضي الله عنه: إن كان لك لسان وقوة ومنظر فلي أيضاً لسان وقوة ومنظر، فقال له علي رضي الله عنه: اسكت فإنك كافر[3].

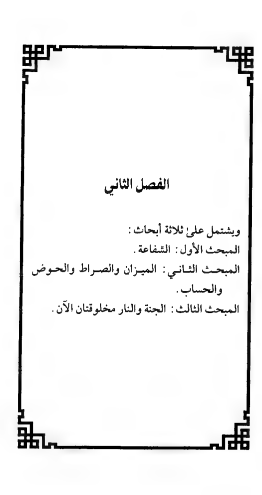
فأنزل الله تعالى هذه الآية موافقاً لقول علي رضي الله عنه.

---

(١) سورة السجدة: آية ١٨.

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب الأموي القرشي، والٍ من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه أسلم يوم فتح مكة وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب وولاه عثمان الكوفة فشهد جماعة عليه عند عثمان بشرب الخمر، فعزله ودعا به إلى المدينة فجاء فحده وحبسه، ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرض معاوية على الأخذ بثأره ومات بالرقة سنة ٦١ هـ. انظر أعلام الزركلي ٨/ ١٢٢. أقول: ما ذكره الأستاذ الزركلي من قصة شربه الخمر وحبه، فيه نظر، وقد نفى العلامة محب الدين الخطيب هذه القصة، وأتى بالأدلة بما لا يزاد على ذلك، انظر كتاب العواصم من القواصم بتحقيقه في ص ١٠٣ ـ ١١٠.

(٣) كأن هذا الكلام يشعر بأن الوليد كافر أو على الأقل فاسق كما هو صريح الآية، وهذا ليس بمرضي، ولا يُعتقد أن الآية الشريفة قد نزلت فيه، لأن مثل هذا الانسان المجاهد، الفاتح، لا يصدر منه شيء كهذا فكيف وهو صحابي!! والصحابة ـ كما هو معلوم ـ عدول باتفاق علماء الاسلام المعتدّ بهم، ولكي تكون على بينة مما ذكرت راجع كتاب العواصم من القواصم، للقاضي أبي بكر بن العربي بتحقيق العلامة محب الدين الخطيب من ص ١٠٣ ـ ١١٠ ـ ط دار البشائر الإسلامية ـ ط: أولى.



الفصل الثاني

ويشتمل على ثلاثة أبحاث:

المبحث الأول: الشفاعة.

المبحث الثاني: الميزان والصراط والحوض والحساب.

المبحث الثالث: الجنة والنار مخلوقتان الآن.



المبحث الأول

الشفاعة

تفرقت المعتزلة في الشفاعة.

منهم من أنكر الشفاعة أصلاً ورأساً.

ومنهم من أثبت الشفاعة وهم ثلاث فرق:

١ ـ منهم [من قال إنّ] من اجتنب الكبائر، وارتكب الصغائر، فيحتاج إلى مغفرة الصغائر بشفاعة الأنبياء والملائكة.

٢ ـ ومنهم [من قال إنّ] من ارتكب الكبائر، ثم تاب عن ذلك، فيحتاج إلى قبول توبته بشفاعة الأنبياء والملائكة حتى يقبل الله تعالى توبتهم بشفاعتهم.

٣ ـ ومنهم [من قال إنّ] من اجتنب الكبائر والصغائر، فيحتاج إلى زيادة الدرجات على أعمالهم بشفاعة الأنبياء والملائكة، ولا شفاعة لغير هؤلاء.

والجواب عن الفصل الأول[1]: هذا على مذهبهم لا يصح؛ لأن عندهم أن من اجتنب الكبيرة فواجب على الله تعالى أن يغفر ذنوبهم البتة بقوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ

(١) أي القول الأول للمعتزلة الذين أثبتوا الشفاعة.

﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾[(١)] فلا يحتاج إلى الشفاعة.

وأما الثاني[(٢)] [فإنهم] قالوا: إن من ارتكب الكبيرة ثم تاب، فيحتاج إلى قبول توبته بشفاعة الأنبياء والملائكة.

قلنا: هذا أيضاً لا يصح على مذهبهم، لأن عندهم أن كلَّ من ارتكب الكبيرة ثم تاب فواجب على الله تعالى قبول توبته لا محالة، فإذا وجب على الله تعالى قبول توبته فلا يحتاج إلى الشفاعة.

قال أهل السنة والجماعة: الشفاعة حق، يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[(٣)] ومن رحمة الله تعالى وفضله أن يأذن بالشفاعة للأنبياء والأولياء تكريماً لهم وتشهيراً لقدرهم عند الله، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[(٤)].

---

(١) سورة النساء الآية: ٣١.

(٢) أي القول الثاني للمعتزلة الذين أثبتوا الشفاعة.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن ١٠٦/٥ كتاب السنة ٣٤ باب في الشفاعة ٢٣ برقم /٤٧٣٩/. وأخرجه الترمذي في السنن ٦٢٥/٤ كتاب صفة القيامة ٣٨ في الشفاعة برقم ٢٤٣٥، وقال حديث حسن صحيح غريب. وأخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٥٥ رقم١ من حديث جابر بن عبد الله وقال عنه حديث صحيح.
وأخرجه الطبراني في الكبير/٧٤٩/ وفي الصغير عن جابر ١٦٠/٩ وفي الأوسط عن ابن عمر مطولاً.
وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢١٣/٣. وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده /٢٠٢٦/، وابن خزيمة برقم/١٧٦/، وابن حبان في صحيحه برقم/٢٥٩٦/ موارد الظمآن، والحاكم في المستدرك ٣٨٢/٢ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[١] ومرتكب الكبيرة ظالم، قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[٢].

الجواب: قلنا أراد به الكافر والمشرك قال الله تعالى خبراً عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٣]. والشرك هو الظلم قال الله تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

فإن قيل: روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لا ينال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي»[٥].

قلنا: قد ذكرنا قوله عليه الصلاة والسلام: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فلو صح ذلك الخبر: أراد به إذا استحل ذلك.

فإن قيل: أنتم أثبتم الشفاعة للمؤمنين، ومرتكب الكبيرة خرج من الإيمان؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[٦].

قلنا: أراد به إذا استحل ذلك لما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لأبي ذر[٧] رضي الله عنه: «ناد في الناس من قال

(١) سورة غافر: الآية ١٨.
(٢) سورة فاطر: آية ٣٢.
(٣) سورة الشعراء: آية ١٠٠ ـ ١٠١.
(٤) سورة لقمان: آية ١٣.
(٥) غير مذكور في كتب السنن.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود برقم/ ١ والوصايا برقم/ ٢٤٧٥ ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان برقم ١٠٠/ ٥٧. وقال عنه السيوطي أنه من الأحاديث المتواترة.
(٧) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار من كنانه بن خزيمة، =

لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق»(١).

* * *

= أبو ذر صحابي من كبارهم قديم الإسلام، يضرب به المثل في الصدق، وهو أول من حيًّا رسول الله ﷺ بتحية الاسلام، هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام. فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم روى له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثاً وفي اسمه واسم أبيه خلاف مات سنة ٣٢ هـ ولم يكن في داره ما يكفن به.

انظر الاعلام ٢/ ١٠٤ وتذكرة الحفاظ ١/ ١٧. وحلية الأولياء ١/ ١٥٦.

وأخيراً يمكن أن نقول: إن أحاديث الشفاعة متواترة المعنى، وقد قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه في كتابه «الوصية»: وشفاعة محمد ﷺ حق لكل من هو من أهل الجنة وإن كان صاحب كبيرة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٢٨٣ كتاب اللباس برقم/ ٥٨٢٧، ومسلم في صحيحه ١/ ٩٥ كتاب الإيمان برقم ١٥٤/ ٩٤ ولفظه عند البخاري قال أبو ذر أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر» وكان أبو ذر إذا حدث بهذا الحديث قال: وإن رغم أنف أبي ذر.

المبحث الثاني
الميزان والصراط والحوض والحساب

قالت المعتزلة: لا ميزان ولا حساب، ولا صراط، ولا حوض، ولا شفاعة، والميزان يحتاج إليه العامي والبقالون، وكل موضع ذكر الله تعالى [فيه] الميزان والحساب أراد به العدل، لأن الميزان إنما يحتاج إلى معرفة قدر الحسنات والسيآت، والله تعالى علم بذلك كله، فمن كانت حسناته أكثر يؤمر به إلى الجنة. ومن كانت سيئاته أكثر يبعث به إلى النار، ومن كان من أهل الجنة لا يوقف في القيامة ولا يحتاج إلى الشفاعة.

وقال أهل السنة والجماعة: كل ذلك حق، والحوض[1] في القيامة حق، والكوثر في الجنة حق، والصراط[2] حق، يدل عليه

(١) لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ سورة الكوثر الآية: ١.
ولقوله ﷺ فيما أخرجه الشيخان من حديث ابن عمرو: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبداً» والأحاديث فيه كثيرة.

(٢) الصراط: جسر ممدود على متن جهنم، أدق من الشعر، وأحد من السيف يعبره أهل الجنة، وتزل به أقدام أهل النار.
وأنكره أكثر المعتزلة؛ لأنه لا يمكن العبور عليه وإن أمكن فهو تعذيب =

قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الميزان له كفتان إحداهما بالمشرق والآخر بالمغرب»[2].

فإن قيل: أيش الحكمة في الميزان، ولماذا توزن الحسنات والسيئات والله تعالى عالم بذلك؟

قلنا: نعم إنه تعالى عالم بذلك ولكن العبد لا يعلم به، وإنما توزن الحسنات والسيئات حتى يعلم أنه من أهل الجنة أو من أهل النار.

فإن قيل: قراءة الكتب أسبق أم الميزان أسبق؟

قلنا: ليس فيه نص لكن استنبط العلماء على طريق الاستدلال أن قراءة الكتب أسبق، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وهذا يدل على أن لا يبقى عمل بعد الميزان.

= للمؤمنين. وحديث الصراط مذكور في صحيح مسلم في باب رؤية الله عز وجل «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز... فمنهم من يمر عليه كالبرق ومنهم من يمر عليه كالريح ومنهم من يمر عليه كالخيل فناج مسلّم ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم» الحديث.

(١) سورة المؤمنون: آية ١٠٢.

(٢) ذكر الإمام الغنيمي في شرحه على الطحاوية أن الميزان حقيقي بكفتين ولسان كل كفة طباق السماوات والأرض، كفة من نور، والأخرى من ظلام، فالنيرة للحسنات والمظلمة للسيئات، واعلم أن من الأخيار من لا يوزن له عمل، ولا ينشر له كتاب كأهل البلاء وكذلك من الأشرار، بل يزف الأولون إلى الجنة من غير وزن ولا حساب ويساق الآخرون إلى النار كذلك بدليل قوله تعالى: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ الكهف ١٠٥، كذا نقله الشيخ علوان.

انظر شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي ص ١١٩.

فإن قيل: أين الحساب وأين الميزان؟

قلنا: الميزان والحساب على الصراط، فتوزن حسنات كل واحد وسيئآته، فمن ثقلت موازينه يمضي إلى الجنة، ومن كان من أهل الشقاوة يسقط في النار كالمطر لما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «يسقط من أمتي في النار»[١].

وفي الخبر: «يوقف العبد على الصراط سبع مواقف، الموقف الأول يسأل عن الإيمان، والموقف الثاني يسأل عن الوضوء والاغتسال، والموقف الثالث يسأل عن الصلاة، والموقف الرابع يسأل عن الصوم، والموقف الخامس يسأل عن الحج، والموقف السادس يسأل عن الزكاة، والموقف السابع يسأل عن بر الوالدين»[٢].

فإن قيل: ذكر الموازين بلفظ الجمع كيف يكون هذا؟

قلنا: لكل إنسان ميزان على حدة فتوزن حسناته وسيئآته، ولأن الجمع يذكر ويراد به الواحد كما في قصة زكريا عليه السلام: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾[٣] كان جبرائيل عليه السلام وحده، وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ﴾[٤] والمراد محمد عليه الصلاة والسلام وحده.

فإن قيل: كيف يوزن؟

---

(١) غير مذكور في كتب السنن، لكنه صحيح في المعنى.
(٢) غير مذكور في كتب السنن.
(٣) سورة آل عمران: آية ٣٩.
(٤) سورة المؤمنون: آية ٥١.

قلنا: قال بعضهم يوزن العبد مع عمله لما روي عن تلميذ النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه صعد شجرة وكان صغير الساقين فتبسم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام: «أتعجبون من دقة ساقيه وانهما لأثقل في الميزان من السموات والأرضين»(١) فثبت أن العبد يوزن مع عمله.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: «تكتب الحسنات في صحيفة وتوضع في كفة، وتكتب السيئات في صحيفة وتوضع في كفة أخرى ويوزن»(٢).

وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه(٣): يوزن العمل من

(١) «ما تضحكون لرجل عبد الله أثقل في الميزان» الحديث أخرجه أحمد ١/ ١٤٤، ٤٢٠/ وابن سعد ٣/ ١/ ١١٠ وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٢٧ وعزاه في المجمع ٩/ ٢٨٨ إلى أبي يعلى والطبراني عن مغيرة عن أم موسى سمعت علياً فذكر قصة... قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير أم موسى وهيَ ثقة وأخرجه العشوي في تاريخه ٢/ ٥٤٦ والحاكم ٣/ ٣١٧ وأخرجه الذهبي والبزار والطبراني/ ٢٨٨٠ عن طريق شعبة عن معاوية عن أبيه مرفوعاً فذكره.

(٢) لقد ورد في الحديث أن كتب الأعمال هي التي توزن كما أخبر بذلك ابن عباس رضي الله عنه، والذي يؤيد ذلك حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي في سننه، وابن ماجة أيضاً، والحاكم في المستدرك، والإمام أحمد في المسند وابن حبان في موارد الظمآن. ولفظه كما ورد في المستدرك «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا: فيقال له: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج البطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع السجلات، فقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء».

(٣) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر أبو عبد الله، الحكيم الترمذي باحث، =

غير الرجل فيرى ذلك كالنور والشمس والقمر، وهذا للمسلم، أما عمل الكافر [فهو] كظلمة الليل.

ثم إن العمل وإن كان عرضاً فالله تعالى قادر على أن يصيره بحال يمكن أن يوزن ويرى.

وقال الشيخ الإمام[1] المفسر رضي الله عنه: إيمان العبد لا يوزن؛ لأنه ليس له ضد يوضع في كفة أخرى؛ لأنَّ ضده الكفر، والإنسان الواحد لا يكون فيه الإيمان والكفر في زمان واحد.

* * *

= صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين. من أهل «ترمذ» ولد نحو سنة ٣٢٠ هـ وقيل: توفي سنة ٢٨٥ وقيل غير ذلك، انظر أعلام الزركلي ٦/ ٢٧٢.

(١) لعله نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي أبو الليث الملقب بإمام الهدى المتوفى ٣٧٣. انظر أعلام الزركلي ٨/ ٢٧

المبحث الثالث
الجنة والنار مخلوقتان الآن

قال بعض المعتزلة والجهمية: إن الله تعالى لم يخلق الجنة والنار بعد؛ لأنه لا يحسن من حكمة الحكيم أن يخلق دار النعمة قبل أن يخلق أهلها ويخلق السِّجِّين قبل أن يخلق أهلها؛ لأنهما لو كانتا مخلوقتين لكانتا تفنيان بفناء السموات والأرض، لأنهما كانتا في السماء والأرض وتفنى السموات والأرض، فكذلك الجنة والنار.

وقال أهل السنة والجماعة: إن الله تعالى خلق الجنة والنار، ولا يفنيان أبداً[١] لأنهما دارا ثواب وعقاب، والثواب والعقاب لا يفنيان، لأن الله تعالى استثناهما بقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[٢] يعني الجنة والنار وأهلهما من ملائكة العذاب والحور العين.

يدل عليه[٣] أن الإنسان إذا خلق ثوابه يكون أحرص على

(١) قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان في كتابه الوصية: والجنة والنار حق، وهما مخلوقتان، ولا فناء لهما ولا لأهلهما، وأهل الجنة في الجنة خالدون، وأهل النار في النار خالدون، واستدل على كل ذلك بالآيات الصريحة.

(٢) سورة الزمر: آية ٦٨.

(٣) هذه هي الحكمة من خلقهما ووجودهما قبل يوم الجزاء.

العبادة، وإذا خلقت عقوبته يكون أخوف وأحذر وأكثر امتناعاً عن المعاصي.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾(٢).

فلو كانتا غير مخلوقتين، لكان ذلك منه كذباً، والله تعالى منزه عن ذلك.

ويدل عليه أن الله تعالى خلق الجنة فوق سبع سموات لا في السموات فلا يقال بأنها تفنىٰ بفناء السموات والأرض، وكيف يقال بأنها في السموات وهي ألف ألف مرة مثل السموات.

قال الله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾(٣). وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة، وكذلك جهنم تحت الأرض السابعة.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾(٤) والسجين تحت الأرض السابعة، وأرواح الكفار يذهب بها إلى سجِّين، وأرواح المؤمنين والشهداء يذهب بها إلى العلِّيين.

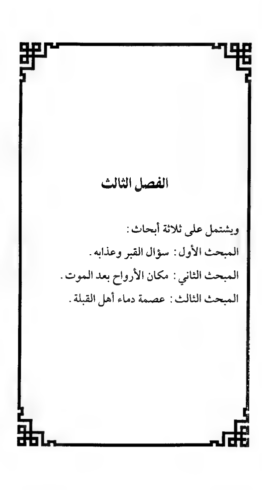
والدليل على أن الجنة والنار خلقتا للجزاء: ما روي عن النبي

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٣.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٤.
(٣) سورة النجم: آية ١٥.
(٤) سورة المطففين: آية ٧.

عليه الصلاة والسلام أنه قال: «رأيت ليلة المعراج في الجنة كذا وفي النار كذا»[١] الحديث الخ . . .

* * *

(١) غير مذكور في كتب السنن بهذا اللفظ.
ولنا أيضاً قصة آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام وإسكانهما الجنة والآيات الظاهرة في إعدادهما لقوله تعالى ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٣، ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ البقرة آية: ٢٤، ولا ضرورة في العدول عن الظاهر.
والحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».
وهذه الصيغة موضوعة للمضي حقيقة، فلا وجه للعدول عنها إلى المجاز إلا بصريح آية أو صحيح دلالة.



الفصل الثالث

ويشتمل على ثلاثة أبحاث:

المبحث الأول: سؤال القبر وعذابه.

المبحث الثاني: مكان الأرواح بعد الموت.

المبحث الثالث: عصمة دماء أهل القبلة.



المبحث الأول
سؤال القبر وعذابه

قال بعض المعتزلة والجهمية والنجارية: عذاب القبر وسؤال منكر ونكير لا يقبله العقل والقياس، لأنه لو عذب لا يخلو إما أن يعذب اللحم بغير الروح أو تدخل فيه الروح ثم يعذب، وباطل أن يعذب اللحم بغير الروح؛ لأن اللحم بغير الروح لا يتألم، وباطل أن تدخل فيه الروح ثم يعذب، لأنه لو ادخلت فيه الروح يحتاج إلى الموت ثانياً وهذا لا يجوز؛ لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[٢] أخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا مرة واحدة، لأن كلمة «كل» تقتضي عموم الأسماء مرة واحدة، ألا ترى أن من قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق تعم النساء كلها، حتى تطلق كل من تزوج منها، ثم إذا تزوجها بعد ذلك لا تطلق، فإذا بطل القسمان تعين القسم الثالث وهو أن لا يعذب أحداً في القبر.

وقال أهل السنة والجماعة: عذاب القبر وسؤال منكر ونكير[٣]

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٨٥.

(٢) سورة الدخان: آية ٥٦.

(٣) هما ملكان يدخلان ألقبر، فيسألان العبد عن ربه وعن دينه وعن نبيه، سمِّيا =

حق، وضيق القبر حق سواء كان مؤمناً أو كافراً أو مطيعاً أو فاسقاً لكن إذا كان كافراً فعذابه يدوم في القبر إلى يوم القيامة، ويرفع عنهم العذاب يوم الجمعة، وشهر رمضان بحرمة النبي عليه الصلاة والسلام[1]؛ لأنهم ما داموا في الأحياء لا يعذبهم الله تعالى في الدنيا بحرمة النبي عليه الصلاة والسلام، فكذلك في القبر يرفع عنهم العذاب يوم الجمعة وكل شهر رمضان بحرمة النبي عليه الصلاة والسلام، فيعذب اللحم متصلاً بالروح والروح متصلاً بالجسد، فتتألم الروح مع الجسد وإن كان خارجاً عنه.

ثم إن المؤمن على وجهين، إن كان مطيعاً لا يكون له عذاب القبر ويكون له ضيقه فيجد هول ذلك وخوفه لما أنه كان [قد] تنعم بنعمة

= بذلك لكونهما على هيئة منكره لم يعرف مثلها والنكير: بمعنى المنكور، يقال: نكرت الشيء بالكسر وأنكرته كذا ذكره الكستلي في حاشيته على شرح العقائد النسفية.

ولقد ورد سؤال منكر ونكير من طرق كثيرة بألفاظ عديدة تفيد التواتر المعنوي قال السيوطي في كتابه شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور: الأحاديث بذلك متواترة ومؤكدة من رواية أنس والبراء وتميم الداري وبشير بن الكمال وثوبان.

وجابر بن عبد الله وعبد الله بن رواحة وعبادة بن الصامت وحذيفة وضمرة بن حبيب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وأبي أمامة وأبي الدرداء وأبي رافع وأبي قتادة وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأبي موسى وأسماء وعائشة رضي الله عنهم.

(١) فيه نظر؛ لأنه يحتاج إلى دليل صحيح أو نقل صريح قال ملا علي القاري في «شرحه على الفقه الأكبر»: نعم ثبت في الجملة أن من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يرفع العذاب عنه إلا أنه لا يعود إلىٰ يوم القيامة فلا أعرف له أصلاً وكذا رفع العذاب يوم الجمعة وليلتها مطلقاً عن كل عاص، ثم لا يعود إلى يوم القيامة فإنه باطل قطعاً. كذا في شرح الفقه الأكبر ص٩١.

الله تعالى ولم يشكر النعمة، وإن كان عاصياً يكون له عذاب القبر وضيقه لكن ينقطع عنه عذاب القبر يوم الجمعة، ثم لا يعود العذاب إلى يوم القيامة، وإن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يكون له العذاب ساعة وضيقه كذلك ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إلى يوم القيامة، وتكون الروح مع الجسد، وكذلك إذا صار تراباً تكون روحه متصلة بترابه فيتألم الروح والتراب معاً.

يدل عليه ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة رضي الله عنها: «كيف حالك عند ضيق القبر وسؤال منكر ونكير[١]؟؟!! ثم قال: يا حمراء إن ضيق القبر للمؤمن كغمز الأم رجل ولدها بيدها وسؤال منكر ونكير للمؤمنين كالإثمد للعين إذا رمدت».

وكذلك روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعمر رضي الله عنه: «كيف حالك إذا أتاك فتّان القبر[٢]؟؟ فقال عمر رضي الله عنه: أنا أكون في مثل هذه الحالة ويكون معي عقلي ؟؟ قال: نعم، فقال عمر رضي الله عنه: إذاً لا أبالي».

والدليل على أن عذاب القبر مما يقبله العقل، ألا ترى أن النائم تخرج روحه وتكون متصلة بجسده حتى أنه يتألم في المنام، ويتصل إليه الألم والاستراحة، وقد يتكلم في المنام؛ لأن روحه متصلة

---

(١) أخرجه البيهقي في عذاب القبر برقم ١٢٩ وعزاه السيوطي في شرح الصدور ١٥٠ إليه وإلى ابن منده والديلمي في الفردوس، وابن النجار عن سعيد بن المسيب عن عائشة مرفوعاً.

(٢) له طرق عدة أخرجه البيهقي في عذاب القبر برقم ١٠٩ وابن أبي داود في البعث /٧/ وأخرجه الحاكم في التاريخ والسنة في الإيمان، والحاكم في الكنى، وأبو الشيخ في السنة، والأصبهاني في الحجة.

بجسده، والنوم أخو الموت، فيجوز أن يتألم ويستريح بعد الموت، والمعذِّب والمريح والراحم هو الله تعالى، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، كما يريد، وهو على كل شيء قدير.

وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قيل له كيف يوجع اللحم في القبر ولم يكن فيه الروح فقال عليه الصلاة والسلام: «كما يوجع سنك وإن لم يكن فيه الروح»[١].

ألا ترى أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن السن قد يتوجع لما أنه متصل باللحم وإن لم يكن فيه الروح، فكذلك بعد الموت لما كان روحه متصلاً بجسده فيتوجع الجسد.

والدليل على أن عذاب القبر حق قوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[٢] فقوله مرتين أراد به عذاباً في الدنيا وعذاباً في القبر، ولا جائز أن يقال أراد به عذاباً في الدنيا و عذاباً في الآخرة، لأنه ذكر في الآية قوله: ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ يعني عذاباً في القيامة.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[٣].

وحكي أن أبا حنيفة رحمه الله سأله ابنه حماد عن عذاب القبر فقال: إنه حق، قال: بأي دليل فقال: بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[٤] يعني عذاباً دون عذاب جهنم وأراد عذاب القبر.

وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «عذاب القبر ثلاثة أجزاء

(١) غير مذكور في كتب السنن.
(٢) سورة التوبة: آية ١٠١.
(٣) سورة غافر: آية ٤٦.
(٤) سورة الطور: آية ٤٧.

ثلث من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول ، فإن عامة عذاب القبر منه»[١] .

وعن النبي عليه الصلاة والسلام: «القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران»[٢] .

وروضة الجنة لا تخلو عن اللذات، والراحة وحفرة النيران لا تخلو عن المحنة والمشقة فثبت بهذه الدلائل أن عذاب القبر حق وهو للمسلم من الجائزات، وللكافرين من الواجبات والله الهادي.

* * *

(١) أخرجه البيهقي في عذاب القبر رقم ٢٦١ موقوفاً على قتادة ومرفوعاً إلى النبي ﷺ برقم/ ٢٦٢/ قال البيهقي الصحيح رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة من قوله.

(٢) رواه الترمذي رقم/ ٢٤٦٠/ عن أبي سعيد الخدري وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه والطبراني في الأوسط رقم/٨٦٠٨/ عن أبي هريرة والبيهقي في عذاب القبر رقم/ ٦١/ عن ابن عمر.

المبحث الثاني
مكان الأرواح في البرزخ

ثم الأرواح[(١)] على أربعة أوجه:

أرواح الأنبياء، تخرج من جسدها وتصير صورتها مثل المسك والكافور، وتكون في الجنة تأكل وتتنعم، وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وأما أرواح الشهداء [فإنها] تخرج من جسدها وتكون في أجواف طيور خضر في الجنة تأكل وتتنعم.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[(٢)] وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش، وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أرواح

(١) اختلف في حقيقة الروح: فقيل إنه جسم لطيف، شابك الجسد مشابكته الماء بالعود الأخضر، أجرى الله تعالى العادة بأن يخلق الحياة ما استمرت هي في الجسد فإذا فارقته توفي الإنسان، وقالوا: الحياة للروح بمنزلة الشعاع للشمس، وإلى هذا القول مال مشايخ الصوفية.
وقال جماعة من أهل السنة والجماعة: الروح جوهر سارية في البدن كسريان ماء الورد في الورد. كذا في شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص٩٢.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٦٩ ـ ١٧٠.

الشهداء في حواصل طيور خضر تأكل من ثمار الجنة»[(١)].

وأما أرواح المطيعين من المؤمنين [فهي] في رياض الجنة لا تأكل ولا تستمتع، ولكن تصير تطير في الجنة.

وأما أرواح العصاة من المؤمنين فتكون بين السماء والأرض في الهواء.

وأما أرواح الكفار ففي أجواف طيور سود في السِّجِّين تحت الأرض السابعة، وهي متصلة بأجسادها فتعذب أرواحها وتتألم الأجساد منه كالشمس في السماء ونورها في الأرض.

وأما أرواح المؤمنين [فهي] في العليين ونورها متصل بجسدها، ويجوز مثل ذلك، ألا ترى أن الشمس في السماء ونورها في الأرض، وكذلك النائم تخرج روحه ومع ذلك يتألم إذا كان به ألم، وتصيبه راحة حتى يسمع منه الضحك في المنام.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾[(٢)] ولا يدري راحةَ النائمِ وألَمهُ سوىٰ الله ما لم ينتبه ويخبر عما رآه، فكذلك الميت لا يعلمُ عذابه وراحته في القبر أحد إلا الله تعالىٰ، حتى يبعث يوم القيامة ويخبر عما كان في القبر وعما رآه، ومن هذا المعنى قد قيل: النوم أخو الموت.

* * *

(١) أخرجه مسلم /١٨٨٧/٢١/ والترمذي /٣٠١١/ وعبد الرزاق /٩٥٥٥/ والطبري /٩٢١٩/ البيهقي في عذاب القبر/٨٨/ .

(٢) سورة الزمر: آية ٤٢.

المبحث الثالث
عصمة دماء أهل القبلة

قالت المعتزلة والخوارج[١]: دماء أهل القبلة تحل بإحدى معان أربعة:

أحدها: إذا ارتكب الكبيرة.

والثاني: إذا أحدث بدعة.

والثالث: إذا سل سيفاً على السلطان.

---

(١) الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً. سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان، وأول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين وأشدهم خروجاً عليه، ومروقاً من الدين الأشعث بن قيس الكندي، ومسعر بن مذكي التميمي وزيد بن حصين الطائي حين قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف حتى قال أنا أعلم بما في كتاب الله انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله إلى آخر القصة، ويقولون بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً.
انظر الملل والنحل ص ١١٤.

والرابع: إذا عطَّل فريضة أي تركها، أما إذا استحل تركها فيحل دمه بالإجماع.

وقال أهل السنة والجماعة: دماء أهل القبلة لاتحل إلا بإحدى معان ثلاثة بالحديث، وهو ماروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى معان ثلاث، كفر بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق»[١].

وأما إذا خرج باغياً على السلطان فيجوز قتاله ما دام يقاتله، فإذا ترك يترك لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾[٢] الآية.

فكذلك إذا وجد منه الفساد في الأرض، مثل اللصوص وقطاع الطريق بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾[٣].

فنقول: دماء أهل القبلة لا تحل إلا بما ذكرنا، أو أن يوجد منه الفساد في الأرض، بأن كان خناقاً غير مرة، أو قصد مال غيره أو نفسه، أو كان مبتدعاً إماماً في ذلك يدعوا الناس إلى البدعة، ويتولد منه الفساد.

* * *

(١) أخرجه مسلم ٢٦/١٦٧٦ وأحمد ١٨١/٦و ٤٤٤/١ والنسائي ٩٠/٧ والدارقطني ٨٢/٣ وأبو داود ٤٣٥٢ والترمذي /١٤٠٢/ وابن ماجة/ ٢٥٣٤/ وابن حبان ٤٤٠٧/١٠.

(٢) سورة الحجرات: آية ٩.

(٣) سورة المائدة: آية ٣٣.



الباب السادس

الفصل الأول

ويشتمل على أربعة أبحاث:

المبحث الأول: الإمامة.

المبحث الثاني: بيان أفضل الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثالث: الوحي كان لسيدنا محمد ﷺ.

المبحث الرابع: ختم النبوة.



المبحث الأول
الإمامة[١]

قال أهل السنة والجماعة: الإمامة ليست بمنصوصة لعلي كرم الله

(١) ذكر الإمام الغنيمي في شرحه على الطحاوية كلاماً حول الإمامة رأيت من الفائدة أن أذكره هنا قال: قد درج علماء الكلام على ذكر مبحث الإمامة، وإن لم يكن منه لكنه من المتممات. قال في العقائد النسفية: والمسلمون لا بد لهم من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم، وإقامة حدودهم، وسد ثغورهم، وتجهيز جيوشهم، وأخذ صدقاتهم، وقهر المتغلبة، والمتلصصة، وقطاع الطريق، وإقامة الجمع والأعياد، وقطع المنازعات الواقعة بين العباد، وقبول الشهادات القائمة على الحقوق، وتزويج الصغار، والصغائر الذين لا أولياء لهم، وقسمة الغنائم، ثم ينبغي أن يكون الإمام ظاهراً لا مخفياً منتظراً، ويكون من قريش، ولا يجوز من غيرهم ولا يختص ببني هاشم وأولاد علي رضي الله عنهم، ولا يشترط أن يكون معصوماً، ولا أن يكون أفضل من أهل زمانه. ويشترط أن يكون من أهل الولاية، سائساً، قادراً على تنفيذ الأحكام، وحفظ حدود دار الإسلام، وإنصاف المظلوم من الظالم، ولاينعزل الإمام بالفسق والجور اهـ.
وقال الشهرستاني: اعلم أن الإمامة ليست من أصول الدين بحيث يفضي النظر فيها إلى قطع ويقين، ولكن الخطر على من يخطيء فيها يزيد على الخطر على من يجهل أصلاً، والتعسف الصادر عن الأهواء المضلة مانع من الإنصاف فيها. انظر نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ٤٧٨.
وقال أبو الحسن الأشعري: إن الإمامة شريعة من الشرائع يعلم جواز ورود التبعية بها بالعقل، ويعلم وجوبها بالسمع، وإن الإمامة تنعقد لمن يصلح لها بعقد رجل واحد من أهل الاجتهاد والورع، إذا عقدها لمن يصلح لها وجبت على الباقين طاعته ولاتنعقد الإمامة للمفضول مع وجود الأفضل. انظر أصول الدين للبغدادي ص ٢٧٢ و٢٨٠ ٢٨١.

وجهه و[لا] لأولاده رضي الله عنهم.

وقالت الرافضة: الإمامة منصوصة لعلي رضي الله عنه، والنبي عليه السلام أوصى إليه فكان هو وصيَّ رسول الله ﷺ.

وقال أهل السنة والجماعة: كان وصياً في شيء مخصوص وهو قضاء ديونه، والوصي في شيء مخصوص لا يكون وصياً في الأشياء كلها، وإنما يكون وصياً في الأشياء كلها أَنْ لو كان وصياً مطلقاً، وعلي رضي الله عنه ما كان وصياً مطلقاً.

وقالت المعتزلة: الوصية فرض على كل من مات.

وعندنا إذا أصلح أموره، وقضى ديونه فالوصية ليست بفرض بالحياة، وهو بالخيار إن شاء أوصى وإن شاء لم يوص، وإن لم يصلح أموره ولم يقض ديونه فالوصية فرض.

والدليل على أن الإمامة ليست بمنصوصة لعلي رضي الله عنه ولا للحسن ولا للحسين رضي الله تعالى عنهما؛ لأنها لو كانت منصوصة لنقلها الصحابة إلى التابعين، والتابعون إلى الصالحين والصالحون إلينا، ولا يظن بالصحابة أنهم قصروا في ذلك لو كان.

ألا ترى أنهم نقلوا إلينا أحكام الاستنجاء مع أنه بالماء غير واجب، وغيره من الشرائع، فالذي يتعلق به أحكام الدين أولى أن لا يقصروا فيه.

ويدل عليه أن النبي عليه السلام لما توفي اجتمعت الصحابة في سقيفة بني ساعدة وقالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من مات ولم يعرف على نفسه إماماً مات ميتة الجاهلية»[1].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٩٦ عن أسود بن عامر بن أبي بكر عن أبي صالح عن معاوية =

فلا يصح أن يمضي علينا يوم، ولم نرَ على أنفسنا إماماً وهو الخليفة؛ لأن كل من كان لا يرى الإمام حقاً فإنه يكفر؛ لأن من الأحكام ما يتعلق جوازه بالإمام، نحو الجمعة والعيدين، ونكاح الأيتام، وكل من أنكر الإمام فقد أنكر الفرائض، ومن أنكر الفرائض فإنه يكفر، فقام واحد من الأنصار فقال: منا أمير ومنكم أمير، فقام أبو بكر [الصديق] رضي الله عنه فقال: إني ظننت أن علياً رضي الله عنه يصلح لذلك فأردت أن أبايعه فقام علي[1] رضي الله عنه وسلَّ سيفه وقال: قم يا خليفة رسول الله، قدَّمك النبي ﷺ فمن ذا الذي يؤخرك، وكنت عند رسول الله ولم يأمرني فقال: «مر أبا بكر [رضي الله عنه] بأن يصلي بالناس فرضينا» لأمر دنيانا ما رضي رسول الله ﷺ لأمر ديننا، أفلا نرضى لأمر دنيانا ما لم يرض رسول الله ﷺ.

وإنما سماه خليفة رسول الله ﷺ؛ لأن النبي ﷺ استخلفه بأن يصلي بالناس في آخر عمره، فصلى بالناس في رواية سبعة أيام، وفي رواية ثلاثة أيام فبايعوه على ذلك جميعاً، وانعقدت البيعة، واشتغلوا بدفن رسول الله ﷺ، فلما فرغوا من دفنه قام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً وقال: «وليتكم وليتكم ولست بخيركم أقيلوني أقيلوني، فقالوا: فقام علي[2] رضي الله عنه فقال: نقيلك ولا نستقيلك فقد قدَّمك النبي ﷺ فمن ذا الذي يؤخرك»، فوجدوه يوماً يبيع قميصاً لامرأته في السوق ليشتري به طعاماً، فقالوا: نجعل لك أجراً من بيت المال فجعلوا له كل

= مرفوعاً، وأخرجه الطبراني ١٩/ ٧٦٩ وأبو يعلى ٣٤٧.

(١) المعلوم المشهور أن علياً لم يكن في الاجتماع في سقيفة بني ساعدة، وإنما قام عمر وبايع أبا بكر وبايعه أبو عبيدة وبايعه من الأنصار من كان هناك.

(٢) كذلك لم يعلم ذلك من علي كرم الله وجهه وإنما المعلوم أنه بايع بعد ستة أشهر.

يوم درهمين، فقال لهم: إني رجل ضعيف لا أستطيع عمل درهمين فيكون حراماً فجعلوا له كل يوم درهماً ودانقين، وكان يأخذه ويجعله في كوز، ويبيع متاع البيت سراً وينفق، فلما كان اليوم الذي توفي فيه دعا بالكوز وصُبَّ، ما فيه من الدراهم، وقال لابنته السيدة عائشة رضي الله عنها: رديها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأوصى بذلك. وقالوا أكتبوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ هذا ما أوصى به أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ في آخر يوم من الدنيا و أول يوم من الآخرة وقال: إني لأستخلف عليكم عمر بن الخطاب فإن عدل فذلك ظني به وإن فجر فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[(١)].

فرضي كلهم بخلافة عمر رضي الله عنه، ورضي به علي رضي الله عنه، وكان ذلك منه غاية الرضى، وإنما انعقدت البيعة على عمر رضي الله عنه وإنما اختاره أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه سمع من رسول الله ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»[(٢)] رضي الله عنهما.

وكان عمر رضي الله عنه يجهز الجيوش، ويفتح البلاد، وفتح

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٢) أخرجه أحمد/ ٣٨/٥ والترمذي/ ٣٨١٠ وابن ماجه مختصراً ٩٧ والحاكم ٣/ ٧٥ والعشوي في المعرفة والتاريخ/ ٤٨٠٨/ عن الثوري عن عبد الملك بن عمير عن مولى الربعي عن ربعي عن حذيفة مرفوعاً. رواه جماعة هكذا عنه ورواه أسباط عن الثوري فأسقط منه مولى ربعي، ورواه مسعر عن عبد الملك بن عمير عن ربعي وأخرجه الترمذي / ٣٨٠٧/ والحاكم ٣/ ٧٥ وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢١٨ عن يحيى بن مسلمة عن أبي الزعراء عن ابن مسعود مرفوعاً.

خراسان[1]، وبعث أضيف بن قيس[2] إلى بلخ وفتحها صلحاً فقيل له ألا تجاوز إلى ما وراء النهر؟، فقال: تلك ولاية عثمان[3] رضي الله عنه فانصرف أضيف بن قيس من بلخ وتوفي بمردوديان[4].

وكانت خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين فقتله أبو لؤلؤة النصراني، غلام المغيرة بن شعبه، وجعل الأمر شورى بين ستة نفر عثمان، وعلي وطلحة[5]، والزبير[6]، وعبد الرحمن بن عوف،

(١) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاذ ورد قصبة جوين، وبيهق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان ومن أمهات بلادها نيسابور وهراة ومرو انظر مراصد الإطلاع ١/ ٤٥٥.

(٢) لعله أحنف بن قيس.

(٣) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية من قريش، ذو النورين ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ولد بمكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح. وأسلم بعد البعثة بقليل وكان غنياً شريفاً ومن أعظم أعماله تجهيزه جيش العسرة بنصف ماله، وأمر عثمان باستنساخ النسخة التي جمعت في خلافة أبي بكر، ورد النسخة إلى حفصة التي آلت إليها بعد وفاة أبيها عمر رضي الله عنهم جميعاً، وهو أول من قدم الخطبة في العيد على الصلاة وأمر بالأذان الأول يوم الجمعة واتخذ الشرطة وروى عن النبي ﷺ ١٤٦ حديثاً وقتل بالمدينة وهو يقرأ القرآن سنة ٥٣ هـ. عن عمر يناهز الثمانين عاماً.
انظر الإصابة ٢/ ٤٦٢ بتصرف.

(٤) لعلها مردان بالفتح وآخره نون بين المدينة وتبوك قال ابن إسحاق وكانت مساجد رسول الله فيما بين المدينة وتبوك معلومة مسماة مسجد تبوك ومسجد ثنية مردان، معجم البلدان ٥/ ١٢٢.

(٥) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي أبو محمد أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى، شهد أحداً وأبلى فيها بلاءً حسناً مات سنة ٣٦هـ.
انظر الإصابة ٢/ ٢٢٩ ـ ٣٢٠.

(٦) الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي: أبو عبد الله أسلم وهو ابن خمس=

وسعد بن أبي وقاص[1]، رضي الله عنهم، وكان سعد غائباً فاعتزل طلحة والزبير وقالا: لا حاجة لنا فيها، فبقي عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فقال عبد الرحمن بن عوف: إني وهبت لكما نصيبي، فأذنا لي حتى أختار أحدكما فقالا: نعم وأجلّوه ثلاثة أيام، وكان يتبع الناس سراً وجهراً، فوجد رأيهم إلى عثمان رضي الله عنه أميل، فقال: إني اخترت عثمان بن عفان فبايعه علي رضي الله عنه طائعاً وسائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فقتله[2] الغوغاء (الوفود).

وكانت خلافة عمر وعثمان رضي لله عنهما اثنين وعشرين سنة، وخلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين، وخلافة علي رضي الله عنه ستة سنين، وذلك كله ثلاثون سنة، وعن النبي ﷺ أنه قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير إمارة وملكاً»[3] وبعد علي رضي الله عنه لا نقول بأن الإمامة منصوصة للحسن والحسين، وإنما الإمامة تثبت

= عشرة سنة ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ وهو أول رجل سل سيفه في الله وهو أحد الستة الشورى وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة وكان تاجراً، قُتل سنة ٣٦ هـ.
انظر الإصابة ١/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦.

(١) سعد بن أبي وقاص: أحد العشرة وآخرهم موتا. روى عن النبي كثيراً، وكان رأس من فتح العراق، وولي الكوفة لعمر، ثم عزل ووليها لعثمان، وكان مجاب الدعوة وكان سعد أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى مات سنة ٥١ هـ. انظر الإصابة ٢/ ٣٣.

(٢) الضمير عائد لعثمان رضي الله عنه وأرضاه.

(٣) أخرجه الترمذي/ ٢٢٢٦/ وأبو داود / ٤٦٤٧/ والنسائي في فضائل الصحابة / ٥٢/ وابن حبان في صحيحه/ ٦٦٥٦/ وأحمد في المسند ٥/ ٢٢١/ والطيالسي / ١١٠٧/ والحاكم ٣/ ١٤٥ والطبراني في الكبير/ ٦٤٤٢/ والطحاوي في مشكل الآثار/ ٤/ ٣١٣/ والبيهقي في الدلائل/ ٦/ ٣٤٢ وغيرهم.

بإجماع المسلمين بعد أن تكون الأئمة من قريش[١].

وقالت الروافض: الإمامة للحسن[٢] والحسين[٣] بعد علي رضي الله عنه.

(١) ولا يجوز من غيرهم، ولا يختص ببني هاشم وأولاد علي رضي الله عنه، لقوله عليه السلام: «الأئمة من قريش» فهو وإن كان خبر واحد لكن لما رواه أبو بكر رضي الله عنه محتجاً به على الأنصار لم ينكره أحد، فصار مجمعاً عليه لم يخالف فيه إلا الخوارج وبعض المعتزلة.
وحديث: «الأئمة من قريش» أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٢٩ من حديث أنس و٤٤٢١ من حديث أبي برزة والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٢١ وأبو داود الطيالسي في مسنده برقم/ ٩٢٦/ عن علي بن أبي طالب وبرقم/ ٢١٣٣/ من حديث أنس وابن أبي عاصم في السنة برقم/ ١٠١٩ عن علي بن أبي طالب وبرقم/ ٢١٣٣ من حديث أنس وعن أبي هريرة وعن أبي برزة كما في المجمع ٥/ ١٩١ ـ ١٩٦ والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٠١ كتاب الفتن والملاحم. والطبراني في الكبير برقم/ ٧٢٥/ وفي الأوسط ٤/ ١٩٢ وفي الصغير (٤٢٥) ١/ ٢٦٠ والبزار انظر المجمع ٥/ ١٩١ وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٧١.
وحكم السيوطي على هذا الحديث بالتواتر انظر قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ص ٨٤٨ رقم ٩٠ وتابعه الكتاني في نظم المتناثر رقم/ ١٧٥/.

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ولد في المدينة المنورة سنة ٣ هـ وأمه فاطمة الزهراء وهو أكبر أولادها كان عاقلاً حليماً محباً للخير، فصيحاً، حج عشرين حجة ماشياً، ودخل أصبهان غازياً وبايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه، ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام، وتوفي مسموماً سنة ٥٠ هـ انظر أعلام الزركلي ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٥.

(٣) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو عبد الله السبط ابن فاطمة الزهراء. ولد في المدينة سنة ٤ هـ ونشأ في بيت النبوة. والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة كما ورد في الحديث، وكان مقتله يوم الجمعة عاشر المحرم. وقد ظل هذا اليوم يوم حزن وكآبة عند جميع المسلمين ولا سيما الشيعة.
انظر أعلام الزركلي ٢/ ٢٤٣ وتهذيب ابن عساكر ٤/ ٣١١.

وقالت الشيعة: إن علياً كان خليفة رسول الله ﷺ، والمهاجرون والأنصار كفروا بالله حين بايعوا أبا بكر رضي الله عنه.

فنقول: انعقد الإجماع على إسلامهم قبل وفاة النبي ﷺ، وكل من يقول بأنهم كفروا بعد وفاة النبي ﷺ فعليه الدليل.

* * *

المبحث الثاني
بيان أفضل الصحابة رضي الله عنهم

إن أفضل الصحابة رضي الله عنهم أبو بكر [الصديق] رضي الله عنه[(١)].

يدل عليه أن علياً كرم الله وجهه كان يخطب على منبر الكوفة، فقال ابنه محمد بن الحنفية[(٢)]: مَنْ خيرُ هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ؟

---

(١) قال الإمام أحمد بن حجر الهيتمي المكي: والذي أطبق عليه علماء الملة وعلماء الأمة أن أفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر، ثم اختلفوا فالأكثرون ومنهم الشافعي وأحمد وهو المشهور عن مالك أن الأفضل بعدهما عثمان، ثم علي، وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثوري بتفضيل علي، على عثمان، وقيل بالتوقف عن التفضيل بينهما، ثم إن الذي مال إليه أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة أن تفضيل أبي بكر على من بعده قطعي، وخالف القاضي الباقلاني، فقال: إنه ظني. انظر الصواعق المحرقة ص ٥٧.

(٢) هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام، وهو أخو الحسن والحسين غير أنهما من فاطمة الزهراء، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها تمييزاً له عنهما، وكان يقول الحسن والحسين أفضل مني وأنا أعلم منهما. كان واسع العلم، ورعاً أسود اللون ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ وتوفي بها سنة ٨١ هـ وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته ويزعم أنه المهدي، وكانت الكيسانية =

فقال: أبو بكر، قال: ثم مَنْ قال عمر ، قال : ثم مَنْ قال: عثمان، قال: ثم مَنْ فسكت علي رضي الله عنه فقال: لو شئت لأنبأتكم بالرابع، فقال محمد بن الحنفية: أنت، فقال علي رضي الله عنه أبوك امرؤ من المسلمين، وإنما سكت علي رضي الله عنه لأنه لم يرد أن يمدح نفسه.

ويدل عليه أن النبي ﷺ كان يُجلِس أبا بكر عن يمينه، وعمر عن يساره فلا يخلو إما أن جعل ذلك نفاقاً أو استحقاقاً، ولا يظن بأن النبي ﷺ فعل ذلك نفاقاً، لأنه لا يخاف منهما ، وكذلك كانا يقومان بحذائه، وكذلك استخلفه في آخر عمره فدل ذلك على أنه فعل استحقاقاً؛ لأنه استخلفه بحضرة جميع الصحابة بخلاف استخلاف ابن أم مكتوم[1] لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بالغزو مع رسول الله ﷺ.

فإن قيل: روي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي رضي الله عنه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام إلا أنه لا نبي بعدي»[2]

= تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى ، وقيل خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات هناك، وللخطيب علي بن الحسين الهاشمي النجفي كتاب «محمد بن الحنفية» ط في سيرته .
انظر أعلام الزركلي ٦/ ٢٧٠، طبقات ابن سعد ٥/ ٦٦، وفيات الاعيان ١/ ٤٤٩، صفة الصفوة ٢/ ٤٢، حلية الأولياء ٣/ ١٧٤ .

(١) هو عبد الله بن عمرو بن شريح بن أم مكتوم أبو اسحاق.
انظر الإصابة ٢/ ٣٥١.

(٢) أخرجه البخاري/ ٤٤١٦/ ومسلم/ ٢٤٠٤/ ٣٠ وابن حبان في صحيحه / ٦٩٢٦/ والترمزي/ ٣٧٢٤ والنسائي في الخصائص ١١/ ٥٤ وأحمد ١/ ١٧٣ . والطحاوي في المشكل/ ١٧٧٠/ .

وخلافة هارون لم يكن لها تبديل فكذلك ههنا.

والجواب عنه أن نقول: فضيلة علي رضي الله عنه لم تكن من الوجه الذي توهمتم؛ لأن النبي ﷺ استخلفه على المدينة وخرج إلى بعض الغزوات، فقال المنافقون: النبي ﷺ أعرض وجهه عنه وحبسه في البيت فاغتم بذلك علي رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام»[1].

يدل عليه أن هارون مات قبل موسى عليه السلام، وإنما يصح هذا أن لو قال: أنت مني بمنزلة يوشع بن نون عليه السلام وقد كان خليفة موسى عليه السلام يومئذ.

* * *

= وابن أبيعاصم في السنة/١٣٣٦ والحاكم ١٠٨/٣ وابن ماجه/١١٥ وأبو يعلى/٧١٨/ .

(١) تقدم تخريجه.

المبحث الثالث
الوحي كان لسيدنا محمد ﷺ

صنف من الروافض قالوا: بأن الوحي كان لعلي رضي الله عنه إلا أن جبرائيل عليه السلام غلط في الوحي.

وصنف منهم قالوا: بأنه كان شريكاً في النبوة، وهؤلاء كلهم كفار، لأنهم أنكروا نص القرآن وإجماع الأمة قال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[1] وبعضهم قالوا: إن علياً كرم الله وجهه كان أعلم من النبي ﷺ وهو بمنزلة الخضر من موسى عليه السلام.

والجواب عنه أن نقول: ذلك العلم كان له بتعليم النبي ﷺ بقوله عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[2] والباب لا يكون أعظم من المدينة.

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) روى عن جابر وابن عباس رضي الله عنهما.
أخرجه الترمذي/ ٣٧٢٢/ والحاكم ٣/ ١٢٧ وأبو نعيم في الحلية ١/ ٦٤ وابن عدي في الكامل ١/ ١٩٠ و٥/ ٦٧ و٢/ ١٤٣ وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٥٠ والطبراني في الكبير/ ١١٠٦١/ والطبري في تهذيب الآثار مسند علي/ ١٧٣/ وأخرجه العقيلي وابن حبان في المجروحين وغيرهم قال السخاوي: موضوع، قال أبو زرعة: كما في تهذيب التهذيب ٧/ ٣٧٤.

ويدل عليه أن علياً كرم الله وجهه كان ولياً والرسول [ﷺ] كان نبياً ولا شك أن النبي أفضل من الولي[١]، وأما الخضر عليه السلام كان له علم لدني بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[٢] وأراد به علم الإلهام، وموسى عليه السلام كان أفضل؛ لأنه صاحب شريعة وله كتاب، وصاحب الكتاب والشريعة أفضل كداود مع سليمان عليهما السلام، وداود أفضل؛ لأنه قد أنزل عليه الزبور.

* * *

(١) وكل من يعتقد أن الولي أفضل من النبي يكفر هكذا صرح العلماء. هذا في الولي والنبي صحيح، وأما الولاية والنبوة فلا كفر في ذلك، وإن كان الصحيح أن النبوة أفضل من الولاية، وأنه روي عن العز بن عبد السلام أن الولاية أفضل لكن النبي لا يكون ولياً مع أنه نبي فكان أفضل.

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٥.

المبحث الرابع
ختم النبوة

وصِنْف منهم[١] قالوا: بأن الأرض لا تخلو من نبي ، والنبوة صارت ميراثاً لعلي رضي الله عنه وأولاده، ويفترض على المسلمين طاعة علي رضي الله عنه، وكل من لا يرى طاعته فريضة فإنه يكفر .

وقال أهل السنة والجماعة: لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٢] .

وكذلك قوله ﷺ: «لا نبي بعدي»[٣] ، ومن قال بعد نبينا نبي فإنه يكفر؛ لأنه أنكر النص وهو قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ .

وروي عن أبي يوسف رضي الله عنه أنه قال: «إذا خرج المتنبي وادعى النبوة فمن طلب منه الحجة فإنه يكفر؛ لأنه أنكر النص» وكذلك لو شك فيه، لأن الحجة تطلب لتبيين الحق من الباطل ومن ادعى النبوة بعد موت نبينا لا يكون دعواه إلا باطلاً .

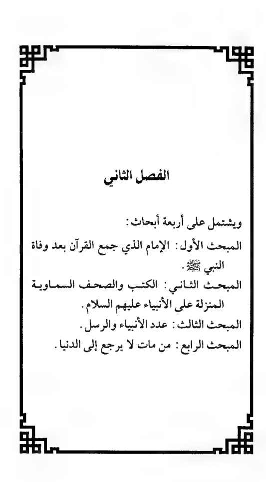
* * *

---

(١) أي من الروافض .

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٠ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم برقم/ ١٨٤٢ وبرقم/ ٢٨٨٩ ، وأحمد في المسند ٢/ ٢٩٧ ، وابن ماجة برقم/ ٣٩٥٢ . وهو قطعة من الحديث .



الفصل الثاني

ويشتمل على أربعة أبحاث:

المبحث الأول: الإمام الذي جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ.

المبحث الثاني: الكتب والصحف السماوية المنزلة على الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: عدد الأنبياء والرسل.

المبحث الرابع: من مات لا يرجع إلى الدنيا.



المبحث الأول

الإمام الذي جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ

قالت الرافضة: الإمام الذي جمع القرآن علي بن أبي طالب [رضي الله عنه].

وقال أهل السنة والجماعة: الإمام الذي جمع القرآن عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لأن النبي [ﷺ] لما توفي جمع أبو بكر [الصديق] رضي الله عنه القرآن، وكان يقرؤه فلم يتفرغ لإظهاره؛ لأنه كان مشغولاً بقتال أهل اليمامة، وكان أبو بكر رضي الله عنه في الخلافة سنتين، فلما توفي لم يظهر عمر رضي الله عنه، لأنه كان مشغولاً بفتح خراسان وغيره. فلما كان في زمان عثمان رضي الله عنه اختلفوا في القرآن.

قال عثمان: إنكم اختلفتم فَمَنْ بعدكم أشدُّ اختلافاً، فجاء عثمان رضي الله عنه وأخرج الذي جمعه أبو بكر رضي الله عنه، فأظهره على الصحابة إلا أنه يُنسب إلى عثمان رضي الله عنه، لأنه هو الذي أظهره، واتفقت الصحابة رضي الله عنهم على ذلك، فكل من أنكر

آية من مصحف عثمان رضي الله عنه فإنه يكفر، لأن عثمان رضي الله عنه هو الذي أجمعت عليه الصحابة[١].

* * *

(١) روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ـ فقال لعثمان: ادرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من كل صحيفة ومصحف أن يحرق. انظر هذه الرواية في تاريخ الفقه الإسلامي للسايس ص ٣٩.

المبحث الثاني
الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام

يجب أن تعرف أن جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء والرسل كلام الله غير مخلوق، وذلك مائة صحيفة وأربعة كتب ، خمسون منها أنزلها الله تعالى على شيث بن آدم عليه السلام ، وثلاثون صحيفة على إدريس عليه السلام، وعشر صحائف على إبراهيم عليه السلام، وعشر صحائف على موسى عليه السلام قبل نزول التوراة، وتسمىٰ كتاب التسمية ، وكان قبل غرق فرعون .

ثم أنزل الله تعالى التوراة[1] [على موسى عليه السلام]

---

(١) اعلم أن التوراة التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام فيها تسعة ألواح وفي هذه الألواح علوم كثيرة إلا علم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وعلم سيدنا إبراهيم عليه السلام وعلم سيدنا عيسى عليه السلام، وعلم ورثة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وإنما كان ذلك خصوصية لسيدنا محمد ﷺ وإكراماً لهؤلاء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وجميع ماتضمنته الألواح إلا ما كان خاصاً بسيدنا موسى عليه السلام يشتمل على سبعة أنواع من المقتضيات الإلهية.

النوع الأول: النور.

النوع الثاني: الهدى، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا=

بعد غرق فرعون.

ثم أنزل الله تعالىٰ الزبور(١) على داود عليه السلام.

ثـم أنزل الله تعالىٰ الإنجيـل(٢) على عيسى عليـه السـلام ، وهو

= ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾ سورة المائدة: آية ٤٤.
النوع الثالث: الحكمة.
النوع الرابع: القوى.
النوع الخامس: الحكم.
النوع السادس: العبودية.
النوع السابع: وضوح طريق السعادة من طريق الشقاوة، وتبيين ما هو الأولى.
فهذه سبعة ألواح أمر سيدنا موسى عليه السلام بتبليغها، أما اللوحين الباقيين فهما مخصوصان بموسى عليه السلام، لم يرثهما أحد من خلفائه عليه السلام.
اللوح الأول: لوح الربوبية.
اللوح الثاني: لوح القدرة.

(١) اعلم أن الزبور لفظة سريانية بمعنى «الكتاب» قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ سورة القمر الآية: ٥٢ أي: الكتب وقد أنزل على داود عليه السلام وأكثره مواعظ لقومه عليه السلام وثناء على الله بما هو أهل، ويحتوي ذلك على علوم جمة إلهية، وعلم مقتضيات حقائق الموجودات، وعلم القوابل والاستعدادات وعلم الطبيعيات، وعلم الرياضيات، وعلم المنطق، وعلم الخلافة وعلم الحكمة، وعلم الفراسة إلى غير ذلك من العلوم وفيه قسم خاص من آيات الأحكام والشرائع.

(٢) اعلم أن الإنجيل أنزل على عيسى عليه السلام باللغة السريانية، وقرىء على سبع عشرة لغة وليس في الإنجيل الحق إلا ما يقوم به الناموس اللاهوتي في الوجود الناسوتي، وهو على مقتضى ظهور الحق في الخلق من غير تثليث قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ سورة المائدة آية: ١١٦، وإنما قال ذلك لنفي ما توهموه على غير حقيقته. وفيه براءة له عند الله لأنه بين لهم ولم يقفوا عليه بل ذهبوا إلى ما فهموه من الآيات بأنفسهم.

آخر أنبياء بني إسرائيل.

ثم أنزل الله سبحانه وتعالىٰ الفرقان(١) على محمد ﷺ وهو آخر الرسل.

فكل من أنكر آية من هذه الكتب فإنه يكفر، وإذا قال: آمنت بجميع الرسل ثم أنكر واحداً من الرسل الذي ليس بمنصوص عليه، وقال: هذا ليس منهم لا يكفر ويكون مبتدعاً، هذا إذا لم يدخل في دين من الأديان أما إذا دخل في دين من الأديان يكون مرتداً فيقتل.

والدليل على أنَّ الإيمان بجميع الكتب شرط قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾(٢) الآية، و[وكذلك] الإيمان بجميع الرسل شرط، قال لله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(٣).

* * *

(١) الفرقان: هو القرآن وإنما سمي فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل، وقد نزل منجماً ومقسطاً في ثلاث وعشرين سنة منه ما نزل بمكة، ومنه ما نزل بالمدينة، ومنه ما نزل شتاءً وهكذا إلى أن تم نزوله.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

المبحث الثالث
عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

ثم اعلم أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر[1] برواية أبي ذر[2] رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.

وفي بعض الأخبار: أن الأنبياء ألف ألف ومائتا ألف.

والسلامة في هذا أن تقول: آمنت بالله، وبجميع ما جاء من عند الله، على ما أراد الله به، وبجميع الأنبياء والرسل حتى لا تعتقد ما ليس بنبي نبياً، ولا تعتقد من يكون نبياً غير نبي[3].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر كتاب العلم/ ٥٢/ رقم/ ٩٤/ .

(٢) أبو ذر الغفاري: هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار من كنانة بن خزيمة صحابي من كبار الصحابة أسلم قديماً، وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، روى له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثاً وتوفي بالربذة من قرى المدينة سنة ٣٢ هـ.
انظر أعلام الزركلي ٢/ ١٤٠.
انظر الإصابة ٧/ ٦٠.
انظر صفوة الصفوة ١/ ٢٣٨. انظر حلية الأولياء ١/ ١٥٦.

(٣) قال الله تعالى في شأنهم: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ سورة غافر: آية٧٨.
فالأولى أن لا نقتصر على عدد في التسمية وإن كان قد ورد عن طريق خبر- الآحاد لأن خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط المذكورة في

المبحث الرابع
من مات لا يرجع إلى الدنيا

وصنف من الروافض قالوا: إن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا فينتقمون من أعدائهم فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وقال أهل السنة والجماعة: كل من مات لا يرجع إلى الدنيا إلىٰ يوم القيامة؛ لأنه لا يقام الدليل عليه[(١)].

ويدل على صحة ما قلنا قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[(٢)] ولم يقل مرتين.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[(٣)] وكذلك قوله ﷺ: «ليس بعد الموت إلا الجنة والنار»[(٤)].

= أصول الفقه لا يفيد إلا الظن ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات انظر شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ٢١٤.

(١) أي علىٰ رجوعه إلى الدنيا.

(٢) سورة طه: الآية ٥٥.

(٣) سورة يس: الآية ٣١.

(٤) أخرجه الحاكم ٢/ ٩٥ والبزار/ ١٧٠٤/ والطبراني في الأوسط/ ٢٢٩/ مجمع البحرين قال المنذري في الترغيب ٢/ ١٧٠ إسناده جيد، وأخرجه النسائي في عشرة النساء (٥٢/ ٥٣) والطبراني في الكبير/ ١٧٨٥/ عن جابر مرفوعاً.

الباب السابع

الفصل الأول

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تحريم الإثم والفواحش.

المبحث الثاني: الحكمة من نسخ الشرائع.

المبحث الأول
تحريم الإثم والفواحش

وصنف من الشيعة قالوا: بأن الخمر ليس بحرام ولكنه مكروه، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾(١).

وكذلك قالوا: بأن اللواطة حلال؛ لأن الله سماها منكرا ولم يحرمها في كتابه نصاً قال الله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾(٢).

وكذلك الرقص والغناء والشعر حلال. وقالوا: هذا قول مالك بن أنس رضي الله عنه إمام [أهل] المدينة.

وقال أهل السنة والجماعة: كل ذلك حرام لقوله ﷺ: «كل لعب ولهو حرام إلا الثلاث، رمية من قوسه، وتأديب فرسه، وملاعبة الرجل بأهله»(٣). وقال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾(٤). وأما الخمر: فقلنا حرام؛ لأنه ورد بها الخبر وهو

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٣.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ٢٩.
(٣) أخرجه الترمذي/ ١٦٣٧/ وأبو داود في الجهاد/ ٢٥١٣/ والنسائي في الخيل رقم/ ٦/ ٢٢٣ رقم/ ٣٥٨٠ وأحمد/ ٤/ ١٤٦.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

قوله ﷺ: «حرمت عليكم الخمر قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب»[(١)].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ ﴾[(٢)]. والإثم هو الخمر، يدل عليه قول القائل:

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم[(٣)] تذهب بالعقول

والجواب عن احتجاجهم بالآية [كما] قلنا: الآية نزلت في قوم شربوا الخمر بعد نزول آية التحريم[(٤)] قبل بلوغ الخبر إليهم، فاغتموا بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأما ضرب الدف، قلنا: أباحه الإمام الشافعي رضي الله عنه في التزويج للإعلام لا للعب.

فإن قيل: إباحة الخمر والميتة كانتا في الابتداء، فلو قلنا: بجواز النسخ يكون ذلك رجوعاً عن الأول، ويصير كأن الله تعالى أمر بأمر، ثم بدا له الرجوع عن ذلك، والبداء والرجوع من الله تعالى لا يصح؛ لأن البداء والرجوع إنما يكون ممن كان جاهلاً ولا يعرف عواقب الأمور.

والجواب عنه أن نقول: لا نسلم بأن في النسخ بداء و رجوعاً،

---

(١) أخرجه النسائي موقوفاً على ابن عباس /٥٦٩٩/ و أحمد في الأشربة/ ١٠٩/ والدار قطني/ ٤/ ٢٥٦ والطبراني في الكبير/ ١٠٨٣٩/ والبيهقي/ ٨/ ٢٩٧/ .

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٣) قال في لسان العرب والإثم عند بعضهم «الخمر» قال الشاعر:
شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول
قال ابن سِيْده: وعندي أنه إنما سماها إثماً لأن شربها إثم.

(٤) وآية التحريم هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة المائدة الآية: ٩٠.

بل هو انقضاء حكم الأول و انتهاؤه[١]، واستئناف حكم آخر؛ لأنه قد ظهر لنا أن الحكم الأول قد انتهى ولم يكن مؤبداً، لكنه مؤقت إلى ذلك الوقت، إلا أنّا لا نعرف ذلك، فظهر لنا أن الحكم الأول قد انتهى وانقضى.

يدل عليه أن الله [تعالى] يحشر الموتى يوم القيامة، و لا قائل بأن فيه بداءً ورجوعاً، بل فيه انتهاء حكم الموتى واستئناف حكم آخر، كذلك ههنا ولا يقال بأن في النسخ بداءً ورجوعاً بل فيه انتهاء حكم المنسوخ في الموتى، واستئناف حكم الناسخ.

فإن قيل: أيش الفائدة في النسخ؟

قلنا: الفائدة في النسخ التحنن والتخفيف والرحمة على عباده[٢]

---

(١) النسخ في الشريعة «بيان تبديل» فهو تبديل للحكم بعد الثبوت في حقنا بيان محض في حق الله تعالى، ولا يجري النسخ في الاخبار، ويجري في الأحكام الشرعية المطلقة التي لم يثبتْ تأقيتها ولا تأبيدها، أما التأقيت فمثاله لو قال الشارع أوجبت عليكم الصلاة إلى شهر مثلاً، فقرينة إلى شهر منعت جريان النسخ على هذا الحكم؛ لأنه إخبار من الشارع، والنسخ لا يجري في الخبر، إذ لو صح النسخ في الخبر لكان كذبا وحاشا كلام الشارع، أما التأبيد فمثاله قول النبي ﷺ: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» فلا يصح النسخ في مثل هذا أيضاً، إذ لو صح لكان كذباً؛ لأنه من الاخبار، لذا عرّف الأصوليون النسخ بقولهم: «هو بيان لانتهاء مدة الحكم المطلق الذي علم الله أنه ينتهي في وقت كذا» وإباحة الخمر كانت حكماً شرعياً بدليل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ سورة البقرة الآية: ٢٩، فكل ما لم يحرم بالنص أوالاجماع أوالاجتهاد أعني القياس وغيره مما دل عليه الاجتهاد فهو مباح والاباحة حكم من أحكام الشريعة التكليفية، وكانت إباحة الخمر قبل بدء التحريم بالتدريج مطلقة فصلحت أن تكون محلاً للنسخ.

(٢) هذا إذا كان النسخ إلى أخف أما إذا كان إلى أشد، فيمكن أن تكون الحكمة منه=

كما أن الله تعالى أمر المسلمين في الابتداء بأن يقاتل منهم كل واحد العشـرة من الكفرة والفجرة بقوله تعالى: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾[1].

ثم خفف بعد ذلك، وأسقط عن كل عشرة ثمانية بقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾[2].

سماه تخفيفاً، كذلك ههنا، الناسخ أنفع في الحال؛ لأنه يوجب العمل به في الحال، والإيمان به واجب، والمنسوخ لا يجب العمل به في الحال ولكن يجب الإيمان به.

* * *

= الابتلاء أو لمصلحة خفية ترجع إلى العباد والله أعلم.

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٥.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٦.

المبحث الثاني
الحكمة من نسخ الشرائع

قالت اليهود لعنهم الله تعالى: نسخ الشريعة لا يجوز[١].

وعند أهل السنة و الجماعة: يجوز[٢].

واحتجوا وقالوا: إن الأمر بالشيء يقتضي المصلحة، والنهي عن الشيء يقتضي المفسدة، وإذا كان كذلك فالله تعالى لما أمر في التوراة و نهى، دلَّ ذلك على أنه مصلحة فلو جاز أن ينهى عما أمر به في التوراة يؤدي إلى أن الله تعالى أمر في التوارة بالمفسدة وهذا لا يجوز؛ لأن الله حكيم عالم بعواقب الأمور، ولا يجوز أن يوصف فعله بالسفه.

---

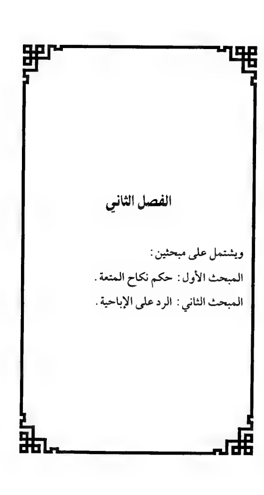
(١) فعند بعضهم باطل نقلاً وعند بعضهم عقلاً.

(٢) لأن نكاح الأخوات كان مشروعاً في شريعة آدم عليه السلام، وبه حصل التناسل وقد ورد في التوراة أن الله أمره بتزويج بناته من بنيه، وكذا الاستمتاع بالجزء كان حلالاً لآدم عليه السلام، فإن زوجته حواء كانت مخلوقة من ضلعه ثم انتسخ ذلك بغيره من الشرائع، وكذا الجمع بين الأختين كان مشروعاً في شريعة يعقوب عليه السلام ثم انتسخ ذلك في التوراة، وترك الختان كان جائزاً في شريعة إبراهيم عليه السلام ثم انتسخ بالوجوب في شريعة موسى عليه السلام.
فلا وجه إلى إنكاره. انظر كتابنا المذهب في أصول المذهب شرح المنتخب الحسامي، ١/ ٥٩٠ باب النسخ.

والجواب عنه [كما] قلنا: إن الله تعالى إذا أمر بأمر يقتضي المصلحة في ذلك الوقت، ولا يقتضي في جميع الأوقات كالطعام والشراب، يقتضي أن يكون مصلحة في حالة الجوع والعطش، ولا يقتضي أن يكون مصلحة في حالة الشبع، وكالطبيب يأمر المريض بأدوية مختلفة في أوقات مختلفة، ولا يكون ذلك بداء، بل يكون لتحقق المصلحة في ذلك الوقت، كذلك ههنا؛ لأن الله تعالى أرحم علىٰ عباده من الطبيب الشفيق، وحين جعل التوراة شريعة في زمن موسى عليه السلام كان ذلك مصلحة إلى انقضاء زمن موسى عليه السلام، ثم صارت المصلحة في الزبور إلى انقضاء زمن داود عليه السلام، ثم صارت المصلحة في الإنجيل إلى انقضاء زمن عيسى عليه السلام، ثم صارت المصلحة في القرآن في عصر نبينا محمد ﷺ[1].

* * *

(١) ففي إطلاق كلام المصنف رضي الله عنه في الشريعة المحمدية وعدم تقيدها بزمان من حيث صلاحيتها للعمل إشارة إلى أن شريعة سيدنا محمد صالحة لكل زمان ومكان.
ومن المعلوم: أن لكل شيء ابتداءً، وبقاءً أو انتهاءً. ودليل الابتداء لا يكون دليل البقاء أو الانتهاء ولا يدل عليه. فالشريعة الإسلامية لها ابتداء ببعثة النبي محمد ﷺ ونزول القرآن الكريم عليه، وتبليغه الناس ولكنها باقية إلى يوم القيامة لا يمكن أن يطرأ عليها النسخ؛ لما أنه قد ثبت بقاؤها بدلالة قول النبي ﷺ: «لا نبي بعدي» فإذا كان لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ إذن لا وحي بعده، فثبت أنه لا شريعة بعد هذه الشريعة.



الفصل الثاني

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حكم نكاح المتعة.

المبحث الثاني: الرد على الإباحية.



المبحث الأول
نكاح المتعة

وصنف من الروافض قالوا: بأن المتعة حلال، وهو استئجار المرأة للوطء قال الله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[١] أوجب الأجرة بمجرد الاستمتاع دون النكاح.

وقال أهل السنة والجماعة: المتعة حرام كالخمر إلا أنها أبيحت في سفر واحد للضرورة[٢] ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[٣].

وأما الآية التي نسخت بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾[٤]

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٤.

(٢) أقول: لقد رخص رسول الله ﷺ في المتعة عام خيبر ثم نهى عنها ثم رخص فيها عام أوطاس ثم نهى عنها، فقال ابن عباس رضي الله عنه كانت الرخصة للضرورة والنهي لانقضاء الضرورة وقال الجمهور: كانت الرخصة إباحة والنهي نسخاً لها. وعلى كل حال فالمتعة عند أصحاب المذاهب الأربعة حرام، لثبوت النهي الوارد عليها، ولأنها تعتمد التأقيت في النكاح، والنكاح المؤقت بوقت غير جائز، خاصة وقد ثبت نسخها، والعمل بالمنسوخ مع ورود الناسخ لا يجوز باتفاق العلماء.

(٣) سورة النور: الآية ٢.

(٤) سورة النور: الآية ٣٢.

﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

وصنف منهم قالوا: إذا مات الرجل وصار رميماً يخلق الله له جسداً آخر تدخل فيه الروح، وقالوا: بأن الجسد للروح كالجبة للبدن.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾(٢).

قلنا: أراد به تبديل هيآتها وصفاتها لا تبديل عينها، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾(٣) وأراد به تبديل صفتها لا تبديل عينها كذلك ههنا.

* * *

---

(١) سورة النور: الآية/ ٣.
(٢) سورة النساء: الآية/ ٥٦.
(٣) سورة ابراهيم: الآية/ ٤٨.

المبحث الثاني
الرد على الإباحيـة

قال أهل الإباحة[١] لعنهم الله تعالى: إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة سقطت عنه العبادة الظاهرة نحو الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك، وكانت عبادته بعد ذلك التفكر، ويصعد بنوره إلى السماء، ويدخل الجنة ويعانق الحور العين ويباضعهن.

وقال أهل السنة والجماعة: من اعتقد هذا يكفر؛ لأن الأنبياء لم يصعدوا بأنفسهم إلى السماء كما قال الله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾[٢] وفي حق عيسى عليه السلام: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٣] وفي حق آدم عليه السلام: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٤] وفي حق إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[٥]

(١) الإباحية: فرقة من الفرق المبطلة، يدعون أن لا قدرة لهم على اجتناب المعاصي، ولا على الإتيان بما أمر به الشرع، ومن مذهبهم أنه ليس لأحد في هذا العالم ملك رقبة ولا ملك يد والجميع مشتركون في الأموال والأزواج. أنظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١/ ١١٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١.

(٣) سورة النساء: الآية ١٥٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٥) سورة مريم: الآية ٥٧.

فغيرهم أولى أن لا يصعدوا.

ومنهم من قال: إن الله تعالى خلق النساء والمال وذلك مباح فيما بينهم حتى إن من احتاج إلى مال غيره فله أن يأخذه، وكذلك إذا احتاج إلى نسوة غيره فله أن يأخذها، لأن آدم وحواء عليهما السلام ماتا وبقي ما لهما بيننا ميراثاً على السواء.

وقال أهل السنة والجماعة: لا يحل مال امرء مسلم إلا بطيبة من نفسه. قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[١] والأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة منها: قوله ﷺ: «البينة على المدعي و اليمين على من أنكر»[٢].

ومنهم من قال: إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة يحل له نساء الغير.

وأما نساء الغير فهن كالرياحين له أن يشمهن، لأن هذا حبيب الله والنساء إماء الله، والحبيب لا يمنع حبيبه عما يريد.

وقال أهل السنة والجماعة: لا يحل النساء إلا بالنكاح، والإماء إلا بالملك و بالنكاح أيضاً إذا زوجها مولاها من غيره تحلُّ له وهي أمة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ ﴾[٣]؛ ولأن ماعزاً

(١) سورة النساء: الآية ٢٩.
(٢) أخرجه الترمذي/١٣٤١/وقال في إسناده مقال والدار قطني في السنن ٣/١١٠، ١١١ والبيهقي ٨/١٢٣ عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعاً، وعبد الرزاق في المصنف ٨/٢٧١.
(٣) سورة النور الآية: ٢.

رضي الله عنه[(١)] زنى فرجم، فلو كان حلالاً لما استحق الرجم.

ومنهم من قال: إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة ثم ارتكب الكبيرة لا يدخله الله تعالى النار، لأن كل من دخل النار لا يخرج منها كداخل الجنة، وهذا مذهب باطل.

والجواب عنه: [كما] قلنا: إذا أذنب العبد ذنباً ولياً كان أو غير ولي، فهو في مشيئة الله إن شاء غفر له بفضله وإن شاء عذبه بعدله، قال الله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[(٢)] وإذا عذبه بقدر ذنوبه يخرجه من النار برحمته أو بشفاعة الأنبياء، كالذهب يدخل في النار ليزول عنه غشه فإذا زال عنه يخرج منها ولا يتركه فيها بخلاف الكافر؛ لأنه كالحطب أُعدَّ لإيقاد النار والإحراق لا لمعنى آخر، بخلاف أهل الجنة؛ لأنه لا يدخل في الجنة إلا طاهراً من الوسخ والحوبة، إما برعاية النفس أو التوبة، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «أتحسبون أن الجنة مرابض الغنم، والله لن تدخلوها حتى تصيروا كالبردة»[(٣)] فالنار تحرق نجاسة الذنوب وتزيلها عن المؤمن العاصي فيخرج منها بعد زوالها، بخلاف الجنة؛ لأنها لا تزيل طهارة الداخل ليخرج منها.

ومنهم من قال: إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة سقط عنه

---

(١) هو ماعز بن مالك الأسلمي قال ابن حبان: له صحبة وهو الذي رُجم في عهد النبي ﷺ وعن جابر: أن النبي ﷺ لما رجم ماعز بن مالك قال لقد رأيته يتحصص في أنهار الجنة، ويقال إن اسمه غريب وماعز لقب، وفي حديث بريدة أن النبي ﷺ قال: «استغفروا لماعز». ولقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي لأجزأت عنهم». انظر الإصابة ٣/ ٣٣٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٠.

(٣) هذا الحديث غير مذكور في كتب السنن بهذا اللفظ لكن معناه صحيح.

الأمر والنهي ويحل له ما اشتهى، وحبيب الله تعالى أنه لو خير بين الكفر والقتل يختار قتل نفسه، فهو حبيب غاية المحبة، وكل من لم يكن منافقاً فهو حبيب الله.

وقال أهل السنة والجماعة: العبد لا يسقط عنه الأمر والنهي، وكل من كان أقرب إلى الله تعالى يكلف بأشد التكليف كالنبي ﷺ، كان حبيبه وصفيه وقام حتى تورمت قدماه، وقد أمر بأوامر الله منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١) الآية.

وقوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾(٣).

وكذلك آدم عليه السلام كان حبيبه وصفيه، وقد نهاه عن أكل الشجرة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾(٤) فلما أكل منها عاتبه وأخرجه من الجنة.

وكذلك داود لما نظر إلى امرأة اوريا(٥) عاتبه الله بذلك، وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما شبع آل رسول الله ثلاثة أيام متواليات من خبز بر مرتين حتى قبضوا»(٦) وكذلك روي عن النبي ﷺ

(١) سورة الأحزاب: الآية ١.

(٢) سورة المزمل: الآية ٢.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٥) يروى أنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة منهن أوريا أم سليمان بن داود التي تزوجها بعد الفتنة، انظر البداية والنهاية لابن كثير الآية ١٩/٢. والذي علمناه عن شيوخنا عدم صحة هذه الرواية، وصوابها أنه حكم لإحدهما قبل أن يسمع من الآخر.

(٦) أخرجه البخاري برقم/٥٤٢٣ في الأطعمة باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم ومسلم برقم/ ٢٩٧٠ في الزهد والرقائق.

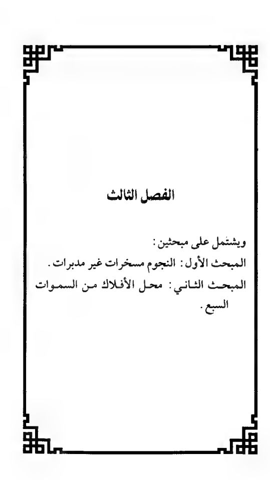
أنه قال: «مات سبعون نبياً في يوم واحد من الجوع والقمل»(١)؛ ولأن التمتع بلا تحمل عناء التكاليف موعود في الجنة كما قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾(٢) وقد أمر الله تعالى عباده بالصوم حيث قال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٣) أي صمتم في الأيام الحارة، وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾(٤).

فما دام العبد مؤمناً عاقلاً بالغاً لا يسقط عنه الصوم، وكذا سائر الفرائض كالصلاة والزكاة بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(٥) بخلاف المريض والمسافر حيث أبيح لهما الأكل والشرب، والصوم أفضل بقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾(٦) وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٧) بخلاف الحائض والنفساء، حيث لا تصوم ولا تصلي وتقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، لأن في قضائها حرجاً لتضاعفها ولا حرج في قضاء الصوم.

فمن قال: إذا بلغ العبد في الحبّ غاية المحبة سقط عنه الأمر والنهي ولم يسقطا عن الأنبياء، فقد رأى درجة الولي أعلى من درجة النبي، ورأى الولي أفضل من النبي ﷺ، ومن قال إن الولي أفضل من النبي ﷺ فهو كافر بالله العظيم وله عذاب من رجز أليم.

(١) هذا الحديث لا أصل له.
(٢) سورة الحاقة: الآية ٢٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ٨٣.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٨٤.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٨٤.





الفصل الثالث

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: النجوم مسخرات غير مدبرات.

المبحث الثاني: محل الأفلاك من السموات السبع.



المبحث الأول
النجوم مسخَّرات غير مدبِّرات

قال أهل النجوم: أمور أهل الأرض متعلقة بالبروج الاثني عشر وبالنجوم السبعة، زحل، ومريخ، والمشتري، والزهرة، وعطارد، والقمر، والشمس.

وقالوا: بأن هذه البروج والنجوم مدبِّرات لأهل الأرض، فكل من علم النجوم يعرف صلاح نفسه ويمكنه أن يعمل إلى ما هو خير له، ويحترز عما هو شر له ويعلم أنه متى يموت.

وقال أهل السنة والجماعة: هذه البروج والنجوم والشمس والقمر وجميع النيِّرات مسخرات بأمره ليس لها من التدبير شيء(١)، ومدبرالأمور هو الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾(٢).

فإن قيل: علم النجوم كان حقاً في زمن إدريس عليه السلام، ومن

---

(١) الذي يدل على أنها مسخرات غير مدبرات انتقالها من برج إلى برج، وتحولُها من حال إلى حال عندكم من: سعدٍ، ونحسٍ، وكسوفٍ، وخسوف، واحتراق، وأوج، وهبوط، كل ذلك إمارة كونها مسخرة مقهورة والصانع هو الله تعالى.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

قال بأنه نسخ فعليه الدليل، يدل عليه قوله تعالى خبراً عن إبراهيم عليه السلام ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[١] استدل بالنظر إلى النجوم أنه سقيم.

الجواب عنه: قلنا إن إبراهيم عليه السلام علم أنه يموت، فكل من علم أنه يموت علم أنه سقيم، ويجوز كونه سقيماً كما قال النبي ﷺ: «المؤمن لا يخلو من قلة أو علة أو ذلة»[٢].

وأما في زمن إدريس عليه السلام.

قلنا: ليس التدبير بالنجوم، ولكن الله أخبر في كتابهم أن نجم كذا إذا بلغ إلى موضع كذا نعلم أنه يكون كذا وكذا، فعرفوا ذلك بتعريف الله تعالى إياه، ثم نسخ من وقت سليمان عليه السلام، حين عادت الشمس بعدما دخل الليل فشوش عليهم ذلك الحساب والله الهادي.

وقد قال النبي ﷺ: «إن لله تعالى عادة جميلة في تكذيب المنجمين»[٣].

وقد قيل: المنجم كالكاهن[٤]، والكاهن كالساحر، والساحر

---

(١) سورة الصافات: الآية ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) قال صاحب كشف الخفاء: لا أعلم حاله، ولكن قال ابن علان وفي الحديث... وذكره. انظر كشف الخفاء ٢/ ٢٩٣.

(٣) غير مذكور في كتب السنن بهذا اللفظ ولكن معناه صحيح.

(٤) الكاهن: من يخبر عن المغيبات في الماضي والمستقبل، ذكره في المصباح، وفي شرح العقائد النسفية: وتصديق الكاهن بما يخبر عن الغيب كفر لقول النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ» والعراف هو الذي يخبر عن الماضي وقيل: المنجم.

كالكافر، والكافر في النار والدليل على بطلان علم النجوم قوله تعالى: ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾(١)؛ ولأن العلم لا يحصل إلا بشيئين إما بالمعاينة، أو بإخبار المخبر الصادق، والنبي عليه السلام لم يخبر عنها، والناس في المعاينة كلهم سواء إلا أن بعض الناس وكلوا برأيهم وخذلوا بعقولهم، فضلُّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً.

وقد قيل: من اعتصم بما له قل، ومن اعتصم بعقله ذلَّ، ومن اعتصم برأيه ضلَّ، ومن اعتصم بالله جلَّ.

* * *

(١) سورة الكهف: الآية ٥١.

المبحث الثاني
محل الأفلاك من السموات السبع

قال أهل النجوم: الشمس والقمر والنجوم في السماء الرابعة.

وقال أهل السنة والجماعة وأهل التفسير: في السماء الدنيا، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[١].

وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[٢].

وكذلك قوله تعالى في قصة ذي القرنين[٣]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ

(١) سورة الصافات: الآية ٦.

(٢) سورة الملك: الآية ٥.

(٣) ذو القرنين: هو عبد الله بن الضحاك بن معد . . . ابن سبأ بن قحطان.
لقد ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد، والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين وقيل كان نبياً، وقيل: رسولاً وقيل ملكاً من الملائكة. وكان الخضر وزيره، وقد ذكر الأزرقي في أخبار مكة أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل عليه السلام، واختلفوا في السبب الذي سمي به ذا القرنين، فقيل: لأنه كان له في رأسه شبه القرنين، وقيل: لأنه ملك فارس والروم، وقيل: لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً وملك ما بينهما من الأرض وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهري واختلف في اسمه فقيل: كان اسمه مرزبان بن مرزبة وقيل: الصعب بن ذي مرائد وقيل: افريدون بن اسفيان=

ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾[١] الآية: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾[٢] وهو لم يبلغ إلى السماء الرابعة، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

تم بحر[٣] الكلام في معتقد الشيخ الإمام العالم المتقن، التقي، السالك، الناسك، رئيس الأئمة لسان الحق أبي المعين النسفي [رحمه الله تعالى] المسمى: ابن المحمود محمد النسفي، صاحب «التبصرة»، و«التمهيد» نوّر الله مرقدة بفضله، على يد الحقير الراجي إلى رحمة الله تعالى، البصير بن محمد سريفي أفندي بن داود غفر لهم وأحسن إليهما وإليهم آمين.

* * *

= وقيل: هرمس، وقال قتادة: اسمه اسكندر وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام، أنظر البداية والنهاية لابن كثير الآية ٢/ ١٢٢.

(١) سورة الكهف: الآية ٩٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٨٦.

(٣) في المخطوطة «تحرير» وما أثبتناه هو الصحيح والحمد لله رب العالمين.

هذا آخر ما يسره الله تعالى لي بفضله ومنّه وكرمه من التعليق على هذا الكتاب النفيس، نسأله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه جواد كريم فنعم المولى ونعم النصير.

الخاتمة

إن هذا الكتاب الذي بين أيدينا قد تمخض عن علوم ومعارف جمة من أصول للدين والشرائع وعلم الكلام والجدل والبحث والمناظرة والتفسير والحديث، فوافق اسمه رسمه، فكان بحق بحراً من بحور الكلام، وقد وفقني الله تعالى لخدمته والعمل به وأي شرف يعدل هذا الشرف.

إن من الواضح أن مدرسة أهل السنة والجماعة «الأشاعرة و الماتريدية» هي أقوى مدارس الفكر الإسلامي؛ لما احتوت عليه من أكبر الشخصيات الإسلامية الفذة التي تتمتع بقوة الرأي وسلامة العقل في وقت ظهر فيه الاعتزال والتجسيم.

وقد كان أئمة المذاهب الأربعة الإمام، أبو حنيفة النعمان، والإمام محمد بن إدريس الشافعي، والإمام مالك بن أنس، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين فقهاءَ أهل السنة والجماعة ومجتهديهم يمثلون عقيدة أهل السنة والجماعة بطريق النقل على الأغلب.

ثم أتى من بعدهم كالإمام أبي منصور الماتريدي، وأبي الحسن

الأشعري رضي الله عنهما، فسلكا في طريق الاحتجاج على خصومهم مسلكاً وسطاً بين النقل والعقل، فقد أثبتا المقدمات العقلية التي تتوقف عليها أدلة النظار كإثبات الجزء الذي لا يتجزأ المسمى بـ«الجوهر الفرد» وأن العرض لا يبقى زمانين، وأنه لا يقوم بمثله، واستخدما في طريق مباحثهم الفلسفية والاستدلالية علم المنطق والكلام حتى تمكنا من إرساء دعائم قاعدة منهجية كلامية سمت بهم على جميع المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة.

ولقد كان التوحيد عندهما تنزيهاً بلا تجسيم وإثباتاً بلا تعطيل، تكلما في مسائل الصفات للباري عز وجل بما يليق، وأثبتا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير جهة يوم القيامة للمؤمنين، وفوضا علم ذلك كله إلى الله تعالى.

وما حدث من اختلاف بينهما في الآراء إنما كان لبعض مسائل فروع العقيدة كالقول في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، وغير ذلك مما هو خلاف لفظي، أما أصول العقيدة فمتفق عليها بلا خلاف.

وكل تطور طرأ على هذه المدرسة في الأحقاب المتأخرة يرجع إلى فضل واضع لبناته الإمامين الجليلين: أبي منصور الماتريدي، وأبي الحسن الأشعري رضي الله عنهما.

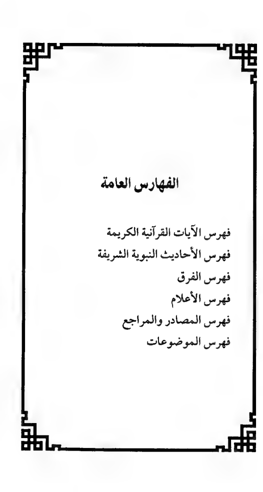
ثم قيض الله لهذه المدرسة بعد الإمامين المذكورين من جنّد نفسه للذود عن هذه العقيدة فكانوا حراسها، وتحققوا بها فكانوا أمناءها، وحازوا شرف الوراثة المحمدية فأصبحوا مثلاً أعلى يقتدى بهم، ويهتدى بهديهم، وينتفع بعلمهم، كإمام الحرمين الجويني عبد الملك أبي المعالي المتوفى ٤٧٨ هـ وكالإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ والإمام أبي المعين النسفي،

ميمون بن محمد المتوفى سنة ٥٠٨ هـ مصنف هذا الكتاب.

وأخيراً جزى الله عنا سيدنا وشيخنا الوالد الأجلّ العلامة فضيلة الشيخ محمد صالح فرفور، مجدد النهضات العلمية خير الجزاء.

والله الهـادي إلى سبيل الرشـاد.

* * *



الفهارس العامة



فهرس الآيات القرآنية الكريمة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة فاطر

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الجمعة

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة الفجر

سورة الضحى

سورة العلق

سورة البينة

سورة الإخلاص

سورة الناس

* * *

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

«أ»

«ر»

«س»

«ش»

«ص»

«ط»

«ع»

«غ»

«ف»

«ق»

«ك»

«ل»

«ي»

* * *

فهرس الأعلام

«ح»

«خ»

«ز»

«س»

«ض»

«م»

«ك»

«ن»

«هـ»

«و»

«ي»

* * *

فهرس الفرق



فهرس
الشعر والقصائد

فهرس المصادر المراجع

- آكام المرجان في أحكام الجان: للشبلي
- أصول الدين: للبغدادي
- الأعلام: للزركلي ت ١٧٩٦ م
- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ هـ
- استحسان الخوض في علم الكلام: للأشعري
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر
- الاعتقاد: للبيهقي
- البداية من الكفاية: للصابوني
- البداية والنهاية: لابن كثير ٧٧٤ هـ
- البعث والنشور: للبيهقي
- تاج التراجم: لابن قطلو بغا
- التبصير في الدين: للاسفراييني
- تذكرة الحفاظ: للذهبي ٧٤٨ هـ
- الترغيب والترهيب: للمنذري
- تفسير الطبري: للطبري
- التلويح على التوضيح: للتفتازاني

- **تهذيب ابن عساكر**: لابن عساكر
- **تهذيب الآثار**: للطبري
- **تهذيب الأسماء واللغات**: للنووي ٦٧٦ هـ
- **تهذيب التهذيب**: لابن حجر
- **تاريخ الفقه الإسلامي**: للسايس
- **جمهرة الأنساب**:
- **الجواهر المضية في تراجم الحنفية**: أبو الوفاء القرشي
- **الحجة**: للأصفهاني
- **حلية الأولياء**: للأصفهاني
- **دلائل النبوة**: للبيهقي
- **الرسالة النافعة**: للشيخ محمد صالح الفرفور
- **روح المعاني**: للآلوسي
- **سنن أبي داود**: لأبي داود السجستاني
- **سنن ابن ماجة**: لابن ماجة
- **سنن الترمذي**: للترمذي
- **سنن الدار قطني**: للدار قطني
- **سنن النسائي**: للنسائي
- **شرح السنة**: للبغوي
- **شرح العقائد النسفية**: للتفتازاني ـ ٧٩٢ هـ
- **شرح العقيدة الطحاوية**: للميداني
- **شرح الفقه الأكبر**: لمنلا علي القاري
- **شرح المقاصد**: للتفتازاني
- **شرح جوهرة التوحيد**: لإبراهيم الباجوري
- **شرح جوهرة التوحيد**: للصاوي

- **صحيح ابن حبان**: لابن حبان
- **صحيح البخاري**: للبخاري ٢٠٦ هـ
- **صحيح بن خزيمة**: لابن خزيمة
- **صحيح مسلم**: لمسلم ٢٦١ ، ٢٦٢ هـ
- **صفة الصفوة**: لابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ
- **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة**: لابن حجر الهيثمي
- **طبقات ابن سعد**: لابن سعد ٢٣٠ هـ
- **طبقات الشافعية**: للسبكي
- **الفتوحات المكية**: لابن عربي ٦٣٨ هـ
- **الفصل**: لابن حزم
- **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**: للكاندهلوي
- **الكامل في التاريخ**: لابن الأثير
- **كشاف اصطلاحات الفنون**: للتهانوي
- **كشف الخفاء**: للعجلوني
- **كشف الظنون**: حاجي خليفة ت ١٠٦٧ هـ
- **الكليات**: للكفوي
- **اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**: للسيوطي ٩١١ هـ
- **لسان العرب**: لابن منظور
- **المختصر في علم رجال الأثر**: لعبد الوهاب عبد اللطيف
- **مراصد الإطلاع**: للبغدادي
- **مستدرك الحاكم**: للحاكم
- **مسند أبي يعلى**: لأبي يعلى الموصلي
- **مسند أحمد**: لأحمد بن حنبل ٢٤١ هـ

- **مسند البزار**: للبزار
- **مشكل الآثار**: للطحاوي
- **مصنف عبد الرزاق**: عبد الرزاق الصنعاني
- **معجم البلدان**: لياقوت الحموي ٦٢٦ هـ
- **معجم الطبراني**: للطبراني
- **مقالات الإسلاميين**: للأشعري
- **الملل والنحل**: للشهرستاني
- **المواقف**: للإيجي
- **الموضوعات**: لابن الجوزي
- **ميزان الاعتدال**: للذهبي
- **نشأة الأشعرية وتطورها**: د. جلال موسىٰ
- **نظم المتناثر**: للكتاني
- **نهاية الاقدام في علم الكلام**: للشهرستاني

* * *

فهرس الموضوعات

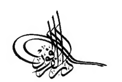
الباب الأول

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب السابع



Bahro Lkalam

By

Al Sheikh: Meimoun ben Mohammad Al nasafi

(Died in 508 H.)

STUDY AND COMMENT

BY

PROFESSOR DR. WALLIUDDEEN MHD. SAALEH ALFARFOOR